– دار الإيمان والحياة –

الكمالات المحمدية

فوزى محمد أبو زيد

الطبعة الأولى : ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١
رقم الإيداع : ١٦٤٣٢ / ٢٠٠١
طبع بدار نوبار للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة والسلام على إمام أهل الصفا وقطب أهل الوفا سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه ومن اقتفى .

وبعـــد

فـالذى دعانـى لكتابة هـذا الكتاب أنه لم يـوجد فى الوجـود كله شـخـصيـة تعرضت للانتـقادات والتحـريفات كـشخصـية سيـدنا رسول الله ﷺمع أنه ﷺ الشخصـية الوحيدة التى سجل عنهـا المؤرخون أدق تفاصيل حيـاته فكل حركاته وسكناته سجّلوها تسجيلا دقيقاً بمعايير لا يستطيع الإنسان الآن أن يجد أدق منها فى المعاييـر العلميـة والموازين المادية التى توزن بها العلوم والـنظريات والأعراف لكن الأعـداء بثّـوا فى الأمـة السّم فى الدسم وحـاولوا كـما يحـاولون دائمـاً أن يشككونا تارة فى شـخصيـته وآونة فى عصـمته وأحـياناً فى دقة مـاورد من سنته والمؤمن لابد أن يكون حريصاً على كل ذلك وفى القرآن آيات وضحت ما ينبغى أن نعلمه عن المصطفى ﷺ من جميع الجهات فأما نطقه فقد قال فيه ربه عز وجل [الآيتان (٣، ٤) النجم] فإذا جاء حديث لم نستوعبه أو لم نفهـمه فنعلم علم اليقين أنه ليس كل ما قيل جاء أوانه ولا كل ما جاء أوانه جاء زمانه وهو نبى الختـام وقد أتى بالكلام الذى يحتاج إليه

الأنام إلى يوم الزحـام فالذى نحـتـاجه والذين من قـبلنا والذين من بعـدنا أتى به رسول اللـه ﷺ فالذى لم نفـهمه لأنه لـيس لنا لكنه للزمن الذى سيـأتى وكم من أحاديث نبوية وقف عندها العلماء السابـقون وبيّنها العلم فى هذا الزمان وكانت معجزة لسـيد ولد عدنان ﷺ فالحديث العلمى الذى لم يصل العلـم إلى كشفه لا نقول به ونحاول أن نعلله أو نوجهه بل نقول كما قال الله عز وجل لنا ﴿**آمنا به**﴾ آمنا به وآمنا برسوله وآمنا بكـتابه وآمنا بكل ما قاله نبـيه ﷺ كل هذا﴿**كل من عند ربنا**﴾ [الآية (٧) آل عـمـران] وهـذا كله «إن هو إلا وحى يوحى علـمـه شـديد القوى» [الآيتان (٤ ، ٥) النجم] كذلك ما بث فى كـتب السيرة التى أهلها كانوا على طيب نفس وحـسن خلق ولكنهم لم يتحـروا الدقة البـالغة فى تحقـيق بعض الروايات فى أمـور عن رسول الله ﷺ لا يجب أن يقـولها مـؤمن ولا أن يستـمع إليها مـسلم فنحن دائماً ميزاننا الذى نسمع أو نقـرأ به أو نقول به عن رسول الله ﷺ أنه معـصوم بعصـمة الله عـز وجل معصـوم فى أقواله ومـعصوم فى أفـعاله ومعصوم فى أحواله ومعصوم فى كل حركاته وسكناته والذى قال هذا رب العزة حيث قـال قل لهم : ﴿**قل إن صلاتى ونسكى ومحـياى ومماتى لله رب العالمين**﴾ [الآية (١٦٢) الأنعـام] فنفـعل كمـا كـان يفـعل سلفنا الصـالح فالأشـيـاء التى يعجزون فيـها فى هذا الباب كانوا يرجعون فـيها ويبتهلون فيـها ويستغيثـون فيها برسول الله ﷺ فيعلمهم بأمر الله فى هذا المقام أو المقصد فى هذا الأمر .

وقد ابتغيت فى هذا الكتاب وجه الله أولاً ، والمنافحة عن حبيبه ﷺ طمعاً فى مرضاته ورجاءا فى شفاعتـه ثانياً ، وإظهار الحق المنزه عن الهوى والأغراض ثالثا فما كان فيه من حق وصدق وصواب فـمن توفيق الله عز وجل لى ، وما كان فيه

من سهو أو نسيان أو خطأ فمن عجلتى وزللى ؛ وإن كان يغفر لى فى ذلك قصدى ونيتى حيث أنى أبغى بذلك كله وجه الله والدار الآخرة ، ونفع إخوانى المسلمين وأسأل الله عز شأنه أن يدخلنى فيمن عناهم رسول الله ﷺ بقوله : **إن أخطأ فله أجر ، وإن أصاب فله أجران** .

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا» .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مساء الثلاثاء
٩ من جمادى الآخرة ١٤٢٢ هـ
٢٨ من أغسطس ٢٠٠١ م

خادم أعتاب الحضرة المحمدية
فوزى محمد أبو زيد
الجميزه مركز السنطة - غربية
ت : ٥٣٤٠٥١٩ - ٠٤٠

فوزي محمد أبو زيد
مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية
: الجميزة - محافظة الغربية
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: الموقع على شبكة الإنترنت
WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكتروني E-mail :
fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

الفصل الأول

كمال خصائصه الظاهرة والباطنة

- كمال خصائصه الظاهرة وكراماته الباهرة
- فضله على سائر الأنبياء
- أوّليته فى الآخرة صلى الله عليه وسلم
- كمال فضله الثابت بكتاب الله
- كمال عبادته لربه عز وجل
- كمال خشيته من الله

كمال خصائصه الظاهرة وكراماته الباهرة

إختص الله سبحانه وتعالي سيدنا محمداً ﷺ بأنواع من الفضائل والكرامات ، وسنذكر أشهرها وأصحها باختصار ، وقد ذكرنا بعضها مفصلاً في مواضع متفرقة من كتبنا لكنا أحببنا هنا إعادة ذكرها لتكون مجتمعة في موضع واحد .

فمنها أنه أول النبيين خلقاً وأنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد(١) .

وأن الله أخذ الميثاق علي النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا بـه وينصروه قال الله تعالى: **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾** (٧) وأنه وقع التبشير به في الكتب السالفة وأنه لم يقع في نسبه من لدن آدم سِفَاح(٢) .

وأنه رأت أمه عند ولادته نوراً خرج منها أضاء له قصور الشام(٣) وأنه ظللته الغمامة في الحر(٤) وأنه مال إليه فيء الشجرة إذْ سبق إليه(٥) وأنه شُقّ صدره الشريف ﷺ(٦) وأنه غطّه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات وأن الله تعالي ذكره في القرآن عضواً عضواً فذكر قلبه بقوله :**﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾** (١) وقوله :**﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾** (٢) ولسانه بقوله :**﴿وما ينطق عن الهوى﴾** (٣) وبقوله**﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾** (٤) وبصره بقوله:**﴿ما زاغ البصر وما**

---

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه البيهقي وغيره .
(٣) رواه الامام أحمد .
(٤) رواه أبو نعيم وغيره .
(٥) رواه البيهقى .
(٦) رواه مسلم وغيره .
(٧) [الآية (٨١) آل عمران] .

الآيـــات
(١) [الآية (١١) النجم] .
(٢) [الآية (١٩٤) الشعراء] .
(٣) [الآية (٣) النجم] .
(٤) [الآية (٦٨) الدخان] .

طغى﴾[5] ووجهه بقوله : ﴿**قد نرى تقلب وجهك في السماء**﴾[6] ويده وعنقه بقوله : ﴿**ولا تجعل يدك مغلولة إلي عنقك**﴾[7] وظهره وصدره بقوله : ﴿**ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك**﴾[8] وأنه اشتق اسمه من اسم الله المحمود ، وقد قال في ذلك حسان بن ثابت :

وشق له من اسمه ليُجلّه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وأنه سمي أحمد ولم يسم به أحد قبله[1] .

وأنه ﷺ كان يبيت جائعاً ويصبح طاعماً يطعمه ربه ويسقيه ، وأنه كان يري مِنْ خلفه كما يرى من أمامه[2] ، وأنه كان يرى في الليل في الظلمة كما يري بالنور والضوء[3] ، وأن ريقه كان يعذب الماء الملح[4] ، وأنه عليه الصلاة والسلام كان يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغ صوت غيره ولا سمعه ، وأنه كان تنام عينه ولا ينام قلبه[5] ، وأنه ما تثاءب قط[6] ، وأنه ﷺ ما احتلم قط وكذلك الأنبياء[7] ، وأن عرقه ﷺ كان أطيب من المسك[8] ، وأنه إذا مشى مع الطويل طاله[9] .

وأن الكهنة انقطعوا عن مبعثه ﷺ كما انقطع استراق السمع .

وأنه ﷺ أتي بالبراق ليلة الإسراء مُسْرَجاً ملجماً ، قيل وكانت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تركبه عرياناً ، وأنه أسري به ﷺ من المسجد الحرام إلي المسجد

---

(1) رواه مسلم .
(2) رواه مسلم .
(3) رواه البيهقى .
(4) رواه ابو نعيم .
(5) رواه البخارى .
(6) رواه ابن أبي شيبة وغيره واخرج الخطابى ما تثاءب نبي قط .
(7) رواه الطبراني .
(8) رواه أبو نعيم وغيره .
(9) رواه البيهقى .

الآيات

(5) الآية (17) النجم] .
(6) [الآية (144) البقرة] .
(7) [الآية (29) الإسراء] .
(8) [الآيات (1، 2، 3) الشرح] .

الأقصي وعرج به إلي المحل الأعلي ، وأراه الله تعالي من آياته الكبري وحُفظ في المعراج حتي ما زاغ البصر وما طغي ، وأُحْضر الأنبياء له عليهم الصلاة والسلام وصلى بهم وبالملائكة اماما ، وأطلعه علي الجنة والنار وأنه رأي الله تعالي وجُمع له بين الكلام والرؤية وكلّمه تعالي في الرفيق الأعلي وكلم موسي بالجبل ، وأن الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه في غزوة بدر وحنين .

وأنه يجب علينا أن نصلي ونسلم عليه ﷺ لآية **﴿إن الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾**[١] .

وأنه أوتي الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة .

وأن الله تعالي حفظ كتابه المنزل عليه وهو القرآن من التبديل والتحريف قال تعالي : **﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾**[٢] وقال تعالى : **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**[٣] أي من التحريف والزيادة والنقصان فلو حاول أحد أن يغيره بحرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذاب ، حتي أن الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا ، ولم يتفق ذلك لغيره من الكتب ، فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير وسواه مع أن دواعي الملحدة واليهود والنصاري متوفرة علي إبطاله وإفساده وأن كتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب ، وأنه تعالي يسّر حفظه علي متعلميه قال تعالي : **﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾**[٤] فحفظه ميسر للغلمان في أقرب مدة وسائر الأمم لا يحفظ كُتبها الواحد منهم فكيف بالجمّ الغفير ، وأنه أُنزل علي سبعة أحرف تسهيلاً علينا

---

(١) [الآية (٥٦) الأحزاب].
(٢) [الآية (٤٢) فصلت] .
(٣) [الآية (٩) الحجر] .
(٤) [الآية (١٧) القمر] .

وتيسيراً ، وأنه آية باقية ما بقيت الدنيا ، وأنه عليه الصلاة والسلام خُصّ بآية الكرسي ، وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطوال أما المفصل فآخره قل أعوذ برب الناس وفي أوله خلاف ورجح النووي أنه سورة الحجرات ، والمثاني هي سورة الفاتحة[1] والسبع الطوال أولها البقرة وآخرها الأنفال .

وأنه ﷺ أعطي مفاتيح الخزائن ، قال بعضهم وهي خزائن أجناس العلم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فإن الاسم الإلهى لا يُعطيه إلا عن يد محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح كما اختص تعالي بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو وأعطي هذا السيد الكريم منزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن ، وأنه ﷺ أُوتي جوامع الكلم .

وأنه ﷺ بُعث إلي الناس كافة .

فقد جاء في حديث جابر وغيره عنه ﷺ **أنه قال : كان النبي يبعث إلي قومه خاصة وبُعثت إلي كل أحمر وأسود . وفي رواية : إلي الناس كافة ، ونصره ﷺ بالرعب مسيرة شهر ، وإحلال الغنائم ولم تحل لأحد قبله ، وجَعل الأرض له ولأمته مسجداً وطهوراً .**

وأن معجزته ﷺ مستمرة إلي يوم القيامة ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها فلم يبق إلا خبرها والقرآن العظيم لم تزل حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة .

وأنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين .

وأنه ﷺ أكثر الأنبياء معجزة ، وأن شرعه مؤبَّد إلي يوم الدين وناسخ لجميع شرائع النبيين ، وأنه ﷺ أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة ، وأنه ﷺ لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه ، وأنه ﷺ أرسل إلي الجن اتفاقاً ، وأنه ﷺ أرسل إلي الملائكة

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة .

في أحد القولين ورجحه السبكي ، وأنه ﷺ أرسل رحمة للعالمين .

وأن الله تعالي خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم في القرآن فقال : يا آدم . يانوح . يا إبراهيم . ياداود . يازكريا . يايحيى . ياعيسى . ولم يخاطبه هو فيه إلا بيا أيها الرسول ، ويا أيها النبي ، ويا أيها المزمل ، ويا أيها المدثر ، وأنه ﷺ حرم علي أمته نداؤه باسمه قال الله تعالي : **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾** أي لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضاً باسمه ورفع الصوت به ولكن قولوا : يارسول الله ، يانبى الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت ، وأنه ﷺ يحْرم الجهر له بالقول قال تعالي : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾** وأنه ﷺ يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى : **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتي تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾** وأنه ﷺ حبيب الله تعالي وجمع له بين المحبة والخُلّة وأنه تعالي أقسم علي رسالته وبحياته وببلده وعصره . وأنه ﷺ كُلّم بجميع أصناف الوحي .

وأنه ﷺ هبط عليه اسرافيل ولم يهبط علي نبي قبله أخرجه الطبراني من حديث ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : **لقد هبط عليّ ملك من السماء ما هبط علي نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو إسرافيل فقال أنا رسول ربك إليك أمرني أن أخيّرك إن شئت نبياً عبداً وإن شئت نبياً ملكاً فنظرت إلى جبريل فأومأ إلي أن تواضع ، فلو أني قلت نبياً ملكاً لصارت الجبال معي ذهباً** .

وأنه ﷺ سيد ولد آدم ، رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ : **((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر))** ، وأنه ﷺ غُفر له ما تقدم من

ذنبه وما تأخر ، قال تعالي : **﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾** ، قال البيضاوي أي جميع ما فرط منك مما يصح أن تُعاتب عليه ، وأنه ﷺ أكرم الخلق عند الله فهو أفضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين .

وأنه ﷺ أسلم قرينه[1] وأن الميت يُسْأل عنه ﷺ في قبره .

وأنه ﷺ حُرّم نكاح أزواجه من بعده قال تعالى : **﴿وأزواجه أمهاتهم﴾**[4] أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة وخصوصية ، وان أولاد بناته ﷺ ينسبون إليه قال عليه الصلاة والسلام في الحسن
قال عليه الصلاة
والسلام : والنسب
بالولادة والسبب بالزواج .

وأنه لا يجوز التزوج علي بناته[2] لأن ذلك يؤذيه وأذيته ﷺ حرام بالاتفاق ، **فعن المُسوّر بن مخرمة أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل وعنده فاطمة بنت النبي ﷺ فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي ﷺ فقالت إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنه أبي جهل ، قال المُسوّر ، فقال النبي ﷺ فسمعته حين تشهّد قال :** «أما بعد فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدّثني فصدقني وإن فاطمة بنت محمد بضعة مني وإنما أكره أن يفتنوها وإنه والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً» **قال : فترك علي الخطبة[3] ، وفي رواية للشيخين عن المسور أيضاً**(فان ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) المقصود أنه لا يجوز .

(٣) اخرجه الشيخان .

(٤) [الآية (٦) الأحزاب] .

وأنه ﷺ لا يجتهد أحد في محرابه ﷺ يمنة ولا يسرة .

وأنه ﷺ من رآه بالمنام فقد رآه حقاً فان الشيطان لا يتمثل به ، وفي رواية مسلم : «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»وليس لاحد أن يتكني بكُنْيَة أبي القاسم سواء كان اسمه محمد أم لا عند الشافعي وجوزه مالك .

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام أنه تثبت الصحبة لمن اجتمع به لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي فلا تثبت إلا بطول الاجتماع معه علي الصحيح عند أهل الأصول، والفرق عظَم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره علي الأعرابي الجلْف ينطق بالحكمة وأن أصحابه كلهم عدول قال الله تعالي خطاباً للموجودين حينئذ ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**﴾ أي عدولاً . وقال عليه الصلاة والسلام : «**لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه**»وقال عليه الصلاة والسلام : «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**» .

ومن خصائصه ﷺ أن المصلي يخاطبه بقوله : السلام عليك أيها النبي ولا يخاطب غيره ، وأنه كان يجب علي من دعاه وهو في الصلاة أن يجيبه ، وأن الكذب عليه ليس كالكذب علي غيره فمن كذب عليه لم تُقْبل روايته أبداً وإن تاب علي المشهور عند أهل الأصول ، وأنه ﷺ معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها ، عمدها وسهوها وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأنه لا يجوز عليه الجنون ولا الاغماء الطويل الزمن ولا العمي لأنه نقص وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأن من سبَّه أو انتقصه قُتل[1] .

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع . وقال الخطابي لا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلما ومذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره إن ادعي سهوا أو غلطا ومذهب الشافعية أن ذلك ردة تخرج من الاسلام إلي الكفر فهو مرتد كافر قطعا .

ومن خصائصه ﷺ أنه كان يخص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة شهادة رجلين ، **فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ اشترى من أعرابي فرساً فجحده الأعرابي فجاء خزيمة فقال يا أعرابي أنا أشهد عليك أنك بعته فقال الأعرابي إن شهد علي خزيمة فأعطني الثمن ، فقال رسول الله ﷺ : يا خزيمة إنك لم تشهد فكيف تشهد ، قال : أنا أصدقك علي خبر السماء ألا أصدقك علي خبر هذا الأعرابي ، فجعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الإسلام مَنْ تعدل شهادته شهادة رجلين إلا خزيمة .**

ومن ذلك ترخيصه في النّياحة لأم عطية ، روي مسلم عنها قالت : لما نزلت هذه الآية : **﴿يبايعنك علي أن لا يشركن بالله شيئاً﴾** إلي قوله **﴿ولا يعصينك في معروف﴾**[٥] قالت كان منه النّياحة فقلت : يارسول الله إلا آل فلان فانهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلابد لي من أن أسعدهم فقال إلا آل فلان . ومن ذلك ترك الاحداد لأسماء بنت عميس ، أخرج ابن سعد عن أسماء بنت عميس قالت : لما أُصيب جعفر بن أبي طالب قال لي رسول الله ﷺ تسلبي ثلاثاً ثم اصنعي ما شئت[١] .

ومن ذلك الأضحية بالعناق لأبي بُرْدة بن نيار[٢] وفي اعتبار ذلك خصوصية خلاف .

ومن ذلك إنكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فقد زوّج رسول الله ﷺ إمرأة علي سورة من القرآن - وفي اعتبار ذلك خصوصية خلاف - وقال لا تكون لأحد بعدك مهراً .

وأنه ﷺ كان يُوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الثواب والوعك : أذي الحُمّى ووجعها في البدن .

وأنه ﷺ صلي عليه الناس افواجاً أفواجاً بغير امام وبغير دعاء الجنازة

---

(١) وقوله تسلبي أي ألبسي ثوب الحداد وهو السلاب وتسلبت المرأة إذا لبسته وهو ثوب اسود تغطي به المحدة رأسها .

(٢) العناق الانثي من ولد المعز قبل استكمالها الحول . (٣) ذكره البيهقي وغيره .

(٥) [الآية (١٢) الممتحنه] .

المعروف(٣) وترك بلا دفن ثلاثة أيام وفُرش له في لحده قطيفة والأمران مكروهان في حقنا .

وأنه لا يبلى جسده الشريف ﷺ وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[١] .

وأنه ﷺ لا يورث وكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون قال ﷺ : **«إنا معاشر الأنبياء لا نورث»**[٢] .

وأنه وكل بقبره ﷺ مَلَك يبلغه صلاة المصلين عليه[٣] وصححه الحاكم بلفظ : **«ان لله ملائكة سيّاحين في الأرض يبلغونني عن أمتي السلام»** وعند الاصبهاني عن عمار: **«إن لله ملكاً أعطاه سمع العباد كلهم فما من أحد يصلي علي إلا أبلغنيها»** وأنه تعرض أعمال أمته ﷺ عليه ويستغفر لهم .

فقد ثبت أنه ليس من يوم إلا وتعرض علي النبي ﷺ أعمال أمته غدوةً وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم[٤] وأن منبره ﷺ علي حوضه كما في الحديث ، وفي رواية : **ومنبري علي ترعة من ترع الجنة**[٥] ولم يختلف أحد من العلماء أنه علي ظاهره ، وأنه حق محسوس موجود فإن القدرة صالحة لا عجز فيها وكل ما أخبر به الصادق ﷺ من أمور الغيب فالإيمان به واجب ، وأن ما بين منبره وقبره ﷺ روضة من رياض الجنة[٦] .

وأنه ﷺ أول من ينشق عنه القبر قال ﷺ : **«أنا أول من تنشق عنه الأرض»**[٧] .

(١) رواه أبو داود وغيره .

(٢) رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا وأصله في الصحيح .

(٣) رواه الامام أحمد وغيره .

(٤) رواه ابن المبارك عن سعيد بن المسيب .

(٥) وأصل الترعة الروضة علي المكان المرتفع خاصة فان كانت في المطمئن فهي روضة .

(٦) رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري .

(٧) رواه مسلم .

وأنه ﷺ يحشـر في سبعين ألفاً من الملائكة ومـا من فجر يطلع إلا نزل سـبعون ألف مَلَك يحـفّون بقبـره ﷺ يضربون بأجنحـتهم حتي إذا أمْسوا عـرجوا وهبط سبعـون ألف ملك حتي إذا انشقت عنه الأرض خرج في سـبعين ألفا من الملائكة يوقرونه ﷺ وهو ﷺ أول من يجوز علي الصراط[١] وأنه يحشر راكباً البراق[٢] .

وأنه ﷺ يكسي في الموقف أعظم الحُلل من الجنة ، قال ﷺ : «يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمّتي علي تلّ ويكسوني ربي حُلّة خضراء»[٣] .

وأنه ﷺ يقـوم علي يمـين العـرش مقامـاً لا يقومـه غـيره يغبطه فيه الأوّلون والآخـرون[٤] .

وأنـه ﷺ يُعْطـى المقـام المحمـود .

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الحافظ السلفي .

(٣) رواه كعب بن مالك .

(٤) رواه ابن مسعود .

فضله على سائر الأنبياء

أول ما يدل علي ذلك أوليته ﷺ ومعناها خلق نفسه قبل خلق نفوسهم ومما يدل علي أوّليته ﷺ ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : **«إن الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه علي الماء»** .

ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب - أن محمداً خاتم النبيين أخرجه مسلم - وفي رواية **«اني عند الله خاتم النبيين وان آدم مجندل في طينته»** رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد .

وفي رواية أنه قيل له : **«متي وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد»** رواه الترمذي وحسنه .

وفي رواية : **«كنت أوّل النبيّين في الخلق وآخرهم في البعث»** قال السخاوي ، رواه أبو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال ومن طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً وله شاهد صححه الحاكم وآخر في صحيحي ابن حبان والحاكم وثالث عند الترمذي وقال عنه حسن صحيح .

٢ - **ومن ذلك** : أنه أخذ له الميثاق علي الأنبياء فقال عز وجل : **﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لَمَا أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾**(١) .

---

(١) سورة آل عمران ٨١ .

فجعل الأنبياء كاتباع له وألهمهم الانقياد فلو أدركوه وجب عليهم اتباعه .

وقد قال عليه الصلاة والسلام «**لو كان موسي حياً ما وسعه إلا اتباعي**» ..

وقدم ذكره علي الأنبياء فقال عز وجل﴿**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلي نوح والنبيين من بعده**﴾ (١) .

٣ - وخاطب كل نبي باسمه فقال تعالي :﴿**يا آدم اسكن**﴾ (٢) ﴿**يا نوح اهبط**﴾ (٣) ﴿**يا إبراهيم اعرض**﴾ (٤) ﴿**يا موسي اني اصطفيتك علي الناس**﴾ (٥)، ﴿**يا داود إنا جعلناك**﴾ (٦) ﴿**ياعيسي ابن مريم**﴾ (٧) ﴿**يا زكريا إنا نبشرك**﴾ (٨) ﴿**يا يحيى خذ الكتاب**﴾ (٩) . ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيما له بل قال ﴿**يا أيها النبي**﴾ (١٠) ﴿**يا أيها الرسول**﴾ (١١) ، فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة قال تعالي :﴿**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**﴾ (١٢) وقال : ﴿**محمد رسول الله**﴾ (١٣) ﴿**وآمنوا بما نزل علي محمد وهو الحق**﴾ (١٤) ولما ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالي ﴿**إن أولي الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى**﴾ (١٥) .

٤ - وأخبر الله تعالي أن الأمم كانوا يخاطبون أنبياءهم بأسمائهم كقولهم : ﴿**يا هود ما جئتنا ببينة**﴾ (١٦) ﴿**يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذه**﴾ (١٧) ﴿**يا موسى اجعل لنا إله كما لهم آلهة**﴾ (١٨) ﴿**يا عيسى ابن مريم هل يستطيع**

(١) سورة النساء ١٦٣ . (٢) سورة البقرة ٣٥ . (٣) سورة هود ٤٨ .
(٤) سورة هود ٧٦ . (٥) سورة الأعراف ١٤٤ . (٦) سورة ص ٢٦ .
(٧) سورة المائدة ١١٠ . (٨) سورة مريم ١٧ . (٩) سورة مريم ١٣ .
(١٠) سورة الحزب ١ . (١١) سورة المائدة ١٣ . (١٢) سورة آل عمران ١٤٤ .
(١٣) سورة الفتح ٣٩ . (١٤) سورة محمد ٣ . (١٥) آل عمران ٦٨ .
(١٦) سورة هود ٥٣ . (١٧) سورة هود ٦٢ . (١٨) سورة الأعراف ٣٨ .

ربك﴾[1] . ونهي أمته أن يخاطبوه باسـمه فقال تعالى : **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾**[2] .

عن ابن عباس في قوله تعالي**﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينـكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾** قال : لا تقولوا يا محمد قولوا : يارسول الله .

وقد كـانت الأنبيـاء يجادلون أممهم عن أنفسـهم يقول قـوم نوح**﴿إنا لنراك في ضلال مبين﴾**[3] فقال دافعـا عن نفسه :**﴿ليس بي ضلالة﴾** ، وقال قوم هود :**﴿إنا لنراك في سفاهة﴾** ، فقـال :**﴿ليس بي سفاهة﴾**[4] ، وقال فـرعون لموسى :**﴿اني لأظنك ياموسى مسحوراً﴾**[5] ، فقال موسى :**﴿إني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾**[6] .

ولكن الله تولي المجادلة عن نبيه ﷺ فلما قـالوا هو شاعر قال الله تعالي :**﴿وما علمناه الشعر﴾**[7] ، ولما قالوا : كاهن ، قال الله تعالي : **﴿ولا بقول كاهن﴾**[8] ، ولما قالوا : ضال ، قـال الله تعالي :**﴿ ما ضل صـاحبكم﴾**[9] ، ولما قالوا : مجنون ، قال الله تعالي :**﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾**[10] . ولما قالوا : **﴿إنما أنت مفتر﴾** قال في الرد عـليهم**﴿بل أكثـرهم لا يعلمون قل نـزله روح القدس﴾** وقال**﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون﴾** سورة النحل .
ولما قالوا**﴿إنما يعلمه بشر﴾** قال في الرد عليهم **﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين﴾** . سورة النحل .

---

(١) سورة المائـدة ١١٣ . (٢) سورة النـور ٦٣ . (٣) سورة الأعراف ٦٠ .
(٤) سورة الأعراف ٦٧ . (٥) سورة الأسراء ١٠١ . (٦) سورة الأسـراء ١٠٣ .
(٧) سورة يـس ٦٩ . (٨) سورة الحاقـة ٤٢ . (٩) سورة النجـم ٢ .
(١٠) سـورة ن ٢ .

٦ – وأقسم الحق سبحانه وتعالي بحياته وإنما يقع القسم بالمعظم – عن ابن عباس قال : ما خلق الله وما ذرأ نفساً هي أكرم من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره فقال : ﴿**لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون**﴾[١] .

٧ – قال ابن عقيل : وأعظم من قوله لموسى : ﴿**واصطفيتك لنفسى**﴾[٢] قوله : ﴿**ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله**﴾[٣] .

٨ – وقوله : ﴿**لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد**﴾[٤] ، المعنى : أقسم لا بالبلد فان أقسمت بالبلد فلأنك فيه «انتهى» .

أقول وظهر لي معني آخر ، وهو أن الحق تبارك وتعالي يقول : لا أقسم بهذا البلد ، أي إن هذا البلد ولو كان عظيماً فلا أقسم به لأنك حللت به يامحمد وأنت أعظم منه فأنا أقسم بك أنت إذ كيف أقسم بالعظيم وفيه الأعظم والأكرم .

٩ – وقد اشار الله تعالي إلي أحوال الأنبياء ثم ذكر التوبة عليهم ، قال الله تعالى : ﴿**وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى**﴾[٥] وقال في حق موسى : ﴿**إني قتلت منهم نفساً**﴾ [٦] ، ثم قال رب اغفر لي فغفر له – وقال في حق داود : ﴿**لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلي نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم علي بعض**﴾ [٧] ، ثم قال﴿**فغفرنا له ذلك**﴾وقال : ﴿**ولقد فتنا سليمان**﴾[٨] ، ثم قال : ﴿**واناب**﴾ وأخبر تعالى بغفران ذنب نبينا من غير أن يذكر له ذنباً فقال : ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾[٩] .

(١) سورة الحجر ٧٢ . (٢) سورة طه ٤١ . (٣) سورة الفتح ١٠ .
(٤) سورة البلد ١ ، ٢ . (٥) سورة طه ١٢١ – ١٢٢ . (٦) سورة القصص .
(٧) ص ٣٤ . (٨) ص ٣٤ . (٩) سورة الفتح ٢ .

وقد كـان الأنبياء يطلبـون تحقيق بعض المـراتب والكمالات لأنفسـهم بخلاف سيدنا محـمد ﷺ فإن الله منَّ عليه بتلك المقامات وتفضل بهـا عليه من غير طلب وهذا باب من العلم جليل القـدر وفيه من الفـضل ما شرح الله تعـالى به صدري وسأورد ما ورد على قلبي من تلك الأمثلة :

فإن كان ابراهيم كسّر الأصنام فقد رمى نبينا ﷺ هُبل من أعلى الكعبة ثم أشار إلى ثلاثمائة وستين صنما فوقعت يوم الفتح كما ثبت فى الصحيح .

وإن كان هود نُصـر على قومـه بالدَّبور فقـد نصر نبـينا رسول الله ﷺ بالصَّبا فمزقت أعداءه يوم الخندق .

وإن كان لصالح ناقة فقد سجدت الابل لنبينا رسول الله ﷺ كما ثبت ذلك فى السنة المطهرة .

وإن أُعطى يوسف نصف الحسن فـقد أُعطي ﷺ - الحسن كله - كمـا جاء فى الحديث .

وإن كان الحجـر انفجر لموسى فقد نبع الماء من بين أصـابع نبينا رسول الله ﷺ وهو أعجب لأنه لا غرابة فى خروج الماء من الحجارة بل الشأن فى خروج الماء من بين لحم ودم .

وإن كان لموسى عـليه السلام عـصا فـإن خوار الجذع وحنينه أعـجب من ذلك وقصة حنين الجـذع ثابتة فى الصحيح ، وهو أنه ﷺ كـان يخطب عند جذع جُعل له ، فلما بُنـي له المنبر ترك الجذع فـحنّ الجذع إليه حـتى كان يُسْـمع له أنين كأنين الثَّكلى .

وان كانـت الجـبـال سـبّحت مع داود فـقـد ثبْـت أن الحصـا سـبّحت في كف نبـيـنـا ﷺ .

وإن كان سليمان أُعطيَ ملك الدنيا فـقد جيء لنبينا ﷺ بمفاتيح خزائن الأرض فأباها .

وإن كانت الريح سُخّرت لسليـمان غدوّها شهر ورواحها شـهر فنبينا ﷺ سار إلى بيت المقدس مـسيرة شـهر فى بعض ليلة وسار الرعب بين يديـه مسيرة شـهر كما قال فى الحـديث الصحيح : «**نُصرت بالرعب مسـيرة شهر**» وعرج به مسيرة خمسين ألف سنة إلى العرش .

وإن كان سليـمان فـهم كلام الطير فـقد فـهم نبينا ﷺ كلام البـعيـر الذي جاء يشتكي صاحبه وفهم كلام الحجر لما سلم عليه وغير ذلك .

وإن كانت الجـن سُخّرت لسـليمان فـقد جـاءت إلى نبينا ﷺ طائفـة من الجن مؤمنة به كما ثبت ذلك فى القرآن .

وقد كان سليمان يُصفّد من عصاه منهم فلما تفلّت عفريت على نبينا ﷺ تمكّن منه وأسره ثم أطلقه وقال : «**لولا أن أخي سليمان قال ربِّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من العالمين لربطتـه في سارية من سواري المسجد يلعب به الصـبيان**» وكما قال وهو في الصحيح .

وقد كانت الجن أعواناً لسليمان يخدمونه ونبينا ﷺ أعوانه الملائكة يقاتلون بين يديه ويدفعون أعداءه كما ثبت ذلك في بدر وحنين .

وإن كان عـيسى يخبـر بالغيوب فـقد ثبت عنه ﷺ كثـير من ذلك مع كثـير من الناس .

أوّليتـــه فـــى الآخــــــرة

صلى الله عليه وسلم

هو أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول من يُؤْذن له بالسجود وأول من ينظر إلى رب العـالمين والخلق مـحـجـوبون عن رؤيته إذ ذاك ، وأول الأنـبـيـاء يُقْضى بين أمْتـه ، وأولهم إجازة على الصراط بأمتـه ، وأول داخل إلى الجنة وأمته أول الأمم دخولاً إليها ، وزاده من لطائف التُّـحف ونفائس الطُّرف ما لا يحد ولا يعد .

فمن ذلك أنه يُبْعث راكبـاً ، وتخصيصه بالمقام المحمود ، ولواء الحـمد تحته آدم فمن دونه من الأنبـياء ، واختـصاصه ايضـاً بالسجـود لله تعالى أمام العـرش وما يفتحه الله عليه فى سجوده من التحميد والثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحـد بعده زيادة فى كرامته وقربه ، وكلام الـله له يا محمد ارفع رأسك ، وقُلْ يسمع لك وسَلْ تُعْط واشفع تُشفّع ولا كرامة فوق هذا إلا النظر إليه تعالى .

ومن ذلك تكراره الشفاعـة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليـه سبحانه بما يفتح الله عليه من ذلـك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا مـحمد ارفع رأسك وقُلْ يُسْمع لك وسَلْ تُعْط واشفع تُشفّع .

ومن ذلك : قيامة عن يمين العرش ليس أحد مـن الخلائق يقوم ذلك المقام غيره يغـبطه فـيـه الأولون والآخـرون ، وشـهادتـه بين الأنبـياء وأممـهم بأنهم بلّغـوهم وسؤالهم منه الشفـاعة ليريحهم من غمـهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفـاعته فى أقوام قد أُمر بهم إلى النار ، ومنها الحـوض الذي ليس في الموقف أكثر أوانيا منه ، وأن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته .

ومنها أنه يشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة فى الجنة إلى غير ذلك مما يزيده الله تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلاً وتكريما على رؤوس الأشهاد من الأولين والآخرين والملائكة أجمعين، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

فأما تفضيله ﷺ بأولية انشقاق القبر المقدس عنه وغيرها مما تقدم ذكرها فإليك بعض نصوص الأحاديث الواردة فى ذلك .

فروى مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع»** .

وفى حديث أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : **«أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي أهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتي نحشر بين الحرمين»** رواه أبو حاتم ، وقال الترمذي حسن صحيح ومعني نحشر نجتمع .

وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ : **«أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حُبسو وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف عليّ (بتشديد الياء) ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور»** رواه الدارمي والترمذي وقال غريب .

وفي حديث رواه صاحب كتاب حادي الأرواح العلامة ابن القيم أن رسول الله ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالآذان .

وأخرج الحاكم والطبراني من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : **«تبعث الأنبياء على الدواب وابعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي بالأذان محضاً وبالشهادة حقاً ، حتى إذا قال أشهد أن محمداً رسول الله شهد له المؤمنون من الأولين والآخرين»** . وفي رواية فإذا سمعت الأنبياء وأممها أشهد أن محمداً رسول الله قالوا نحن نشهد على ذلك» .

وعن كعب الأحبار أنه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله ﷺ فقال كعب : ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلّون على النبي ﷺ حتي إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى ﷺ سبعون ألفا بالليل وسبعون ألفا بالنهار حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه ﷺ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :**«أنا أول من تنشق عنه الأرض فأُكسى حُلّة من حُلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»** رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، وفي رواية كعب حُلّة خضراء .

وأخرج البيهقي :**«أول من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بي فأكسى حُلّة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه أنه يجلس على الكرسي عن يمين العرش»** .

وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند الشيخين :**«حَوْضي مَسِيرة**

شهر ماؤه أبيض من اللبن ورائحته أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء مَنْ شرب منه شربة لا يظمأ ابداً» .

وفي رواية مسلم «وزواياه سواء طوله كعرضه» وزاد في حديث امامة : «ولم يسود وجهه ابداً» وزاد في حديث أنس «ومن لم يشرب منه لم يرو أبداً» رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب
القوت وغيره إلي أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون إلى العكس .

وفي حديث أبي ذر ما رواه مسلم : «أن الحوض يشعب فيه ميزابان من الجنة» .

وعن أنس قال : «سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل ان شاء الله ، قلت فأين اطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط ، قلت فإن لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان ، قلت فإن لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطىء هذه الثلاثة مواطن» رواه الترمذي وحسنه .

قال القرطبي في المُفْهِم : مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أنه تعالى قد خص نبينا محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي إذ روى ذلك عنه ﷺ من الصحابة نيف على ثلاثين ، منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت روايته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا واجتمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف .

وفي رواية مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : «ترد عليّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل عن إبله ، قالوا يارسول الله تعرفنا

قال نعم لكم سيماء ليست لأحد غيركم تردون عليّ غراً محجلين من آثار الوضوء» .

وفي حديث أنس أنه ﷺ قال : **«الحوضي أربعة أركان الأول بيد أبي بكر الصديق والثاني بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذي النورين والرابع بيد علي بن ابي طالب ، فمن كان محباً لأبي بكر مبغضاً لعمر لا يسقيه أبو بكر ومن كان محباً لعلي مبغضاً لعثمان لا يسقيه عليّ»** رواه أبو سعيد النيسابوري .

وأما تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى : **﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾**(1) .

واتفق المفسرون على أن كلمة (عسى) من الله واجب وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال أوّلها ورجحه الفخر الرازي وأجمع عليه المفسرون كما قاله الواحدي أنه مقام الشفاعة ووردت الأخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخاري من حديث ابن عمر قال : **«سُئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة»** وفيه ايضاً عنه قال رسول الله ﷺ : **«إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثيّ أي جماعات كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إليّ فذلك المقام المحمود»** ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور «وابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون» .

القول الثاني قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تُكلّم نفس فأول مدعوٍ محمد ﷺ فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك ولا ملجأ منك إلاّ إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت ، قال فهذا هو المراد من قوله عسى أن

---

(1) [الآية (79) الاسراء] .

يبعثك ربك مقاماً محموداً رواه الطبراني قال ابن منده حديث مجمع على صحة إسناده وثقة رجاله .

القول الثالث : مقام محمد عاقبته فإن قلت إذا قلنا بالمشهور أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة فأيّ شفاعة هي ، فالجواب أن الشفاعة التي وردت في الأحاديث في المقام المحمود نوعان :

النوع الأول العامة في فصل القضاء ، **والثاني** في الشفاعة في إخراج المذنبين من النار ، لكن الذي يتجه رد هذه الأقوال كلها إلى الشفاعة العامة فان إعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه هي صفات للمقام المحمود الذي يشفع فيه ليُقْضي بين الخلق ، وأما الشفاعة في إخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك ، وقد جاءت الأحاديث التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين فعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: **«أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض فأحزنني وسبق لهم من الله ما سبق للأمم فسألت الله أن يؤتيني فيهم شفاعةً يوم القيامة ففعل»** .

وفي حديث أبي هريرة **«لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أخبيء دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة»** » وفي رواية أنس فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي وهذا من مزيد شفقته ﷺ علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في أهم أوقات حاجاتنا جزاه الله عنا أحسن الجزاء .

وقد قال النووي الشفاعات خمس :

الأولى : في الإراحة من هول الموقف .

الثانية : في إدخال قوم الجنة بغير حساب .

الثالثة : في إدخال قوم حُوسبوا واستحقوا العذاب أن لا يعذبوا .

الرابعـة : في إخراج من أُدخل النار من العصاة .

الخامسة : في رفع الدرجات في الجنة .

وأما تفضيله بأنه أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلهـا ففي صحيح مسلم في كتاب الإيمان عـن أنس قال : قال ﷺ : **«أنا أكثـر الناس تابعاً يوم القيـامة وأنا أول من يقرع باب الجنة»** .

وفي الصحيـح أيضاً : يقول ﷺ : **«آتي باب الجنة يوم القيامـة فأستفتح فـيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أُمرت لا افتح لأحد قبلك»** .

وهذه الأوّلية تنالهـا الأمة المحمدية ايضاً اكـراماً لنبيهـا ﷺ فهم أيضاً أول من يدخل الجنة من الأمم كـمـا جاء في صـحـيح مسلم : قـال ﷺ : **«نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة»** .

وعند الطبـراني في الأوسط والدار قطني عن عمـر بن الخطاب رضي الله عنه قـال قال رسـول الله ﷺ : **«إن الجنة حُـرمت على الأنبيـاء كلهم حـتى أدخلهـا وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي»** .

وأما تفضيله بالكوثر فـهو ثابت في الصحيح قال ﷺ : **«أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال إنه نهـر وعدنيه ربي»** وقد سمي بالكوثر لـكثرة مائه وعظم قدره وخيره ، قال الحافظ ابن كثير - قد تواتر يعني حديث الكوثر من طريق تفيد القطع - عن كثير من أئمة الحديث .

وأما تفضـيلـه ﷺ في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفـيعة والفضيلـة فروى مسلم من حديـث عبد اللـه بن عمرو بـن العاص أن رسول اللـه ﷺ قال : **«إذا سمـعتم المؤذن فقولوا مـثل ما يقول ثم صلوا عليّ فإنه مَنْ صلـى عليّ صلاة واحدة صلى**

الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيـلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة» .

والوسيلة درجة عند الله عَـلَم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش .

ولما كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربّه وأعلمهم به وأشدّهم له خشية وأعظمهم له محبة كانـت منزلته أقرب المنازل إلى الله تعالى وهي أعلى درجة في الجنة ، وأمر ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزُّلْفى وزيادة الايمان .

كمال فضله الثابت بكتاب الله

ورد في القـرآن الكريم آيات كثيرة تتـضـمن عظم قدره ورفـعة ذكـره وجليل مـرتبتـه وعلو درجـتـه وتشـريف منزلتـه ﷺ ، فمن ذلك قـوله تعـالى : ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**﴾ .

وهذا إخـبـار بمنزلة النبـي ﷺ في الملأ الأعلى بأنه يُثْنى علـيـه عند الملائكة وأن الملائكة تصلّي عليه ثم أمـر العالم السفلي بالصلاة والتـسليم عليه فيجـتمع الثناء عليه من الله وأهل العالمين العلوي والسفلي .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**إنا أعطيناك الكوثر**﴾ .

وفي هذه الآية مَنْقـبـة ظاهرة له ﷺ إذ عـبّرت عن ذلك بـلفظ الماضي ولـم يقل سنعطيك ليـدل على أن هذا الاعطاء حـصل في الزمـان الماضي ، ولا شك أن من كـان في الزمان الماضى عـزيزاً مـرعي الجانـب أشرف ممن سـيصـيـر كذلك كـأنه سبـحانه وتعالى يقـول يا محمد قـد هيّأنا أسبـاب سعادتك قـبل دخولك في هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا أيها العبد الكريم ، إنا لم نعطك هذا الفضل العظيم لأجل طاعتك وإنما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب .

ومن ذلك أنه تعالى أقسم على ما أنعم به عليـه وأظهره من قدره العلي بقوله : ﴿**والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى**﴾ .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**الم نشرح لك صدرك**﴾ [الآية (١) الشرح] .

ومن ذلك إخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالى : ﴿**عفا الله عنك لم اذنت لهم**﴾ [الآية (٤٣) التوبه] .

ومن ذلك إخباره تعالى بتمنى أهل النار طاعته ﷺ في قوله تعالي : ﴿**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا**﴾ [الآية (٦٦) الاحزاب] .

ومن ذلك أن الله سبحانه وتعالى وصفه بالشهادة وشهد له بالرسالة في قوله جل وعلا حكاية عن ابراهيم واسماعيل عند بناء البيت : ﴿**ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾[1] فاستجاب الله دعاءهما وبعث في أهل مكة منهم رسولاً بهذه الصفة وقد أجمع المفسرون على أنه ﷺ هو المراد بهذه الآية ويؤيد ذلك قوله ﷺ : «**أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى**» . قالوا وأراد بالدعوة هذه الآية وبشارة عيسى هي ما ذكر في سورة الصف ﴿**ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد**﴾ [الآية (٦) الصف] .

ومن ذلك أن الله امتنّ على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم فقال : ﴿**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب**﴾ [الآية (١٦٤) آل عمران] ، فليس لله منّة على المؤمنين أعظم من ارساله محمداً ﷺ يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم وإنما كانت النعمة على هذه

---

(١) [الآيات من (١٢٧) إلى (١٢٩) البقرة] .

الأمة بإرساله أعظم النعم لأن النعمة به ﷺ تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده .

وفي قوله تعالى : **﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً﴾**[الآيتان (٤٥ ، ٤٦) الأحزاب] .

وفي قوله جل ذكره **﴿والله يشهد أنك لرسوله﴾**. [الآية (١) المنافقون] .

وفي قوله : **﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾** .

ومن ذلك أن الله أخبر أنه ﷺ مبعوث لكافة الخلق بقوله :

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾[١] وقوله : **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾**[٢] .

ومن ذلك إن الله تعالى أخبر أنه جعله كله رحمة فقال : **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[٣] وسماه باسمين من أسمائه فقال : **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**[٤] قال ابن عباس : فهو رحمة للبر والفاجر لأن كل نبي إذا كُذّب أهلك الله من كذبه أما نبينا ﷺ فهو رحمة للمؤمنين بالهداية ورحمة للمنافق بالأمان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب ، قال الله تعالى : **﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾**[٥] .

ومن ذلك أن الله تعالى أخبر أن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعده ﷺ ولا نبي بقوله جل ذكره **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾**[٦] .

---

(١) [الآية (١٥٨) الأعراف] . (٢) [الآية (٢٨) سبأ] . (٣) [الآية (١٠٧) الأنبياء] .
(٤) [الآية (١٢٨) التوبة] . (٥) [الآية (٣٣) الانفال] . (٦) [الآية (٤٠) الاحزاب] .

ومن ذلك أن الله تعالى أخبر أن الكتب السابقة كالتوراة والانجيل اشتملت على التنويه برسالته ﷺ بقوله : **﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل﴾**[1] .

ومن ذلك أن الله تعالى وصفه في القرآن بأنه بلغ أكمل درجات الأخلاق بقوله : **﴿وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾**[2] .

وإلى هذا أشارت عائشة رضي الله عنها بقولها : «كان خلقه القرآن» فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً وتبييناً وعلومه علوم القرآن وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن واعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهتِهِ لما كرهه ومحبته لما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره فترجمت رضي الله عنها لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن .

ومن ذلك أنه سبحانه وتعالى أقسم بالضحى على ما أنعم به عليه وأظهره من قدره العلي لديه بقوله : **﴿والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى﴾** .

وكان هذا في مقابلة قول أعدائه «ودّع محمداً ربه» وذلك لما انقطع الوحي عنه فترة فجاءت هذه الآيات متضمنة هذه الفضائل والمنح الربانية والتي نفى فيها سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه ، فالتوديع الترك والقلى البغض أي ما تركك منذ اعتنى بك ولا أبغضك منذ احبك **﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾** وهذا يعم أحواله ﷺ ويدل على أن كل حالة يرقيه إليها هي خير له مما قبلها كما أن الدار الآخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده ﷺ بما تقرّبه عينه وينشرح به صدره ، وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى ونشر دعوته وإعلاء كلمته

---

(١) [الآية (١٥٧) الأعراف] .

(٢) الآية (٤) القلم] .

على أعدائه في مدة حياته وأيام خلفائه ومَنْ بعدهم وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر . وبالجملة فقد دلت هذه الآية على أنه تعالى يعطيه ﷺ كل ما يرضيه . وقد جاء في الصحيح أن الله تعالى قال له إنّا لن نخزيك في أمّتك . وفي ذلك يقول بعضهم :

قرأنا في الضحى ولسوف يُعْطى	فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى	وفينا من يُعذّب أو يساء

ثم ذكّره سبحانه بنعمه عليه وأمره أن يقابلها بما يليق بها من الشكر فقال تعالى : **﴿ألم يجدك يتيما فآوى﴾** إلى آخر السورة .

ومن ذلك أنه تعالى أقسم على تصديقه وتنزيهه عن الهوى في نطقه بقوله : **﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى﴾** فأقسم تعالى بالنجم على براءة رسوله مما نسبه إليه اعداؤه من الضلال والغي . وتأمل قوله تعالى : **﴿ما ضل صاحبكم﴾** ولم يقل محمداً تأكيداً لاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غيٍّ ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمراً واحداً ، وقد نبّه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل **﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾**(١) ثم نزّه نطق رسوله ﷺ عن أن يصدر عن هوى فقال تعالى : **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى﴾**(٢) وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه إياها : ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه ﷺ

---

(١) [الآية (٦٩) المؤمنون] .

(٢) الآيتان (٣، ٤) النجم] .

الوحي والقرآن فقال : ﴿علمه شديد القوى﴾[1] وهو جبريل ولا شك أن مدح المعلم مدح للمتعلم وهذا نظير قوله تعالى : ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾[2] ثم قال تعالى : ﴿فأوحى إلى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى﴾[3] فاخبر سبحانه عن تصديق فؤاده ﷺ لما رأته عيناه وأن القلب صدّق العين وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدّقه الفؤاد .

ومن ذلك أن الله تعالى وصف حقيقة تلقي النبي ﷺ وكيفية أخذه له وبيّن سنده في ذلك قوله : ﴿فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس ، والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ، إنه لقول رسول كريم ذي قوة﴾[4] كما قال في النجم ﴿علمه شديد القوى﴾فيمنع بقوته الشياطين أن يدنوا منه وأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ﴿عند ذي العرش مكين﴾أي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم ﴿مطاع﴾في ملائكة الله تعالى المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه ﴿ثم﴾هناك ﴿أمين﴾على وحي الله ورسالته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن وأنه سماع محمد ﷺ من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علواً وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله محمداً ﷺ وزكاه مما يقول فيه أعداؤه فقال : ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾[5] وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وإن قالوا بألسنتهم - خلافه فهم يعلمون أنهم كاذبون ثم أخبر عن رؤيته ﷺ لجبريل عليه السلام بقوله : ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾[6] وهذا يتضمن أنه ملك موجود

---

(١) [الآية (٥) النجم] .
(٢) [الآية (٢٠) التكوير]
(٣) الآيتان (١٠ ، ١١) النجم] .
(٤) الآيات من (١٥ إلى ٢٠) التكوير] .
(٥) الآية (٢٢) التكوير] .
(٦) الآية (٢٣) التكوير] .

في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر **﴿وما هو على الغيب بضنين﴾** [١] قال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله ، واجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحى وقُرىء «بظنين» ومعناه المتهم والمعنى ما هذا الرسول وهو محمد ﷺ على القرآن بمتهم بل هو أمين فيه لا يزيد ولا ينقص منه .

ومن ذلك أن الله تعالى أقسم به فقال **﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾** [٢] وأقسم ببلده فقال : **﴿لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد﴾** [٣] والبلد هي أم القرى وأقسم بعصره فقال : **﴿والعصر إن الإنسان لفى خسر﴾** [٤] .

ومن ذلك أن الله تعالى وصفه بالنور والسراج المنير ﷺ فقال : **﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾** [٥] . وأمر بطاعته واتباع سنته فقال : **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله﴾** [٦] فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته وجعل بيعته بيعته فقال **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾** [٧] .

ومن ذلك أن الله تعالى فى كتابه العزيز أمر بالأدب معه ﷺ فقال : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾** [٨] أي لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله تعالى على لسانه . وانظر أدب الصديق رضى الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة لما تقدم بين يديه كيف تأخر فقال : ما كان لابن ابي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ وكيف أورثه الله مقامه والامامة بعده .

وقال الضحاك : لا تقضوا امراً دون رسول الله ﷺ ، وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى .

---

(١) [الآية (٢٤) التكوير] . (٢) [الآية (٧٢) الحجر] . (٣) [الآيتان (١، ٢) البلد] .
(٤) الآيتان (١، ٢) العصر] . (٥) [الآية (١٥) المائدة] . (٦) [الآية (٢٠) الانفال] .
(٧) [الآية (١٠) الفتح] . (٨) [الآية (١) الحجرات] .

فمن الأدب أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما أمر الله تعالى بذلك فى هذه الآية وهذا باق إلى يوم القيامة لم ينسخ ، فالتقدم بين يدي سنته وبعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم .

ومن الأدب معه ﷺ أن لا ترفع الأصوات فوق صوته كما قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض**﴾(١) وأفاد أنه ينبغي أن لا يتكلم المؤمن عنده ﷺ كما يتكلم العبد عند سيده أي بل يكون صوته دون صوته مع سيده وإذا كان رفع الأصوات فوق صوته ﷺ موجباً لحبوط الأعمال فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ﷺ ، وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال : والله يارسول الله لا اكلمك إلا كأخي السرار - أي الكلام الخفي الذي يُراد كتمه - وأن عمر رضي الله عنه كان إذا حدثه حدثه كأخي السراري ما كان يسمع النبي ﷺ حديثه بعد هذه الآية حتي يستفهمه .

وروي أن أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله عز وجل أدّب قوماً فقال : ﴿**لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي**﴾ ومدح قوماً فقال : ﴿**إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله**﴾(٢) وذم قوما فقال : ﴿**إن الذين ينادونك من وراء الحجرات**﴾(٣) الآية - وإن حرمته ميتاً كحرمته حيا - فاستكان لها أبو جعفر .

ومن الأدب معه ﷺ أن لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالي : ﴿**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾(٤) وفيه قولان للمفسرين .

---

(١) [الآية (٢) الحجرات] .
(٢) [الآية (٣) الحجرات] .
(٣) [الآية (٤) الحجرات] .
(٤) [الآية (٦٣) النور] .

أحدهما : لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضاً بل قولوا : يا رسول الله - يا نبى الله ، مع التوقير والتواضع .

والثانى : أن المعني لا تجعلوا دعاءه لكم منزلة دعاء بعضكم بعضاً إن شاء المدعو أجاب وإن شاء ترك ، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة فان المبادرة إلى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة .

ومن الأدب معه ﷺ أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع مع خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهباً في حاجة له حتى يستأذنه كما قال الله تعالى : **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه﴾**(1) .

ومن الأدب معه ﷺ أنه لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء بقوله ، ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقي لنصوصه ، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال مخالف تسميه أصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد فكل هذا من قلة الأدب معه وهو عين الجرأة عليه ﷺ ، ورأس الأدب معه ﷺ كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل على أن يقدم عليه آراء الرجال فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد للرسول كما وحد المرسل بالعبادة فهما توحيدان لا نجاة إلا بهما .

والقرآن مملوء بالآيات المرشدة إلى الأدب معه ﷺ لما قال المشركون : **﴿يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾**(2) أجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير

---

(1) [الآية (٦٢) النور] .

(2) الآية (٦) الحجر] .

واسطة فقال : **﴿نٓ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾** [1] .

ولما قالوا : **﴿افترى على الله كذباً﴾** أجاب تعالى عنه فقال : **﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد﴾** [2] .

ولما قالوا : **﴿لست مرسلاً﴾** [3] أجاب الله تعالى عنه فقال : **﴿يٓس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾** [4] .

ولما قالوا : **﴿إنّا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾** [5] أجاب تعالى عنه فقال **﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾** [6] فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال **﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم﴾** . [الآية (٣٨) الصافات] .

ولما قالوا **﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾** [7] أجاب الله تعالى عنه فقال **﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾** . [الآية (٦٩) يس] .

ولما حكى الله عنهم قولهم **﴿إن هذا إلا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾** أجاب الله تعالى عنه فقال **﴿فقد جاءوا ظلماً وزوراً﴾** وقال ردا لقولهم أساطير الأولين **﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾** . [الآيتان (٥، ٦) الفرقان] .

ولما قالوا يلقيه إليه الشيطان قال تعالى **﴿وما تنزلت به الشياطين﴾** . [الآية (٢١٠) الشعراء] .

---

(١) [الآيتان (١، ٢) القلم] . (٢) [الآية (٨) سبأ] . (٣) [الآية (٤٣) الرعد] .
(٤) [الآيتان (١، ٢) يٓس] . (٥) [الآية (٣٦) الصافات] . (٦) [الآية (٣٧) الصافات] .
(٧) [الآية (٣٠) الطور] .

ولما تلا عليهم نبأ الأولين قال النضر بن الحارث **﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾** [1] أجاب الله تعالى عنه فقال **﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾** . [الآية (٨٨) الاسراء] .

ولما قال الوليد بن المغيرة **﴿إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر﴾** [2] أجاب تعالى عنه فقال **﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾** [3] تسلية له عليه الصلاة والسلام .

ولما قالوا : محمد قلاه ربه أجاب الله تعالى عنه فقال **﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾** [4] .

ولما قالوا **﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾** [5] أجاب الله تعالى عنه فقال **﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق﴾** [6] ولما حسدته أعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا «ما همته إلا النكاح» أجاب الله تعالى عنه فقال **﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً﴾** . [الآية (٥٤) النساء] .

ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر بقولهم الذي حكاه الله تعالى عنه **﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾** [7] وجهلوا أن التّجانس يورث التآنس وأن التخالف يورث التباين .

---

(١) [الآية (٣١) الانفال] . (٢) [الآيتان (٢٤، ٢٥) المدثر] . (٣) الآية (٥٢) الذاريات] .
(٤) [الآية (٣) الضحى] . (٥) الآية (٧) الفرقان] . (٦) الآية (٢٠) الفرقان] .
(٧) [الآية (٩٤) الإسراء] .

أجاب الله تعالى عنه فقال : **﴿قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾**[1] أي لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان أهل الأرض من البشر وجب أن يكون رسولهم من البشر .

(١) [الآية (٩٥) الإسراء] .

كمال عبادته لربه عز وجل

كانت عبادات النبي ﷺ دائمة مستمرة متواصلة في الليل والنهار . سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ هل كان يخص شيئا من الأيام - أي ويترك العمل في أيام - فقالت : لا ، كان عمله ديمة وأيّكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع[1] ؟! ولم يَدَعْ رسول الله ﷺ نوافله وتطوعاته طيلة عمره كما جاء عن أم سلمة ، قالت : ما مات رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صلاته - أي التطوع - وهو جالس وكان أحب العمل إليه ما داوم عليه العبد وإن كان شيئاً يسيراً[2] ، وكان له ﷺ أكمل ذوق الحلاوة في العبادة وألذ راحة ونعيم بها .

وقد كان يقول ﷺ : **«قم يا بلال أرحنا بالصلاة»**[3] ويقول ﷺ : **«وجعلت قرة عيني في الصلاة»**[4] وكان منهاجه ﷺ في العبادة : إنه إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه .

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : **«أكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن احب العمل إلى الله أدوَمُه وإن قل ، وكان ﷺ إذا عمل عملاً أثبته»**[5] .

وكان ﷺ يواظب على قيام الليل ، وكان أغلب قيامه لصلاة الليل في أول النصف الثاني من الليل ، تقول السيدة عائشة ، كان ينام أول الليل ويحيي آخره[6] .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه .
(٣) رواه أحمد وغيره .
(٤) رواه أحمد وغيره .
(٥) رواه أبو داود .
(٦) رواه الشيخان .

وهذا القيـام بعد هذا النوم حكم له النبي ﷺ بأنه أحب القيـام بقوله : **«وأحب القيام إلى الله قـيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثـه وينام سدسه»** [1] وذلك ليستريح من نصب القـيام فانه بعد القيام يريح البـدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم بخلاف السهر إلى الصباح .

وفيه من الحكمـة أيضاً : استقبـال صلاة الصبح وأذكار النهار بنشـاط وإقبال ، وهذا بالنسـبة للـصلاة أيضـاً أقرب إلى عـدم الرياء لأن من نام السـدس الأخيـر أصبح ظاهر اللون سليم الصدر ، فهذا أقرب إلى إخـفاء عمله فى الليل كما ذكر ذلك الحافظ في الفـتح ، وبذلك يكون المتهـجد قد نال فـضائل تجليـات الرب عز وجل في الثلث الثاني والثلث الأخير .

وكانت له أوراد وقراءات قبل أن ينام ، فقـد جاء أنه كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل - أي سورة الاسراء - والزمر[2] .

وجـاء أنه : كان لا ينام حـتى يقـرأ : ألم تنزيل السـجـدة ، وتبارك الذي بيـده الملك[3] ، وجاء أنه كـان يقرأ المسـبحات قـبل أن يرقد وقـال فيهن آيـة أفضل من ألف آية[4] .

وكان ﷺ يواظب علـى صلاة الضحى وكـان تارة يصليهـا ركعتين وهـو أقلها وتارة أربعاً وهو الأغـلب وتارة ستاً وتارة ثمـانية وتارة اثنتي عـشرة ركـعة وذلك أفضلها وأكثرها .

وكان إذا صلى الفجر تربع فى مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس[5] وكانت له نوافل مطلقـة بعد المغرب ، فـتارة يصلي مِنْ بعـد المغرب إلى العـشاء[6] وتارة

---

(١) رواه الشيخان . (٢) رواه الترمذي وأحمد . (٣) رواه الترمذي والنسائي .
(٤) رواه أحمد وأصحاب السنن . (٥) رواه مسـلم . (٦) قال المنذر رواه النسائى باسناد جيد .

يصلي بعد المغرب ست ركعات ويقول **«إن من واظب عليها غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر»** ويقول **« مَنْ صلّى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عَدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة»**(٢) .

وكـان يكثر من الدعـاء ويحث عليـه ، وكان إذا دعـا يرفع يديه حـذو منكبيـه مشيراً بباطن كفيه نحو السماء تارة إن كان الدعاء بنحو تحصيل شيء وبظاهرهما إلى السماء تارة إن دعا بنحو دفع بلاء(٣) ، وكان يبالغ في رفع يديه في الاستسقاء وفي مواقف الاسـتغاثة بالله عـز وجل والاستنصار على الأعـداء ، وكان إذا رفع يديه في الدعاء لم يـحطّهما حـتى يمسح بهما وجـهه(٤) وكان يسـتقبل القبلة فى دعائه(٥) وكان يعجبه أن يدعـو ثلاثاً ويستغفر ثلاثاً(٦) وكان يستحب الجوامع من الدعاء ويَدَعْ مـا سوى ذلك(٧) المراد بجوامع الدعـاء ما جمع مع وَجَازته خـيري الدنيا والآخرة . فمن جوامع أدعيته : **«اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقِنا عذاب النار»**(٨) .

ومن جوامع أدعيته : **«اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيـها معاشي وأصلح لي آخـرتي التي إليها معادي واجـعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر»** .

ومنهـا أنه كـان يقـول : **«اللهم إني أعـوذ بـك من الشـقـاق والنفـاق وسـوء الأخلاق»**(٩) وقد ذكرت كتب السنن والآثار الكثير من أدعـيته الجامعة والتي كان يقولها فـي المناسبات المختلفـة والأزمنة والأحوال . وقد ذكرنا قبـسا من ذلك في كتابنا : «أذكار الأبرار» فاستعن به فإنه لا غنْية للسالك عن مثله .

---

(١) رواه الطبراني . (٢) رواه ابن ماجة والترمذي وقال غريب انظر الترغيب .
(٣) رواه أبو داود . (٤) رواه الترمذي والحاكم . (٥) رواه الترمذي .
(٦) رواه أبو داود . (٧) رواه أبو داود والحاكم . (٨) رواه الشيخان .
(٩) رواه أبو داود .

وكان ﷺ يكثر من التسبيح في الليل والنهار ، ويقول ربيعة بن كعب كُنت أخدمه نهاري فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله ﷺ فبت عنده فلا أزال اسمعه يقول سبحان الله سبحان ربي حتى تغلبني عيني فأنام[1] .

وكان ﷺ يكثر من الاستغفار في الليل والنهار في الصلوات ووراء الصلوات وفي سائر مجالسه وأحواله ويقول : «**والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[2] ويقول ابن عمر كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد : «**رب اغفر لي وتب عليّ إنك انت التواب الرحيم**» **مائة مرة**[3] ، وفي رواية : «**إنك انت التواب الغفور**» .

وكان تارة يقول : «**استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**» مائة مرة في مجلس واحد[4] ، وكان ﷺ يكثر من الصيام فيتابع الصوم أحياناً حتى يقول القائل لا يفطر ويترك ذلك أحياناً حتى يقول القائل لا يصوم .

وكان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وكان يصوم الاثنين والخميس ويتحرى صيامهما ويقول إنهما تعرض فيهما الأعمال فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم .

وكان ﷺ يعظم يوم مولده الشريف وهو يوم الاثنين فيصومه ويقول : «**ذلك يوم ولدت فيه** » كما رواه مسلم في صحيحه .

وكان يعتني بصيام أكثر شهر شعبان ، وكان يواصل الصيام أحياناً وإذا دخل شهر رمضان اجتهد في قيامه أكثر من غيره ثم اجتهد في عشره الأخير أكثر وأكثر بالاعتكاف وإحياء كل الليل .

---

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه أبو داود وابن حبان وصححه والترمذي .

(٤) أخرجه النسائي بسند جيد .

كمال خشيته من الله

كان رسول الله ﷺ أشد الناس خشية من الله تعالى ، وذلك لأنه قال الله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1] الآية . وهو أعلم العلماء كما جاء في الحديث .

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : صنع رسول الله ﷺ شيئاً ترخّص فيه ، وتنزّه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال : **«ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله ، وأشدّهم له خشية»** .

وفي هذا الحديث بيان منه ﷺ وإعلان أفضليته على جميع العباد بالعلم بالله تعالى والخشية من الله تعالى وأن الله تعالى قد أعطاه أفضل وأكمل مقام في المعرفة والخشية .

يقول أنس رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط ، فقال : **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، ثم قال : عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً»** .

فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، غطوا رؤوسهم ولهم خنين .

وفي هذا دليل على عظيم خوفه من الله تعالى وكثرة بكائه من خشية الله تعالى ، ومن كمال خشيته ﷺ أنه كان ﷺ دائم الانكسار والتواضع لربه تعالى في

(١) [الآية (٢٨) فاطر] .

سائر مواقفه الكريمة ومشاهده العظيمة في صلواته وسائر عباداته وسائر شؤونه وقضاياه .

وقد بلغ من خشوعه في صلاته إنه سمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل ، ويقول عليٌّ رضي الله عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يبكي وهو يصلي حتى أصبح ، ولما دخل مكة يوم الفتح دخلها خاشعاً لربه تعالى ، وصلى الله عليه أفضل وأشرف صلاته وعلى آله وصحبه .

الفصل الثانى

نورانية بشريته ﷺ

- الأنبياء ساده البشر
- صفات الأنبياء
- يرى من خلفه كما يرى من أمامه
- يرى ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع
- ابطه الشريف ﷺ
- حفظه من التثاؤب
- عرقه الشريف ﷺ
- طوله ﷺ
- ظله ﷺ
- دمه ﷺ
- نومه ﷺ
- جماعة ﷺ
- حفظه ﷺ من الاحتلام
- الاستشفاء ببوله ﷺ
- ريق الحبيب شفاء وترياق
- نورانيته ﷺ

نورانية بشريته ﷺ

يظن بعض الناس أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يساوون غيرهم من البشر فى كل أحوالهم وأعراضهم وهذا خطأ واضح وجهل ترده الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة .

وهم وإن كانوا يشتركون مع جميع بنى آدم فى حقيقة الأصل التى هى البشرية من قوله جل ذكره : **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾** إلا أنهم يختلفون عنهم فى كثير من الصفات والعوارض وإلا فما مزيتهم ؟ وكيف تظهر ثمرة اصطفائهم على غيرهم واجتبائهم على من سواهم ؟

وسنذكر فى هذا المبحث شيئاً من صفاتهم فى الدنيا وخصائصهم فى البرزخ التى ثبتت لهم بنص الكتاب والسنة .

الأنبياء سادة البشر

الأنبياء هم الصفوة المختارة من عباد الله شرّفهم الله بالنبوة وأعطاهم الحكمة ورزقهم العقل وسداد الرأى واصطفاهم ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه يبلّغوهم أوامر الله عز وجل ويحذرونهم غضبه وعقابه ويرشدونهم إلى ما فيه سعادتهم فى الدنيا والآخرة وقد اقتضت حكمة الله أن يكونوا من البشر ليتمكن الناس من الاجتماع بهم والأخذ عنهم والاتباع لهم فى سلوكهم وأخلاقهم والبشرية هى عين إعجازهم فهم بشر من جنس البشر لكنهم متميزون عنهم بما لا يلحقهم به أحد ومن هنا كانت ملاحظة البشرية العادية المجردة فيهم دون غيرها هى نظرة جاهلية شركية . فمن ذلك قول قوم نوح فى حقه فيما حكاه الله عنهم إذ قال :

﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك إلا بشراً مثلنا﴾ . [الآية (٢٧) هود] ومن ذلك قول قوم موسى وهارون فى حقهما فيما حكاه الله عنهم إذ قال : **﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾** [الآية (٤٧) المؤمنون] . ومن ذلك قول أصحاب ثمود له فيما حكاه الله عنه بقوله : **﴿ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾** [الآية (١٥٤) الشعراء] ومن ذلك قول أصحاب الأيكة لنبيهم شعيب فيما حكاه الله عنهم بقوله : **﴿قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين﴾** [الآيتان (١٨٥، ١٨٦) الشعراء] ومن ذلك قول المشركين فى حق سيدنا محمد ﷺ وقد رأوه بعين البشرية المجردة فيما حكاه الله عنهم بقوله : **﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق﴾** [الآية (٧) الفرقان] .

صفات الأنبياء

والأنبياء صلوات الله عليهم وإن كانوا من البشر يأكلون ويشربون ويصحون ويمرضون وينكحون النساء ويمشون فى الأسواق وتعتريهم العوارض التى تمر على البشر من ضعف وشيخوخة وموت إلا أنهم يمتازون بخصائص ويتصفون بأوصاف عظيمة جليلة هى بالنسبة لهم من ألزم اللوازم ومن أهم الضروريات وهذه الصفات نلخّصها فيما يلى :

١ - الصدق ٢ - التبليغ ٣ - الأمانة

٤ - الفطانة ٥ - السلامة من العيوب المنفّرة ٦ - العصمة

وليس هذا محل تفصيل هذه الصفات فقد تكفلت بها كتب التوحيد وسنذكر هنا بعض الصفات التى يتميز بها الأنبياء عن البشر ونكتفى بذكر ما ثبت فى حق سيد الأنبياء ﷺ .

يرى من خلفه كما يرى من أمامه

فقد أخرج الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال :**«هل ترون قبلتى ها هنا ؟ فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم إنى لأراكم من وراء ظهري»** وأخرج مسلم عن أنس أن رسول الله قال :**«أيها الناس إنى أمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فإنى أراكم من أمامى ومن خلفي»** وأخرج عبد الرازق فى جامعة والحاكم وأبو نعيم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال :**«إنى لأنظر إلى ما ورائى كما أنظر إلى ما بين يدى»** واخرج أبو نعيم عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ :**«إنى أراكم من وراء ظهرى»** . .

يرى مالا نرى ويسمع مالا نسمع

عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ :**«إنى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون ، أطّت السماء وحق لها أن تئط والذى نفسى بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذّذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعداء تجأرون إلى الله» قال أبو ذر : ياليتنى كنت شجرة تعضد** . . رواه أحمد والترمذى وابن ماجه .

إبطه الشريف ﷺ

أخرج الشيخان عن أنس قال :**«رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه فى الدعاء حتى يرى بياض إبطيه»** وأخرج ابن سعد عن جابر قال **«كان النبى ﷺ إذا سجد يرى بياض ابطيه»** وقد ورد ذكر بياض إبطيه ﷺ فى عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة قال المحب الطبرى :**«من خصائصه ﷺ أن الإبط من جميع الناس متغير اللون غيره »**. . وذكر القرطبى مثل ذلك وزاد وأنه لا شعر فيه .

حفظه ﷺ من التثاؤب

أخرج البخارى فى التاريخ وابن أبى شـيبة فى المصنف وابن سعد عن يزيد بن الأصم قال : «مـا تثاءب النبى ﷺ قط» وأخرج ابن أبى شيـبة عن مسلمه بـن عبد الملك بن مروان قال : «ماتثاءب نبى قط» .

عرقـه الشـريف ﷺ

ننتقل إلى جانب آخـر من البشرية لرسول الله وهو عـرق رسول الله ﷺ يقول فينا جميعاً سيدنا الإمام على «يا ابن آدم تنتنك العرقة وتؤلمك البقة وتقتلك الشرقة وأنت مع ذلك تواجه الـقوى عز وجل بالمعـصية» أنت ضـعيف مـا الذى يجعلك تضع نفسك فى معصية الرحمن عـز وجل لكن سيد رسل الله وأنبياءه ﷺ أخرج فيـه مسلم عن أنس قال : **«دخل علينا رسول الله ﷺ فـقال عندنا فعـرق وجاءت أمى بقارورة فـجعلت تسلت العـرق فاسـتيقـظ النبى ﷺ فقال يا أم سلـيم ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت عرق نجعله لطيبنا وهو أطيب الطيب»**

«أن النبى ﷺ كان يأتى أم سليم فيقيل عندها فتـبسط له نطعاً فيقيل عليه وكان كـثير العرق فكانت تجـمع عرقه فتـجعله فى الطيب والقوارير فـقال : «ياأم سليم ما هذا» قالـت عرقك أدوف به طيبي» فقـد كان عرقـه أطيب من كل طيب حتى أنه ﷺ عندما كان يمشى ويريد أصحابه أن يعرفـوا أين ذهـب فيشمون رائحته فى الشارع الذى يمشى فيه فيـمشون وراء الرائحة إلى أن يصلوا إليه صلوات ربى وسـلامه عليـه وإذا وضع يده على رأس طفل تظل الرائحـة لمدة أسـبوع وليـست الرائحة وفـقط بل عندما يضع يده عـلى رأس طفل يجدوا أن جمـيع شعـر رأسه يشيب ما عـدا موضع يد رسول الله فكان كل من حوله يعرفـون ذلك الأمر حتى

بعد إنتقال الصحابة رضى الله عنهم لأنهم كـانوا يتبركون بهم فإذا مرض عندهم أحد يذهبون إلى الأطـفال أو الرجال الذين على رأسهم علامـة من يد رسول الله فيضعون أيديهم على موضع يد رسول الله ويضعونها على المكان المريض فيشفى بإذن الله عـز وجل مـع أن هذا المكان من سنوات فـيـشـفى علـى الفـور بإذن الله وببركة رسول الله ﷺ .

طــولــه ﷺ

فقد أخرج ابن خيثمه فى تاريخه والبيهقى وابن عساكر عن عائشة قالت : «لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ولم يكن على حال يماشـيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ﷺ ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولـهما فإذا فارقاه نُسب رسول الله ﷺ إلى الربعة» وذكـر ابن سبع فى الخصـائص ذلك وزاد - أنه كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين .

ظـلــــه ﷺ

أخرج الحكيم الترمذى عن ذكوان أن رسول الله ﷺ لم يكن له ظل فى شمس ولا قمـر قال ابن سبع من خـصائصه أن الظل كـان لا يقع على الأرض وأنه كان نوراً إذا مشى فى الشمس أو القـمر لا ينظر له ظل قال بعضهم ويشـهد له حديث قوله ﷺ فى دعائه : **«واجعلنى نوراً»** وذكر القاضى عيـاض فى الشفاء والعز فى مـولده : أن من خصـائصه ﷺ أنه كـان لا ينزل عليـه الذباب وذكره ابن سـبع فى الخصائص بلـفظ أنه لم يقع على ثيابه ذباب قط وزاد أن من خصائصـه أن القمّل لم يكن يؤذيه .

دمه ﷺ

أخرج البزار وأبو يعلى والطبرانى والحاكم والبيهقى عن عبد الله بن الزبير أنه أتى النبى ﷺ وهو يحتجم فلما فرغ قال : **«ياعبد الله أذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد فشربه . فلما رجع قال : ياعبد الله ما صنعت ؟ قال جعلته فى أخفى مكان علمت أنه مخفى عن الناس قال : لعلك شربته ؟ قلت نعم قال : «ويل للناس منك وويل لك من الناس فكانوا يرون أن القوة التى به من ذلك الدم»** .

نومه ﷺ

أخرج الشيخان عن عائشة قالت : **« يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ قال : ياعائشة إن عينى تنامان ولا ينام قلبي»** وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال : **«قال رسول الله ﷺ : تنام عينى ولا ينام قلبي»** وقال ﷺ : **«الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم»** .

جماعه ﷺ

أخرج البخارى من طريق قتاده عن أنس قال **كان النبى ﷺ يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة قلت لأنس أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين»** .

حفظه ﷺ من الاحتلام

أخرج الطبرانى من طريق عكرمة عن أنس وابن عباس والدنيورى فى المجالسة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال : **«ما احتلم نبى قط وإنما الاحتلام من الشيطان»** .

الاستشفاء ببوله ﷺ

أخرج الحسن بن سفيان فى مسنده وأبو يعلى والحاكم والدارقطنى وأبو نعيم عن أم أيمن قالت : « **قام النبى ﷺ من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها فلما أصبح أخبرته فضحك وقال : «إنك لن تشتكى بطنك بعد يومك هذا أبداً»** وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال أخبرت «**أن النبى ﷺ كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لإمرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة : أين البول الذى كان فى القدح ؟ قالت : شربته قال : صحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه**» .

وقد نظم بعضهم جملة من الخصائص التى تميز بها ﷺ عن غيره من جهة الصفات البشرية العادية فقال :

خُص نبينا بعشرة خصال ... لم يحتلم قط وماله ظلال

والأرض ما يخرج منه تبتلع ... كذلك الذُّباب عنه ممتنع

تنام عيناه وقلب لا ينام ... مِنْ خلفه يرى كما أمام

لم يتثاءب قط وهى السابعة ... ولد مختوناً إليها تابعة

تعرفه الدواب حين يركب ... تأتى إليه سرعة لا تهرب

يعلو جلوسه جلوس الجلسا ... صلى عليه الله صبحاً ومسا

ريق الحبيب شفاء وترياق

بل كان كل شيء يخرج من حضرته شفاء لمن تناوله فى وقته وحالته إذا كان الريق فهو شفاء من كل داء فقد كان كل قوم من العرب يجدون ماء بئرهم أصبح مالحاً يقولون يارسول الله البئر عندنا ماؤه مالح فيقول احضروا كوباً من الماء ويضع منه فى فمه ويتمضمض ويضعهم ثانية فى الكوب ويقول لهم ضعوا هذا الكوب فى بئركم فيتحول إلى ماء عذب فرات بأمر من يقول للشيء كن فيكون وهذا لم يحدث مرة أو مرتين بل كتب السيرة مملوءة بعشرات من هذه الروايات بمجرد وصول ريق رسول الله إلى الماء كيف يؤثر فى عروق الماء نفسها أو النبع ؟

هذا سر لا يعلمه إلا البديع عز وجل وهذا الريق أيضاً شفاء لكل الأمراض إذا كانت أمراض العيون أو أمراض البطن أو أمراض الجلد أو أى أمراض تنتاب الانسان وإذا كان يقول ﷺ : **«سؤر المؤمن شفاء»**[1] فكيف بسؤره ﷺ إنه شفاء الشفاء مع أن الأطباء يقولون أن الفم كله جراثيم وميكروبات وطفيليات مهما تطهر توجد فيه فهو بؤرة الجراثيم والميكروبات ولكن لغير المؤمنين أما سيد الأولين والآخرين فكل الذى تمرض عينه يأخذ من ريقه فيشفى وهذا الكلام موجود حتى فى الكتب السابقة لما علم أهل الكتاب بقرب زمان ولادته جاء كثير منهم إلى الجزيرة العربية منهم من سكن المدينة موطن هجرته ومنهم من سكن مكة وقد سكن منهم راهب فى مكة وسكن آخر قريباً من عرفات وهم من أحبار اليهود وفى الليلة التى ولد فيها رسول الله كانت لها علامة عندهم أن النجوم

---

(١) رواه ابن الجوزي عن ابن عباس بلفظ «من التواضع أن يشرب الرجل من سؤر أخيه ومن شرب من سؤر أخيه رفعت له سبعون درجة ومحيت عنه سبعون خطيئة» .

تقوم بعمل مظاهرات ذاهبة وراجعة حتى يعرفوا أن هذه الليلة ليلة الحضرة المحمدية وهذه كانت علامة عندهم فى الكتاب ولو أعددنا الذين رأوا هذه البشارة لاحتجنا إلى كتب كالمقوقس وقيصر أيضاً كانا يجيدان النظر إلى النجوم فأصبح يومها مهموماً فسألوه ما بك ؟ قال رأيت الليلة كوكب أحمد ظهر الليلة كوكب كبير ولونه أحمر ويملأ كل أركان الوجود وتزفه جميع النجوم الصغيرة ويراه كل من فى أرجاء الأرض فى وقت واحد لكن الآن عندنا نجوم وأمريكا فيها شمس الآن لم يروا هذه النجوم واللحظة الوحيدة التى يلتقى فيها المشرقين والمغربين لحظة غروب الشمس فى مكة المكرمة فى وقت واحد فالراهب الذى رأى هذا النجم الذى كان يسكن بجوار مكة أرسل منادياً ينادى ويقول يا أهل مكة مَنْ ولد له مولود الليلة فليأتنى به ؟ فسيدنا عبد المطلب ذهب إليه فعندما رآه ورأى أوصافه قال له كن أباه فقال أب لمن ؟ قال : المولود الذى سيختم به الله عز وجل الرسالات وبعد أربعة أيام رمدت عين سيدنا رسول الله ﷺ وكان أهل مكة إذا مرض أحد يأخذوه إلى الراهب الذى يسكن فى عرفات فذهبوا به إليه فقال لهم هذا دواؤه معه قالوا : وكيف يكون ذلك ؟ فقال خذوا من ريقه وضعوه فى عينه يشفى فأخذوا من ريقه ووضعوه فى عينه فشفى صلوات ربى وسلامه عليه ، وعندما أراد أن يفتح حصن خيبر هو والمسلمين ومكثوا يومان ولم يستطع أحد الدخول وفى المساء قال لهم : غداً سأعطى الراية لرجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله فباتوا جميعاً يتمنون هذا الشرف وهذه المنزلة العظيمة حتى أن سيدنا عمر قال : ما تمنيت الإمارة فى يوم إلا فى هذا اليوم وفى الصباح قال الرسول : أين على قالوا فى عينيه رمد فقال ائتونى به وكان به رمد شديد فأخذ من ريقه ووضع فى عينه وسلمه الراية وقال له سيفتح الله عز وجل عليك فلم يحتج إلى مس ثلاثة أيام أو ثلاث مرات ولكنها مرة واحدة فذهب الألم وشُفيت العين فى

الحال كم أبرأت وصباً باللمس راحتة كم وكم إلى يوم الدين وليس فى زمانه فقط ولكن رسول اللـه يعالج وأحيـاناً فى زيارات منزلية لكن لمن ؟ للسـعداء الأتقـياء الأنقيـاء فهناك أناس يستـدعيهم ويأخـذهم فى العيـادة المحمدية ويعـالجهم هناك وأناس يأتى إليـهـم بنفسـه فى زيارة منزليـة ويزورهم ويعـالجـهم صلوات ربى وسلامه عليه والذى يكتم هذه الحقيقة الأعمى المسكين الذى لا يرى شيئاً .

وكذلك كان ريقه ﷺ يطهر رائحة الفم وقد ورد أن إمرأة أرسلت بناتها الأربع إلى رسـول الله ﷺ لتطيـب بريقـه أفـواههن فـذهبـوا للرسـول وهو يأكل قـديداً والقديد هو اللحم المجـفف وكانت لا توجد ثلاجات فكانوا يأكلون مـن الذبيحة والباقى يحمروه ويجـففوه ليعيش مدة طويلة فأعطاهـا قطعة لحم وقال لها أعطى كل واحدة من أخـواتك قطعة منه بعـد أن وضعهـا فى فمه فكن أنقى أفـواه نساء المدينة رائحة ولو جلسنا نعد العلاجات التى عـالج بها رسول الله نجد أنها ليست لها نهاية .

فقد وصل به الأمر إلى أنـه عمل عملية جراحية لم يقم بهـا أحداً من السابقين أو اللاحقين لواحد من أصحابه الكرام فى غزوة بدر فقد ظل يحارب إلى أن قُطع ذراعه وتـعلق على قطعة جلد فـقط بعد قـطع العظم واللحم وكان عندهم عـزيمة غريبة فى الجهاد نفـخها فيهم سيدنا رسول الله الواحـد منا يكون ذاهباً إلى مشوار وعندما يعطس عطـسة واحدة يقول لا أذهـب هذا المشوار اليوم بسـبب البرد لكن هذا الرجل قطع ذراعـه وبقى القليل فـقـال له أتعطلنى عن الحـرب فى هذا اليـوم ووضع قدمه على ذراعـه وفصله عن جسده من أجل أن يحـارب ونسى ذراعه ما هذه الهمة يـاإخوانى ؟ مثلما قال فـيهم الله : **﴿محمد رسـول الله والذين معه﴾** [الآية (٢٩) الفتح] شرف ما بعده شـرف أن يكونوا فى هذه اللوحة هو ومن معه والتكريم يكون لكل الذين معه يوم التكريم العظيم لكل من كان معه ، الذى كان

يطبخ له تكريم والذى كان يكنس له تكريم والذى كان متخلفاً فى المنزل له تكريم كل من كان فى الكتيبة المحمدية لابد أن يكون مكرماً عند رب البرية عز وجل فيا هناءه كل من كان فى كتيبة رسول الله وهذه موجودة إلى أن يلقى الناس الله عز وجل بعد زوال الزمان وانتهاء المكان وبعدما انتهت المعركة تذكر ذراعة فذهب إلى رسول الله ﷺ فقال له أحضر ذراعك وطبعاً الأنسجة والشرايين والعظم كل شيء تقطع هل هناك شيء فى عالم الدنيا يضمه إلى بعضه ؟ إذا كان جرحاً سطحياً يخيط ولم يكن هناك مسامير أو جبس أو غير ذلك فأخذ من ريقه ﷺ ووضع على ذراعه وضمه إلى جسده فشفى فى الحال وصار خير ذراعية كيف شفى العصب والأوردة وتنقل فيهما الدم ؟ ولم يعمل إشاعة ولا غيره لأن هذه بركة ريق رسول الله ﷺ .

وكذلك السيدة فاطمة رضى الله عنها وأرضاها عندما تكون مشغولة كانت تحضر الحسن أوالحسين وتتركهما عند حضرة النبى فى فترة الرضاعة إلى أن تنتهى من شغلها فعندما يجوع أحدهما يعطى له لسانه ليرضع فيه فيشبع بأمر الله عز وجل وهذا ليس مرة ولكن مراراً وتكراراً هذا ريق رسول الله حتى لا يقول الجهلاء أنه فى البشرية مثلنا وهكذا إذا تكلمنا فى بشرية رسول الله فإننا نحتاج إلى سنين فما بالكم بالروحانية أو النورانية أو الشفافية أو الروح القدسية أو الذات المحمدية لأن هذه حقائق أخرى تحتاج إلى عوالم علوية وأرواح ساكنة فى الملأ الأعلى لنفقة هذه الحكم العلية . فبشرية رسول الله ﷺ هذا نموذج منها الذى هو الريق وأنا قلت بعضه وليس كله لأننا لا نستطيع لا أنا ولا غيرى من الأولين ولا الآخرين أن نتكلم على بشرية سيد الأولين والآخرين ﷺ **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد﴾** [الآية (١١٠) الكهف] .

نـورانيتـــه ﷺ

إذن كلنا عـاجزين عـن وصف بشريتـه فكيف نتكلم فى روحـانيـته ؟ وكـيف نتكلم فى نورانيته ؟ وكيف نتـكلم فى شفافـيتـه ؟ ومن الذى يستطيع أن يتـجرأ ويقترب من وصف كماله القلبى وجماله الروحى وصورته القدسية الإلهية هذه يا اخوانى مجالات أخرى تحتاج إلـى علوم المكاشفة وعلوم المجالسة وعلوم المؤانسة وعلوم المشاهدة كل واحد يتخصص فى بند من هذه البنود ليعـرفها فإما أن يجتهد حتى يأنس بحبـيب الله ومصطفاه ويكون هناك أنس ودلال بينهم فـالحبيب يزوره وهو يشـاهده ويتملى بنوره ويجلس مـعه ويسـمع كلامـه ويأتنس به وهذا يتمـتع بشىء من محيّا جمال رسـول الله وشيء من الكمال الذى خصه به الله عز وجل أو أنه يكرمه الكريم فيأخـذه بفضله وكرمه وجوده إلى مستشفـى العيون المحمدية جميع التخصصـات موجودة فى مستشفى الجامعة المحمدية وفـيها تخصصات لا نعرفهـا نحن والتخصصات التى تكلمـنا فيها الآن الجسمـانية لكن لم ندخل على التخصصات القلبـية أو الروحانية أو النورانية عندما يذهب إلى مسـتشفى العيون المحـمدية تعطى له قطرة مـن نور بهائه يكمل بهـا سويـداء قلبه فـينال فى الوقت والحال كـمال صفـائه فيرى مـا لا يراه الناظرون هذه العيـادة والمستشـفى مكتوب عليها﴿**وأبصرهم فسـوف يبصرون**﴾ [الآية (١٧٥) الصافـات] فيبصـرون عالم الأنوار وعالم الاسرار وعالم الأرواح وعالم التـجليات وعالم الكمالات وعوالم لا تسـتطيع أن تذكرها أو تـعبـر عنها الكلـمات لأن الكلمـات محـدودات وهذه العوالم غير محدودات تحتاج إلى مجال الذوق وعندما تكتمل عين السريرة بأنوار

الحضرة المنيرة يرى جمال الحبيب الذى مَنْ رأى نوره مره واحدة فوراً يطيب ويتأجج فى قلبه لحضرته شوق ولهيب ويسمع لقلبه فى المناجاة وجيب ولا يزال به هذا الوجيب حتى يدخله ويجلسه على آرائك القرب فى مواجهة الحبيب **﴿على الأرائك ينظرون﴾** [الآية (٢٣) المطففين] هذا الكلام ليس فى الآخرة أو الجنة فقط بل هنا أيضاً **﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾** [الآية (٢٤) المطففين] نعيم القرب من حضرة المصطفى وليس نعيم الأكل والشرب بل نعيم الجمال ونعيم الوصال ونعيم الكمال ونعيم الدلال لأنهم لهم دلال مع رسول الله رجل منهم وهو الشيخ خليفة النهرجورى وكان رجلاً من الصالحين من بلاد العراق كلما يريد النوم يأتى له رسول الله فيستيقظ وقد جاء له فى ليلة سبع عشرة مرة وقال له يا خليفة لا تملّ من رؤيتى فإن كثيراً من العارفين مات بحسرة نظرة من حضرتى انظروا إلى الدلال مع رسول الله ﷺ وهؤلاء يجلسهم رسول الله على حجره أى على خزائن جوده الاصطفائية وأنواره البهية وأعطى لهم التصريح اعطوا من تشاؤن ما تشاؤن من الحقائق الغيبية والأنوار المحمدية وهذا تصريح لكم من الحضرة المحمدية ﷺ .

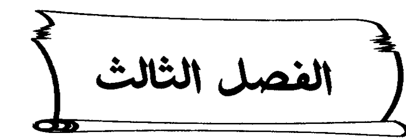
والإمام أبو العزائم رضى الله عنه وارضاه يقول فى هذا المقام عندما دخل فى هذا المجال :

حبيبى قد شرح صدرى	**وآنسنى إلى الفجر**
ورقّانى إلى أعلى	**مقام القرب والسير**

إلى أن قال :

ونادانى الإمام هيّا	آتاك الوصل بالبشر
فقم للدين ياماضى	فإنى قد صدر أمرى
تملى بى وشاهدنى	ومل عندى عن الغير
وأنبأ من يرد قربى	بحسنى حيث لا يدرى

نسأل الله عز وجل أن يرزقنا بعض هذه المقامات علّنا نرشف من هذه المذاقات ونغترف من هذه المحيطات محيطات الكمالات المحمدية ما به يرفعنا الله إلى مقامات القرب من الحضرة المحمدية ويجعلنا جميعاً نتهنّى بهذه المعية وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الفصل الثالث

حفظ الله لحبيبه ومصطفاه

- ❑ حفظ الله لنور حبيبه ومصطفاه
- ❑ حفظ الله لحضرته فى صباه
- ❑ حفظ الله تعالى له فى رسالته ونبوته

حفظ الله لحبيبه ومصطفاه

الحمد لله الذى أكرمنا بحبيبه ومصطفاه وجعله نور عيوننا وبهجة قلوبنا وأنيسنا وجليسنا فى الدنيا ويوم لقاء ربنا .

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد كوكبك المشرق لقلوب المؤمنين وسرك الزاهر فى أفئدة الموحدين ، ونورك الباهر لأرواح المحسنين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، وصحابته المباركين ، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين بمنّك وفضلك وجودك يا ارحم الراحمين .

لا يتسع المقام للحديث عن حبيب الله ومصطفاه بأوصافه وجماله وكماله الذى وضحه وأثنى به عليه مولاه ولكن أريد أن أخص نفسى واخوانى المسلمين بوصية نحو هذه الحضرة النبوية فقد صرنا والحمد لله فى عصر انتشر فيه العلم وتعددت مصادره والكل يكتب فى الصحف والمجلات والكتب والكل يتحدث فى أنواع البث المباشر وغير المباشر الذى ملأ أجواز الفضاء والكل يكتب عن رسول الله ﷺ أو يتحدث عنه وتحدث أحيانا حوارات بين المؤمنين فى أمر يخص خير المرسلين ﷺ وكُلّ يُدْلى برأيه وأحياناً يتصلب لرأيه على أنه الصواب ما الذى يجب علينا أجمعين نحو حبيب الله ومصطفاه فى كل شىء نقرأه أو نسمعه عن حضرته ؟ يقول فى ذلك رب العزة عز وجل **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** نعم يارب **﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً﴾** ماذا نعمل ؟ **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾**[الآيتان (٦٩، ٧٠) الأحزاب] .

حفظ الله لنور حبيبه ومصطفاه

فأى كلام تتكلمونه عن حضرة النبى ﷺ لابد وأن يكون سديداً ومؤيداً ورشيداً وأن تلاحظوا دائماً أنه ﷺ محفوظ لا تجوز عليه الأحوال البشرية العادية لأن الله حفظه حتى قبل إنزال الرسالة المحمدية بل أن الله عز وجل حفظه قبل ميلاده منذ أن اجتباه واختاره واصطفاه فقد جعل نطفته الطاهرة لا تقع إلا فى الأصلاب الطاهرة أو فى الأرحام التقية النقية وقال فى ذلك صلوات الله وسلامه عليه :«**إن الله عز وجل نقلنى فى الأصلاب الطاهرة والبطون النقية منذ آدم إلى أن ولدتنى أمى فلم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء**» (1) وهذا الكلام فى كتاب الله عز وجل حيث قال : ﴿**وتقلبك فى الساجدين**﴾ [الآية (٢١٩) الشعراء] فقد تقلب فى الساجدين منذ آدم إلى أبيه عبد الله والحقيقة أن الله عز وجل بذاته وجمالاته وكمالاته نزه حبيبه ومصطفاه غاية التنزيه حتى لا يظن أى مؤمن أنه ﷺ يجوز أن يظهر عليه ما يحدث للأعراض البشرية وما يحدث لنا وفينا فى الأعراض الدنيوية لأنه ﷺ محفوظ بحفظ الله عز وجل فنوره كان محفوظاً منذ جعله الله فى ظهر آدم وكانت حواء تلد فى كل بطن ذكرو أنثى فلما أتمت العشرين رزقت بمولود واحد ذكر هو شيث عليه السلام وانتقل فيه وإليه نور المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ووصاه آدم وقال «**يا بنى لا تضع هذا النور إلا فى الأرحام الطاهرات**» وقصة تنقل هذا النور أمرها يطول قال فيها الإمام ابن الكلبى رضى الله عنه : «كتبت لرسول الله ﷺ خمسمائة أم كلهن أطهار أخيار لم يصبهن من نكاح الجاهلية شىء» أى أنه حتى النكاح الذى كان

---

(1) رواه الطبرانى فى الأوسط وابن عدي في الكامل عن على رضى الله عنه .

باطلاً لم يكن لهن شأن به فالنكاح كان تاماً وصحيحاً فلما ولد صلوات ربى وسلامه عليه تولى الله عز وجل بنفسه حفظه وتربيته وصيانته وحتى لا يكون خضع لتأثير من أبيه أو لالتفات من أمه رباه الله يتيماً على عينه .

حفظ الله لحضرته فى صباه

ونحن كلنا نعلم أن رسول الله ﷺ حفظ الله عز وجل قلبه حتى من الميل إلى اللهو فقد سأله أصحابه وقالوا له : ألم يصبك من لهو الجاهلية شىء؟ قال : «مرتان كنت أرعى الغنم وكان هناك عرس فى مكة فطلبت من زميلى الذى كان معى أن يحرس غنمى حتى أذهب إلى العرس وألهو قليلاً فذهبت فألقى الله علىّ النوم فلم يوقظنى إلا حرارة الشمس» مرتان والله يحفظه من اللهو وأيضاً حفظه ربه عز وجل حتى فى ظاهرة من ظهور شىئ من عورته لما أراد التوجه نحو الكعبة للمشاركة فى تجديد بنائها قال : فاشتغلت مع عمى العباس فى نقل الأحجار وكان الرجل يخلع ثوبه ويلفه ويضعه على عاتقه ويضع عليه الأحجار قال : فصنعت ذلك فإذا برجل يجذبنى من ثيابى فأقع على الأرض حتى خدش ساقى وقال إياك إياك أن يظهر لك عورة بعد الآن قال فلبست ثوبى فأراد العباس وغيره أن يجبرونى على خلعه فقلت لا أستطيع فلما أصرّ أخبرته بما حدث لى وحفظه الله عز وجل أن يتجه لصنم بالعبادة أو الزيارة والأخبار فى هذا المجال كثيرة فإذا كان الله عز وجل حفظه قبل الميلاد وحفظه قبل بعثته فما بالكم به بعد نبوته ؟ فقد صار حفظ الله له أتم وأكمل .

حفظ الله تعالى له فى رسالته ونبوته

قال تعـالى : **﴿والله يعصـمك من الناس﴾**[الآية (٦٧) المائدة] وقـال تعالى : **﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾** [الآية (٤٨) الطور] وقال : **﴿أليس الله بكاف عبده﴾** [الآية (٣٦) الزمر] قيل بكاف محمداً ﷺ أعداءه المشركين وقيل غير هذا .

وقال **﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾**[الآية (٩٥) الحجر] وقال : **﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾**[الآية (٣٠) الانفال] .

تقول السيـدة عائشة رضى الله عنها : (كان النـبى ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية : **﴿والله يعصمك من الناس﴾** فأخرج رسـول الله ﷺ رأسه من القبـة فقال لهم: «**يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل**» .

وروى أن النبى ﷺ كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شـجرة يقيل تحتها فأتاه أعرابى فاختـرط سيفه ثم قال : من يمنعك منى ؟ فقـال : الله عز وجل ، فأرعدت يد الأعرابى وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية .

وقـد رويت هذه القـصة فى الصـحيح وأن غورث بـن الحارث صـاحب هذه القصة وأن النبى عـفا عنه فرجع إلى قومـه وقال : قد جئتكم مـن عند خير الناس وقد حكيت مـثل هذه الحكاية أنها جرت له يوم بدر وكـان قد انفرد من اصـحابه لقضاء حاجته فتبعـه رجل من المنافقين وذكر مثله . وقد روى أنه وقع له مثلها فى غزوة غطفـان بذى أمر مع رجل اسمـه دعثور بن الحـارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشـجعهم قالوا له : أين ما كنت تقول وقد أمكنـك ؟ فقال إنى نظرت إلى رجـل أبيض طويل دفع فى صدرى فـوقعت لظهرى وسقط السيف فعـرفت أنه ملك وأسلمت وقيل فيه نزلت :**﴿يا أيها الذين**

آمنوا اذكروا نعـمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبـسطوا إليكم أيديهم﴾ [الآية (١١) المائدة] .

وفى رواية الخطابى : أن غـورث بن الحارث المحاربى أراد أن يفـتك بالنبى ﷺ فلم يشعر به إلا وهو قـائم على رأسه منتضياً سـيفه فقال : اللهم اكـفنيه بما شئت فانكب على وجـهه وندر سيفـه من يده . وقيل فى قصتـه غير هذا ، وذكر أن فـيه نزلت :﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم﴾ وقيل كان رسول الله ﷺ يخاف قريشاً فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال : من شاء فليخذلنى .

وذكر عبد بن حـميد قال : كانت حمالة الحطب تضع العـضاة وهى جمر على طريق رسول الله ﷺ فكأنما يطؤها كثيباً أهيل .

وذكر ابن اسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبّت يدا أبى لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذّم أتت رسول الله وهو جالس فى المسجد ومعه أبو بكر وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيـه ﷺ فقـالت : يا أبا بكر أين صاحبـك ؟ قد بلغنى أنه يهجـونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهرفاه وفى ذلك يقول صاحب الهمزية :

وأعـدت حمالـة الحطـب الفهـــــ	ر وجـاءت كأنها الورقـــاء
يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـــ	لى من أحمد يقال الهجـاء
وتولّــت وما رأتـــه ومـن أيـــــ	ن ترى الشمس مقلة عمياء

وعن الحكم بن أبى العاص قال : تواعدنا علـى النبى ﷺ حتى إذا رأيناه سمعنا صوتاً خلفنا مـاظننا أنه بقى بتهامة أحد فـوقعنا مغشـياً علينا فما أفقـنا حتى قضى

صلاته ورجع إلى أهله ثم تواعـدنا ليلة أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جـاءت الصفا والمروة فـحالت بينـنا وبينه وعن عمـر رضى الله عنه تواعـدت أنا وأبو جـهم بن حذيفـة ليلة قتل رسـول الله ﷺ فجئنا منزله فـسمعـنا له فافتـتح وقرأ ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ إلى ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ فضـرب أبو جهم على عضد عـمر رضى الله عنه وقال : انج وفـرًّا هاربين فكانت من مقد مات إسلام عـمر رضى الله عنه ومنه العبـرة المشهـورة والكفاية التامـة عندما أخـافته قـريش وأجمعت عـلى قتله وبيـتوه فخـرج عليـهم من بيتـه فقـام على رؤوسهم وخلص منهم وحـمايتـة عن رؤيتهم له فـى الغار بما هيأ الله من الآيات ومـن العنكبوت الذى نسج عليـه حتى قـال أمـيـة بن خلف حين قـالوا ندخل الغـار : مـا أرى أنه فـيـه وعليـه من نسج العنكبـوت ما أرى ألا إنه قـبل أن يولد محـمد ووقـفت حمامـتان على فـم الغار فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام .

وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفى أبى بكر الجعائل فأنذر به فركب فرسه واتبعه حتى إذا قرب منه دعا عليه النبى ﷺ فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالأزلام فخرج له ما يكره ثم ركـب ودنا حتى سـمع قراءة النبى ﷺ وهو لا يلتـفت وأبو بكر رضى الله عنه يلتـفت ويقول للنبى ﷺ أتينا فـقال : لا تحزن إن الله مـعنا فساخت ثانـية إلى ركبـتها وخـرّ عنها فزجرها فنهـضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهـم بالأمان فكتب له النبى ﷺ أماناً كتبه ابن فـهيرة وقيل أبو بكر واخبرهم بالأخبـار وأمره النبى ﷺ أن لا يترك أحداً يلحق بهم فانصرف يقول للنـاس كُفيتم ما ههنا وقيل بل قال لهمـا أراكما دعوتما على فادعوا لـى فنجا ووقع فى نفسه ظهـور النبى ﷺ . وفى معجزة الغـار وقصة سراقة قال البوصيرى :

ويح قوم جفوا نبياً بأرض ألفته ضبابها والظباء

وسلوه وحنّ جذع إليه وقلوه وودّه الغرباء

اخرجوه منها وآواه غار وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الحمامة الحصداء

واختفى منهم عن قرب مرآه ومن شدة الظهور الخفاء

ونحا المصطفى المدينة واشتا قت إليه من مكة الأنحاء

وتغنت بمدحه الجن حتى أطرب الأنس منه ذاك الغناء

واقتفى إثره سراقة فاستهوته فى الأرض صافن جرداء

ثم ناداه بعدما سيمت الخسف وقد ينجد الغريق النداء

وذكر ابن اسحاق وغيره أن أبا جهل جاءه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه إلى عنقه وأقبل يرجع القهقرى إلى خلفه ثم سأله أن يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رأه ليد مغنة فسألوه عن شأنه فقال : ذكر أنه عرض لى دونه فحل ما رأيت مثله قط همّ بى أن يأكلنى فقال النبى ﷺ ذاك جبريل لودنا لأخذه وفى ذلك قال الإمام البوصيرى :

همّ قوم بقتله فأبى السيف وفاء وفاءت الصفواء

وأبو جهل إذا رأى عنق الفحل إليه كأنه العنقاء

وذكر السمرقندى أن رجلاً من بنى المغيرة أتى النبى ﷺ ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبى ﷺ وسمع قوله فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر

أنه فى هاتين القصتين نزلت :**﴿إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً﴾** [الآية (٨) يس]
ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق فى قصته إذ خرج إلى بنى قريظة فى أصحابه فجلس إلى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش أحدهم ليطرح عليه رحى فقام النبى ﷺ فانصرف إلى المدينة وأعلمهم بقصتهم وقد قيل أن قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم﴾** فى هذه القصة نزلت .

وحكى السمرقندى أنه خرج إلى بنى النضير يستعين فى عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية فقال له حيى بن أخطب : اجلس يا أبا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبى ﷺ مع أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وتآمر حيى معهم على قتله فأعلم جبريل عليه السلام النبى بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخل المدينة وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أبا جهل وعد قريشاً لئن رأى محمداً يصلى ليطأن رقبته فلما صلى النبى ﷺ أعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هارباً ناكصاً على عقبية منتقباً بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء ناراً كدت أهوى عليه وأبصرت هولاً عظيماً وخفق أجنحة قد ملأت الأرض فقال ﷺ تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضواً عضواً ثم أنزل على النبى :**﴿كلا إن الإنسان ليطغي﴾** ويروى أن شيبة بن عثمان الحجبى أدركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل أباه وعمه فقال اليوم أدرك ثأرى من محمد فلما اختلط الناس أتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال : لما دنوت منه ارتفع لى شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هارباً وأحسّ بى النبى ﷺ فدعانى فوضع يده على صدّرى وهو أبعض الخلق إلى فما رفعها إلا وهو

أحب الخلق إلى وقال لى أدن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفى وأقيه بنفسى ولو لقيت أبى تلك الساعة لأوقعت به دونه .

وعن فضالة بن عمير قال أردت قتل النبى ﷺ عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال : أفضالة ؟ قلت : نعم قال : ما كنت تحدث به نفسك ؟ قلت: لا شيء فضحك واستغفر لى ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئاً أحب إلى منه قال فضالة : فرجعت إلى أهلى فمررت بإمرأه كنت أتحدث إليها فقالت : هلم إلى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة يقول :

قالت هلمّ إلى الحديث فقلت لا	يأبى على الله والإســـلام
لو مارأيــت محمــداً وقبيلــة	بالفتح يوم تكسر الأصنــام
لرأيت ديـن الله أضحـى بيّنـاً	والشرك يغشى وجهه الإظلام

ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبى ﷺ وكان عامر قال له : أنا أشغل عنك وجه محمد فاضربه أنت فلم يره فعل شيئاً فلما كلمه فى ذلك قال له : والله ما هممت أن أضربه إلا وجدتك بينى وبينه أفأضربك ؟

ومن عصمته تعالى له أن كثيراً من اليهود والكهنة أنذروا به وعينوه لقريش وأخبروهم بسطوته بهم وحضّوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره ومن ذلك نصره بالرعب أمامه مسيرة شهر كما قال ﷺ فى الحديث الصحيح .

الفصل الرابع

الحق المبين فيما ورد عن أخبار النبى الأمين

- سر استغفار النبى المختار
- غناه بربه عز وجل
- تحقيق خبر وفاه النبى صلى الله عليه وسلم
- خبر سحر النبى ورأى العلماء فيه
- عصمته صلى الله عليه وسلم من الشيطان
- عصمه الله تعالى له من النقائص والشبهات
- حقيقة قصه زيد بن حارثة
- ووجدك ضالاً فهدى
- نسبه الذنوب إلي مقامه الشريف
- ووضعنا عنك وزرك
- عفا الله عنك
- عبس وتولى
- لقد خشيت على نفسى
- موقفه من أسرى بدر
- حديث أنتم أعلم بأمور دنياكم
- تأويل المراد بلعنه صلى الله عليه وسلم
- ميزان المؤمن مع أنبياء الله
- خاتمة فى نزاهة النبوة

سر استغفار النبى المختار

ولنضرب أمثله على ذلك بقـول الرسول ﷺ : « **إنى ليغان على قلبى فأسـتغفر الله عز وجل وأتوب إليه في اليـوم مائة مرة** »[1] وسمعنا أنه ﷺ كـان يسهو فى الصلاة وإن كان قال فى ذلك صلوات ربى وسلامه عليه « **إنّى لأنسى لأسنّه** » من أجل السنه فـإذا لم يسهـو فكيف كنا سنعرف أحكام السهو ؟ لكـنه حالة سـهوه أكان يسـهو مثلنا فى البيت أو فى الـغيط أو فى العمل ؟ كلا فـإن الرجل الصالح قال فى ذلك :

يا سائلى عن رسول الله كيف سها	والسهو من كل قلب غافل لاه
قـد غـاب عن كـل شئ سره فسها	عما سـوى الـله فالتعـظيم لـله

فسهوه لأنه غـاب في جمال الله فسها عن كل ما سـواه ليسنّ وليحفظ لنا هذا الحكم الشرعى من حضـرته ﷺ لكن لا ننسب سهوه لأغراض بشـرية فالامام أبو الحسن الشـاذلى احتـار فى الغين الذى يغـان به على قلب رسـول الله ﷺ حـتى يستغفـر الله عز وجل والعصمة للأنبيـاء أنه لا يخطر الذنب على قلوبهم والحفظ للأولياء يعنى الذنب قد يخطر على قلوبهم لكن الله يحفظهم من الوقوع فيه لكن النبى لا يخطر بباله المعصية قط بل لا يخطر ببـاله غير مولاه فى نفس واحد قط لأنه لا يفكر إلا فى الله ولا يتذكـر القلب إلا بذكر الله عز وجل فيـقول رأيت رسـول الله ﷺ فى المنام فقلت له الحديث الذى تقول فيه : « **إنى ليغان على قلبى فاستغفر الله عز جل وأتوب إليه فى اليـوم مائه مره** » قال فقال لى : **غين الأنوار يا مبارك**

---

(١) رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى عن الاغر المزنى .

وليس غين الأغيار » فأفهمه شئ آخر تماماً غير ما كان يجول بخاطره فقلبه يتقلب فى عالم الأنوار وفى جمالات الواحد القهار وكلما ظهر له من جمال الحق جمال جديد رأى أن ما كان فيه دون الذى يراه فيستغفر الله عز وجل من وقوفه مع هذا الجمال لأن الله قال له **﴿ وقل رب زدنى علماً ﴾** [الأية (١١٤) طه] أيضاً أحد الصالحين جالس قوماً يتحدثون معاً ويقولون أنه ﷺ بشر مثلنا مع أنه قال فينا كلنا **« الناس معادن كمعادن الذهب والفضة »** [١] أى أنه ليس كلنا مثل بعضنا فيوجد نحاس ويوجد حديد ويوجد ذهب وهل هذا مثل ذاك يا إخوانى ؟ ويتعللون بماذا ؟ **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾** أكمل باقى الآية ماذا تقول ؟ **﴿ يوحى إلى ﴾** [الآية (١١٠) الكهف] وأيضاً مثلكم ماذا تعنى ؟ مثلكم قد فسرها ﷺ حيث قال : **« وأنا عند السيدة حليمة وعندى أربع سنوات جاءنى نفر من الملائكة وأخذونى واضجعونى وكشف أحدهم صدرى ومر أحدهم بيده على بطنى فشق من صدرى إلى منتهى عانتى وأخرجوا قلبى ووضعوه فى طست من ذهب وغسلوه وأخذوا منه حظ الشيطان وألقوه ثم جاءوا بخاتم تحار فيه الأبصار من شدة نوره وختموا به قلبى وردوه فى مكانه ولم أشعر لذلك بألم ولا وجع »** [٢] وبعد هذا قال فقال أحدهم **« زنوه بعشرة من أمته فوزنونى فرجحتهم زنوه بألف من أمته فوزنونى فرجحتهم ، زنوه بعشره آلاف من أمته فوزنونى فرجحتهم فقال : دعه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحها »** [٣] فبشر مثلنا تعنى أنه مثلنا كلنا وليس نحن فقط بل أمته ، وأمته من آدم إلى يوم القيامة لأنه رسول المرسلين وحبيب رب العالمين صلوات الله وسلامه عليه وقد قال ﷺ **« لو وزن إيمان الأمة**

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه وأحمد عن أبى هريرة .
(٢) رواه ابن سعد عن خالد بن معدان .
(٣) رواه ابن سعد عن خالد بن معدان .

بإيمان أبى بكر لرجحت كفه أبى بكر » [1] فأبو بكر مثلنا كلنا لكنه ﷺ مثل الكل من بدء البـدء إلى نهـاية النهايات فـمـثلنا هنا مثـلنا كلنا لكن بشـريته ﷺ عندمـا يتكلمون فيها فذاك الرجل الصالح وكان اسمه محمد أبو المواهب الشاذلى فيقول جاءنى رسول الله ﷺ فى المنام وقال لى لم أنت مهموم يا محمد ؟ قلت يا رسول الله من الحديث الذى دار قال : **« أعجزت أن تقـول لهم : محمد بشـر فى البشر كالياقوت حجر بين الحجر »** فالياقوت حجر لكن هل هو مثل الحجر الذى يُبْنَى به هذا المسجد ؟ والتِّبْر غير الترب فهو بشر لكن الله رقاه واصطفاه ويكفيه قول الله فيه فى كتاب الله : **﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾**[الآية (١٢٨) التوبه] من أنفـسكم نسبـاً ومن أنفـسكم خِلْقـة ومن أنفسـكم خُلُقاً ومن أنفـسكم قلبـاً ومن أنفسكم طبيـعه ومن أنفسكم فى كل شئ لأن نفاسته من مـولاه عز وجل فإن الله هو الذى اصطفـاه ووالاه وحبـاه وأدناه وأعلن ذلك للملأ كله من بدء الدنـيا إلى نهاية هذه الحياة حتى أنه أمر النبيين أن يكونوا له من المتبعين صلوات ربى وسلامه عليه .

---

(١) رواه اسحاق فى مسنده والبيهقى في شعب الايمان عن عمر بن الخطاب .

غناه بربه عز وجل

فكل الآيات التى فيهـا متشابهات يجب أن نؤولها على أحـسن الحالات لسيد السـادات ﷺ والأحداث التي وردت فى بعـض كتب السـيرة وفـيـها نقـيصـة لا نصدقها فإذا كان ربنا يقول له ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [الآية (٦٧) المائدة] .

وبعدما يعصمه ربنا كيف يؤثر فيه سحر أو سم أو غيره كما يقول المبهتون وقد حفظه وعصمه ورعاه صلوات ربى وسلامه عليه فإذا أخذنا القضية بموضوعية نجد اليهود يريدون أن يقولوا أن هذا الرجل فعلنا فيه ما نريد حتى أنهم يدعوا أنه مات ودرعـه مرهونه عنـد أحد اليـهـود وهل عندما انتـقل النبى كـان هناك يهـودياً فى الجزيرة العربيـة كلها ؟ أبداً ومن اليهودى الذى يقتـرض النبى منه ويعطيه درعه ؟ وأين كان عثـمان وعبد الرحمن ابن عوف ؟ وأين أغنيـاء الأنصار ؟ ويقولون أن السيدة عـائشة تقول « كان يمر علينا الـشهر والشهران لا يوقـد فى بيتنا نار » وهذا الكلام صحـيح ويرجح سببه لكرم الأنصـار فالأنصار كـرمهم عمّ النبى المخـتار وكان من ضمنهم سيدنا سعد بن معاذ فكان لابد أن يرسل فى الصباح جفنة مملوءة فتيـتا ولحماً وجـفنه آخر النهار وهذا واحـد من ضمن الأنصار فلماذا يطـبخون ؟ وقد ورد فى الروايات الصحيحة أنه ﷺ كان له من الأموال ما يغطى عدد كبير من الرجال من أين جاءت له ؟ من فضل الله عز وجل فأول غزوة لحضرة النبى غزوة بدر جاء أحد اليهـود وكان أغنى أغنياء اليهود وكان اسمـه «مُخيرق» وذهب إلى اليهود وقـال لهم : يا معشر اليـهود تعلمون أن محمـداً نبى مرسل فاخرجـوا معه قالوا لا قال أشهدكم أنى لومت فإن مالى كله لمحمد فخرج واستشهد وأخذ النبى ﷺ ما له كله وهناك غير ذلك الخمس وكذا نصيبه فى خيبر فقد ورد أنه كان عنده

أربعمـائة رأس من الغنم موجودة في بيتـه يحلبها لضـيوفه ولنفسـه ولأهله وكان عنده داجن (دواجن) وكانت الدواجن معلمة تقول فيـها السيدة عائشه رضى الله عنها وارضاها : (كانت لـنا داجن تصيح وتعلو بصياحها ولهـا ضجيج فإذا دخل النبى ﷺ حـجراته سكـن فلم يسمع لهن صـوت قط) حـتى الدجاج مـؤدب مع حـضرة النبي ﷺ لـماذا نأخذ التـفـسيـر الآخـر ونقول أنهم كـانوا لا يوقـدون النار شهرين لعدم وجود ما يوقدون عليه من الذى قال هذا الكلام ؟

وراودته الجبال الشم من ذهب　　　عن نفسه فأراها أيّما شمم

فكان أغنى الأغنياء وكان كـما يقول الأعداء يعطى عطاء من لا يخـشى الفقر وكانوا يقولون فيـه لا تطيب بنفس هذا إلا ملك . ذهب إليه رجل وقال اعطنى مما أعطاك الله فأعطاه غنماً تملأ ما بين جـبلين وقال هذا كله لك فقال لا تطيب بنفس هذا ملك . غنم بين جبلين يجـود بها ؟ فلماذا نقـول أن النبى عاش فقيـراً حتى لا يخش الناس الفقر مـثل هذا لا ينبغى أن نردده فالنبى لم يكن فقيـراً وإنما كان غنياً بالله عز وجل ومثل هذه الأمور يجب أن ننتبه لها .

تحقيق خبر وفاه النبي ﷺ

يروى الرواة فى هذا الباب أن اليهـود بعد هزيمتهم فى خيبر ، اجـتمع نفر منهم سـراً واتفقـوا على أن يدسـوا السم للنبى ﷺ فى طعـامه ، وبـذلك يقضـون على رسول الله ، ويعـاد لليهود مكانتهم ، ويثـأروا من مواقف النبي معهم ، ويحـققوا أملهم الذى انتظروه من مئات السنين ويخلوا لهم عالم الدنيا بعد ذلك .

ووقع اختيارهم على زينب بنت الحارث ، فهى صديقة صفية زوجة رسـول الله ﷺ وطلبـوا منها أن تذهب إلى بيت رسـول الله ﷺ وتسأله عن أى الطـعام أحب إليه لتهديه إليه بمناسبة زواجه من صديقتها صفيه .

ونفذت زينب بنت الحارث ما أملى عليها وعلمت من رسول الله ﷺ أنه يقبل هديتها : شاه مشوية ، فإن أحب أجزائها إليه الذراع .

وجاءت زينب إلى الرسول ﷺ بالشـاة المسمومة الذراع ، وقدمتـها إلي رسـول الله ﷺ وكان مـعه بشر بن البـراء بن معـرور ولكن رسـول الله ﷺ ما كـاد يتذوق الذراع حـتى ردّه وما أكله وقـال : « **والله مـا أظن إلا أنه السم** » [1] وتوقف عن الأكل ولم ينته بشر عن الاستمرار إلا بعد أمر النبى له بالتوقف ، ولكن السم كان كثيراً وقوياً فانتشر فى دمه فوقع بشر لتوه ميتاً .

وأمر النبى ﷺ فـجاءوا بزينب بنت الحارث ، واعتـرفت لرسول الله ﷺ عن جانب من المؤامرة ، وبررت تصرفـها بأنها موتورة ، فقد مـات الكثيرون من أهلها فى حرب المسلمين ، وأذل الله على يد النبى قـومها ، وضاعت هيبـتهم ، ولم تعد

(١) وفى روايه صحيحه : أن الذراع هو الذى أخبره بذلك معجزه له ﷺ .

لهم مكانة بين الناس ، فتركها النّبى ﷺ وحفظ الله رسوله ﷺ ، ولكن آثار السم كانت كامنة فى أمعـاء رسول الله ﷺ ومن أجل هذا يروى أن رسول الله ﷺ كان يشكو فى مرضـه الاخير من معـدته ، مع شكواه من صداع فى رأسه حتى لـيقول مروان بن عثمـان بن أبى سعيد بن المعلى : « أن رسول الله ﷺ قـد قال في مرضه الذى توفى فيـه عندما دخلت عليـه أخت بشر بنت البـراء بن معـرور تعوده : « **يا أخت بشـر ، إن هذا الاوان وجدت فـيـه انقطاع أبهـرى من الاكله التى أكلت مع أخيك بخيبر** » واليهود يـريدون بذلك اظهار أنهم قتلوا حضـرة النبى ﷺ ويؤولها علمـاؤنا عن حـسن نية ويقـولون حـتى يموت شهـيـداً كيف وهـو لم يأكل فقـد وضعت السم في الذراع الذى يحبه وعند أخذه للذراع ورفـعها إلي فمه قال « **إن الذراع تقول لى لا تأكل منى فإنى مسمومه** » فهو فى هذا الأمر لم يأكل منها فأين السم الذى دخل جسـمه ؟ والسم إذا دخل الجسم هل سـيظل ثلاث سنوات حتى يقـولوا أن اليهـود هم الذين أماتوه ولـذلك فهـذه روايات عليهـا مسـحه يهـودية ولذلك لا نقبلها أبداً .

خبر سحر النبى ورأى العلماء فيه

ويحسن بنا أن نسوق نص الحديث كما رواه البخارى : قال الامام محمد بن اسماعيل البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا عيسى بن يونس عن هشام عن أبيه عن عائشه رضى الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه كان يفعل الشئ وما فعله [(١)] حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال : **« يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيه فيه [(٢)] ؟ أتانى رجلان [(٣)] فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب [(٤)] قال : مَنْ طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم قال : فى أى شئ ؟ قال : فى مُشْط [(٥)] ومُشاطة [(٦)] وجف طلع نخلة ذكر [(٧)] قال وأين هو ؟ قال فى بئر ذروان »** فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه فجاء فقال **« يا عائشة كان ماءها نقاعة الحناء [(٨)] وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين »** قلت يا رسول الله أفلا استخرجته ؟ قال : **« قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً »** فأمر بها فدفنت [(١٠)] .

---

(١) فى رواية البخارى من حديث فى باب هل يستخرج السحر حديث (٥٧٦٥) من طريق ابن عيينه عن أن عائشة قالت : « حتى كان يرى أنه يأتى نساءه ولا يأتيهن » وهو تفسير وبيان لما أجمل وعمم فى هذه الرواية .

(٢) أى أجابنى فيما دعوته فيه .

(٣) فى رواية عن أحمد والطبرانى : أتانى ملكان .

(٤) مطبوب أى مسحور يقال طُب بضم الطاء إذا سحر كنّوا عن الطب تفاؤلاً .

(٥) المشط معروف وهو ما يسرح به شعر الرأس واللحية .

(٦) المشاطة : ما يخرج من الشعر الذى يسقط من الرأس إذا سرح بالمشط وكذا من اللحية . كما قال ابن قتيبة .

(٧) وهو الغشاء الذى يكون على الطلع .

(٨) أى لون مائها أحمر كالماء الذى ينقع فيه الحناء .

(٩) تشبيه يراد منه التقبيح ، لأن كل ما ينسب إلي الشيطان مستقبح شرعاً وعرفاً .

(١٠) أخرجه البخارى فى كتاب الطب . باب السحر . حديث (٥٧٦٣) البخارى المطبوع مع الفتح . ط . دار الفكر ببيروت ، المصورة عن السلفية بالقاهرة .

وقد آثار هذا الحديث كثير من الاستشكالات عند العلماء قديماً ، ولا عجب أن يكون هذا الحديث أيضاً مثار إهتمام لدى العقل الحديث وخصوصاً بعد التقائه بعقول الآخرين ، وتعرّفه على أفكارهم فقد أنكره قديماً المعتزلة وبعض أهل السنة أيضاً ، مثل الامام أبى بكر الرازى الحنفى المعروف بالجصّاص ، صاحب كتاب : « أحكام القرآن » وبعض المتكلمين .

ولكن جمهور علماء أهل السنة أثبتوا الحديث ، لروايته من طرق صحيحة ، وكان لهم فى توجيهه تأويلات شتّى ، كلها تؤكد عصمة النبى ﷺ ، وتنفى عنه ما لا يليق به .

ومن هؤلاء السيد رشيد رضا صاحب المنار الذى ذكر رأي شيخه الشيخ محمد عبده ورأيه وإليك ما ذكره في نهاية تفسير سورة الفلق ، من قصار السور تحت عنوان : علاوة لتفسير السورة فى حديث سحر منافق من أشرار اليهود للنبى ﷺ .

وبعد أن ذكر رواية الشيخين للحديث من طريق عائشة رضى الله عنها وهى التى أوردناها من قبل أشار إلى الرواية الأخرى ، حيث قال : وفى رواية الشيخين : كان ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن بنحوه ، وفيه : سحره رجل من بنى زريق حليف اليهود كان منافقاً وعن زيد بن أرقم سحر النبى ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً فأتاه جبريل فقال : إن رجلاً من اليهود سحرك عقد لك عقداً فى بئر كذا وكذا فأرسل ﷺ فاستخرجها فحلّها فقام كأنما أُنشط من عقال فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه فى وجهه قط . رواه النسائى والأيام جمع قلة ولكن بالغ بعض الرواة فى غير الصحيحين فجعلوها أشهراً .

قال السيد رشيد : فهذا الحديث صريح فى أن المراد من السحر فيه خاص

بمسألة مباشرة النساء ولكن فهم أكثر العلماء أنه ﷺ سُحر سحراً أثّر فى عقله ، كما أثر فى جسدة فأنكره بعضهم وبالغوا فى إنكاره وعدوه مطعناً فى النبوة ومنافياً للعصمة لقول عائشة : حتى إنه كان يخيل إليه أنه فعل الشئ ولم يكن فعله فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول وعدوها مخالفة للقطعى من النقل وهو ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة أمثالهم فى رسلهم بقولهم : ﴿ **إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً** ﴾وتفنيده تعالى لهم بقوله : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً** ﴾[الآيتان (٨ ، ٩) الفرقان] ومخالفة للقطعى فى العقل من عصمة النبى ﷺ من كل ما ينافى النبوة والثقة بها ، إذْ يدخل فى ذلك التخييل ما هو من التشريع ، ومخالفة لعلم النفس الذى يعلم منه أن الأنفس السافلة الخبيثة لا تؤثر فى الأنفس العالية الطاهرة فأنكر صحة الرواية بعض العلماء ، وأقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء : أبو بكر الجصاص فى كتابه « أحكام القرآن » وآخرهم : شيخنا الاستاذ الامام محمد عبده فى تفسير «جزء عم» .

وقد أطال شيخنا فى هذا وبالغ فيه وبني إنكاره له على القاعدة المتفق عليها عند علماء العقائد وأصول الفقة في معارضة الظنى للقطعى إذ الحديث أحادى وهو يفيد الظن فيرد بالقطعى عقلاً ونقلاً وهو ماذكرناه آنفاً وقد اتفقوا على أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها فى أصول العقائد وقال : إن كونه يفيد الظن خاص بمن صح عنده وإن له أن يتأوله أو يفوض الأمر فيه ، على قاعدتهم الأخرى فى النصوص المعارضة للعقل ولعمرى إن ما نعرفه عن شيخنا محمد عبده قدس الله روحه من إجلاله وإكباره لشأن محمد رسول الله وخاتم النبيين فى نفسه الزكية وروحه القدسية وعلو مداركه العقلية ما لم نعرف مثله عن أحد من العلماء العقليين كفلاسفة المسلمين ومتكلميهم ولا من العلماء الروحيين كالصوفية ولا

من علماء النقل كجامعي الروايات الكثيرة فى معجزاته ﷺ وحسبك منها تلك الآثارة البليغة في رساله التوحيد ، بل كان يقول : إن روحه ﷺ كانت منطوية على جملة هداية الدين ومدارك التشريع التى فصلت فى كتاب الله تعالى وسنته تفصيلاً تاماً كما نقلناه عنه فى تاريخه .

وأجاب عن الرواية المحدثون المصححون لها علماً والمقلدون لهم بأن غاية ما تدل عليه : أن ذلك السحر إنما أثر فى بدنه دون روحه وعقله ، فكان تأثيره من الأعراض الجسدية كالأمراض التي لم يعصم الانبياء عليهم السلام منها .

وقد محّصت هذه المسأله مراراً آخرها فى الرد على مجلة الازهر «نور الاسلام» فى زعمها المفترى أننى كذبت حديث البخارى فى سحر النبى ﷺ فبينت : أن الحديث الصحيح فى المسألة عن عائشة رضى الله عنها تُوهم عبارة بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص الذى أرادته منه وهو مباشرة الزوجية بينه ﷺ وبينها فقولها : كان يُخيل إليه أنه يفعل الشئ وهو لم يفعله كناية عن هذا الشئ الخاص ، لا عام في كل شئ ، فلا يدخل فيه شئ من أمور التشريع ، ولا غير غشيان الزوجية من الأمور العقلية أو الأمراض البدنية ، فضلاً عما كان يريده الذى يرمون الأنبياء بسحر الجنون ، لأن أمورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين فالمسألة محصورة فيما يسمونه حتى الآن «الربط» أو «العقد» أى عقد الرجل المانع من مباشرة زوجته فقط .

وبينت أيضاً : أن الرواية فى أصح أسانيدها عند الشيخين عن هشام عن أبيه عن عائشه فيها علة من علل الحديث الخفية التى يشترط فى صحة الحديث السلامة منها وهى أن بعض منكرى الحديث أعلوه بهشام هذا ، وألف بعضهم كتاباً خاصاً فيه ، محتجاً بقول بعض علماء الجرح والتعديل : إنه كان فى العراق

يرسل عن أبيه عروة بن الزبير ما سمعه من غيره وعروة هو راوية عائشة الثقة ، وهى خالته وقال ابن خراش كان مالك لا يرضاه ، يعنى هشاماً ـ وقد نقم منه حديثه لأهل العراق ، وقال ابن القطان : تغير قبل موته ، ولا شك أن تعديل الجماعة له ـ ومنهم الشيخان ـ خاص بما رواه قبل تغيره ، فهذا عذر من طعن فى روايته لهذا الحديث الذى انكروا متنه بما علمت ، والأمر فيه أهون مما قالوا فالتحقيق أنه خاص بمسأله الزوجية ، كما جاء التصريح به فى الرواية الثانية كما تقدم ، ولا يعتد بغير هذا .

أما ما رواه البيهقى فى دلائل النبوة عن ابن عباس فى مرضه ﷺ وأنه كان شديداً ، وأنه كان سحراً فى بئر تحت صخرة فى كربة وأنهم أخرجوها فأحرقوها فإذا فيها وترفيه احدى عشره عقدة ، وأنزلت عليه هاتان السورتان ـ يعنى المعوّذتين ـ فجعل كلما قرأ أية انحلت عقده . أ . هـ ملخصاً ، فهذا حديث باطل مخالف لحديث الصحيحين فى المسألة ، ولرواية نزول السورتين بمكة ، وهو من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس ، والكلبى هذا متهم بالكذب وطريقه أوهى الطرق عن ابن عباس ، واسمه محمد بن السائب .

وأما ما رواة أبو نعيم فى الدلائل عن أنس قال : صنعت اليهود للنبى ﷺ شيئاً فأصابه من ذلك وجع شديد ، فدخل عليه أصحابه فظنوا أنه ألمّ به ، فأتاه جبريل بالمعوذتين فعوّذه بهما ، فخرج إلى أصحابه صحيحاً ، فهو من طريق أبى جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس ، وهما ضعيفان . وليس فى متنه ذكر السحر ولا أن المعوذتين نزلتا فيي ذلك الوقت ولا فى أى شئ من روايات الصحيحين . فالاستدلال به على أنهما مدنيتان ضعيف . فالحق أنهما مكيتان كما تقدم . أ . هـ . وهكذا نجد أن صاحب المنار السيد رشيد اثبت الحديث وأوله التأويل اللائق بمنصب النبوة ومقتضى العصمة ومع أنه خالف شيخه الشيخ محمد عبده إلا أنه يدافع عنه ويؤكد مقدار حبه وتوقيره لرسول الله ﷺ .

عصمته ﷺ من الشيطان

قال القاضى عياض : اعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبى ﷺ من الشيطان وكفايته منه لا فى جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس بل فى كل أحواله ﷺ .

جاء في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ **«ما منكم من أحد إلا وكّل به قرينه من الجن وقرينة من الملائكة قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ولكن الله أعاننى عليه فأسلم»** .

زاد غيره عن منصور : فلا يأمرنى إلا بخير .

وعن عائشة رضى الله عنها بمعناه روى : فأسلم بضم الميم أى فأسلم أنا منه - وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها .

وروى فأسلمَ بفتح الميم يعنى القرين أنه انتقل من حال كفرة إلي الاسلام فصار لا يأمر إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث .

ورواه بعضهم فاستسلم .

فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا قدر على الدنو منه .

وقد جاءت الآثار بتصدى الشيطان له فى غير موطن رغبة فى إطفاء نوره وإماته نفسه وادخال شغل عليه إذ يئسوا من إغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له فى الصلاة فأخذه النبى ﷺ واسرة ففى الصحاح : قال أبو هريرة رضى الله عنه :

عن النبى ﷺ : **إن الشيطان عـرض لى قال عبد الرازق : فى صورة هـرّ فشدّ على يقطع الصـلاة فأمكـننى الله منه فذعـتّـه ولقد همـمت أن أوثقـه إلى سارية حـتى تصبـحوا تنظـرون فذكرت قـول أخى سليمـان﴿ رب اغفـر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب﴾**[الآية (٣٥) ص] فرده الله خاسئاً .

وفى حـديث أبى الدرداء عنه ﷺ : **أن عـدو الله إبليس جـاءنى بشهـاب من نار ليجعله فى وجهى والنبى ﷺ فى الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له وقال : «ثم أردت أن أخذه »** وذكر نحوه قال : **«لأصبح موثقاً يتلاعب به ولدان أهل المدينة»** .

وكذلك فى حديثه فى الاسراء : وطلب عفريت لـه بشعله نار فعلمه جبريل ما يتعـوذ به منه ذكره فى الموطأ ولمـا لم يقدر على أذاه بمبـاشرته تسبب بالـتوسط إلى عداه كـقضيـته مع قريـش فى الائتمار بقـتل النبى ﷺ وتصوره فى صـوره الشيخ النجدى .

ومرة أخرى في غزوة يوم بدر فى صوره سراقة بن مالك وهو قوله :**﴿ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ﴾**[الآية (٤٨) الأنفال] .

ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه أمره وعصمه ضره وشرة .

وقال ﷺ حين لُدّ في مرضه وقيل له خشينا أن يكون بك ذات الجنب فقال إنها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى :**﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله ﴾** [الآية (٣٦) فصلت] فـالجواب : أن المراد بهذا الخطاب أمـته ﷺ وهذا كغـيره من الخطابات التى توجه إلى النبى ﷺ ويكون المراد بها أمته .

ومن ذلك قوله تعالى :﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم** ﴾ [الآية (٥٢) الحج] . فقد زلت فى معنى هذه الآية أقدام كثير من العلماء وساءت أفهام كثير من القراء إذ فسروا التمنى هنا بالتلاوة وأن « إذا تمنى » معناه إذا قرأ ويكون معناه حينئذ أنه إذا قرأ الرسول أوالنبى ما أوحى إليه فان الشيطان يتسلط على قراءته ويُلْقى فيها ما يشاء ثم ينسخ الله ذلك الذى ألقاه الشيطان .

واستدلوا لصحة هذا التأويل بقصة الغرانيق وهى ما روى أن النبى ﷺ لما قرأ سورة «النجم» وقال﴿ **أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ قال :« **تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها لترتجى** ».

والغرانيق في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمى به لبياضه . وقيل الكركى . والغرنوق أيضاً الشاب الأبيض الناعم وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فتشبهت بالطيور التى تعلو فى السماء وترتفع .

ويروى «ترتضى» وفى رواية : إن شفاعتها لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفى أخرى : والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم .

وما وقع فى بعض الروايات أن شيطاناً ألقاها على لسانه وأن النبى ﷺ كان يتمنى أن لو نزل عليه شئ يقارب بينه وبين قومه فلما ألقى ذلك الشيطان حزن ﷺ فأنزل الله تعالى تسلية له﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم** ﴾ وقوله﴿ **وإن كادوا ليفتنوك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره**

وإذا لا تخذوك خليلاً ﴾[الآية (٧٣) الاسراء] . والصحيح فى تفسير الآيه هو ما قاله الامام العارف بالله الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه وهو : أن الله سبحانه وتعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبياً من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الايمان لأمته ويحبّبه لهم ويرغّب فيه ويحرص عليه غايه الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ومن جملتهم فى ذلك نبينا ﷺ الذى قال له الرب سبحانه وتعالى : **﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً ﴾** [الآية (٦) الكهف] وقال تعالى : **﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾**[الآية (١٠٣) يوسف] وقال تعالى **﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾**[الآية (٩٩) يونس] إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة لهذا المعنى ثم الأمة تختلف كما قال تعالى**﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴾** [الآية (٢٥٣) البقرة] فأما من كفر فقد ألقى إليه الشيطان الوساوس القادحة فى الرسالة الموجبة لكفرة وكذا المؤمن أيضاً لا يخلوا من وساوس لأنها لازمة للايمان بالغيب فى الغالب وإن كانت تختلف فى الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات .

إذا تقرر هذا فمعنى تمنى أنه يتمنى الايمان لأمته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه أمنيه كل رسول ونبى والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه فى قلوب أمة الدعوى من الوساويس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويُحْكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك عز وجل فى قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به فخرج من هذا أن الوساويس تُلْقى أولاً فى قلوب الفريقين معاً غير أنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين فهذا ما يتعلق بتفسير الأية الكريمة وأما قصة الغرانيق فإنها قصة باطلة نقلاً وعقلاً . أما نقلاً فإن حديثها حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة

ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . وصدق القاضى بكر بن العلاء المالكى حيث قال : لقد بُلى الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول : إنه فى الصلاة وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبى ﷺ لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبى ﷺ قرأها فلما بلغ النبى ﷺ ذلك قال : والله ما هكذا أنزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة .

ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق فيها ضعيفة واهية .

وأما «عقلاً» فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ونزاهته عن مثل هذه الرزيلة إمّا مِنْ تمنّيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفراً ويتسوّر عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبى ﷺ أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع فى حقه ﷺ أو يقول ذلك النبى ﷺ من قبل نفسه عمداً وذلك كفر أو سهواً وهو معصوم من هذا كله .

وقد تقرر بالبراهين والاجماع عصمته ﷺ من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم يُنزّل عليه وقد قال الله تعالى﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين** ﴾ [الآيتان

(٤٤ ، ٤٥) الحاقة] وقال تعالى :﴿ **إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً** ﴾[الآية (٧٥) الاسراء] .

وهذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولكان النبى ﷺ ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى مُتأمّل فكيف بمن رجح حلمه واتسع فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ؟ .

ثم إنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهله وتخليط العدو على النبى ﷺ لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من فى قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لأدنى شبهة ولم يحك أحد فى هذه القصه شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة فى قصه الاسراء حتى كانت فى ذلك لبعض الضعفاء ردّة .

فما روى عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلانها واجتثاث أصلها ولا شك فى إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلتبس به على ضعفاء المسلمين .

عصمة الله تعالى له من النقائص والشبهات

تعاضـدت الأخبار والآثار عن نبـينا ﷺ بتنزيهة عن كل نقص مـنذ ولد ونشأته على التوحيد والايمان بل على اشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة .

ومن هنا كان توحيده وعلمه بالله وصـفاته والايمان به وبما أوحى إليه على غاية المعـرفة ووضـوح العلم واليـقين والانتفـاء عن الجـهل بشئ من ذلك أو الشك أو الريب فيه والعصمة من كل ما يُضاد المعرفه بذلك واليقين .

وما ورد من النصوص مما قد يفـيد ظاهره خلاف هذا فسنبين حقيقتـه بإختصار كما جاء عـن الأئمة الأعلام ثم نبين ما نراه فى ذلك قال القاضى عـياض فى قوله تعالى : **﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾** [الآية (٩٤) يونس] فاحـذر ـ ثبت الله قلبك ـ أن يخطر ببالك ما ذكره فـيه بعض المفسـرين عن ابن عباس أو غيـره من إثبات شك للنبى ﷺ فـيما أوحى إليه فـمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قال ابن عباس : لم يشك النبى ﷺ ولم يسأل ، ونحوه عن ابن جبير والحسن .

وحكى قتادة : أن النبى ﷺ قال :« **ما أشك ولا أسأل**» وعامة المفسرين على هذا واختلفـوا فى معنى الآية فـقيل الـمراد قل يا مـحمد للـشاك إن كنت فى شك ... الآية .

وقالوا وفى السورة نفسها مادل على هذا التأويل وهو قوله : **﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دينى ﴾**[الآية (١٠٤) يونس] وقـيل المـراد بالخطاب العـرب وغيـر النبى ﷺ كمـا قال : **﴿ لئن اشركت ليحـبطن عملك﴾** [الآية (٦٥) الزمر] الخطاب له والمراد غيـره ومـثله **﴿ فلاتك فى مرية ممـا يعبد هؤلاء ﴾** [الآية (١٠٩) هود] ونظيره كثير .

ألا تراه يقـول ﴿ **ولا تكون من الذين كـذبوا بآيات الله** ﴾ [الآية (٩٥) يونس] وهو ﷺ المُكذَّب (بفتح الذال المعجـمة المشددة) فيمـا يدعو إليه فكيف يكون ممن كذّب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره .

ومثل هذه الآية قوله ﴿ **الرحمن فاسأل به خبيراً** ﴾ [الآية (٥٩) الفرقان] المأمور ههنا غير النبى ﷺ ليسأل النبى ، والنبى ﷺ هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل .

وقيل إن هذا الشك الذى أُمر به غير النبى ﷺ بسؤال الذين يقرؤون الكتاب إنما هو فيما قصه الله من أخبار الأمم لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى :﴿ **سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا** ﴾ [الآية (٤٥) الزخرف] المراد المشـركون والخطـاب لوحه للنبى وقـيل مـعناه :﴿ **سلنا عمن أرسلـنا من قبلك**﴾ فحـذف الخافض وتم الكلام ثـم ابتدأ﴿ **أجعلنا من دون الرحمن** ﴾ إلى آخر الآية على طريقة الانكار أى ماجعلنا .

وقيل أمـر النبى أن يسأل الأنبيـاء ليلة الاسراء عن ذلك فكان أشـد يقيناً من أن يحتاج إلى السؤال فروى أنه قال : « **لا أسأل قد اكتُفيت** » .

وقيل سل أمم من أرسلنـا هل جاؤوهم بغيـر التوحيـد وهو معنى قول مـجاهد والسدى والضحـاك وقتادة والمراد بهذا والذى قبله إعـلامه ﷺ بما بُعثت به الرسل وانه تعـالي لم يأذن فى عبـاده غيـره لأحد رداً على مـشركى العـرب وغيـرهم فى قولهم ﴿**إنما نعبـدهم ليقـربونا إلى الله زلفى**﴾ ومن ذلك قولـه تعالى :﴿ **والذين آتيناهم الكتاب يعلـمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممـترين** ﴾ [الآية (١١٤) الأنعام] أى فى علمـهم بأنك رسول الله وإن لم يقـروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر فى أول الآية .

وقد يكون أيضاً على مثل ما تقدم أى قل يا محمد لمن افترى فى ذلك لا تكونن

من الممتـرين بدليل قـوله أول الآية : ﴿ **أفـغيـر الله ابتغى حكمـاً** ﴾ وان النبى ﷺ يخاطب بذلك غيره .

وقيل هو تقرير كقوله : ﴿**أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله**﴾ [الآية (١١٦) المائدة] وقد علم أنه لم يقل .

وقيل معناه ما كنت فى شك فأسأل تزدد طمأنينة وعلماً إلى علمك ويقينك .

وقيل إن كنت تشك فيما شرفناك وفـضلناك به فاسألهم عن صفتك فى الكتب ونشر فضائلك .

وحُكى عن أبى عبيده أن المراد إن كنت فى شك من غيرك فيما أنزلنا .

فإن قيل فما معنى قوله ﴿ **حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قدكُذبوا**﴾ [الآية (١١٠) يوسف] على قـراءة التـخفـيف ؟ قلنا : المعنى فى ذلـك ما قـالتـه السيـدة عائشـة رضى الله عنها : مـعاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربهـا وإنما معنى ذلك أن الرسل لما استـيـأسوا ظنوا أن من وعـدهم النصر من أتبـاعهم كـذبوهم وعلى هذا أكثر المفسرين .

وقيل إن ضـمـيـر ظنوا عائد على الأتبـاع والأمم لا على الأنبيـاء والرسل وهو قول ابن عباس والنخعى وابن جبير وجماعة من العلماء .

وبهذا المعنى قـرأ مجـاهد «كذبوا» فلا تشـغل بالك من شاذ التـفسيـر بسواه مما يليق بمنصب العلماء فكيف بالأنبياء .

ومن ذلك قوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ ﴿**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين** ﴾[الآية (٣٥) الانعـام] فإن بعـضـهم فسـرها بأن مـعناها لا تكونن ممن يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى .

وهذا أمر باطل فإن أقل الناس إيماناً لا يجهل أن الله لو شاء لجمعهم على الهدى فكيف بسيد أهل الإيمان إذ فيه إثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء .

نقول أن المقصود هو وعظة ﷺ أن لا يتشبه فى أموره بسمات الجاهلين .

وقيل أنه خطاب للأمة المحمدية والمعنى فلا تكونوا من الجاهلين .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك** ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ **إذاً لأذقناك ضعف الحياة** ﴾[3] وقوله تعالى ﴿ **لأخذنا منه باليمين** ﴾[4] وقوله ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾[5] وقوله ﴿ **وإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾[6] وقوله : ﴿ **وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾[7] وقوله ﴿ **اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين** ﴾[8] فاعلم وفقنا الله وإياك أنه ﷺ لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك به ولا يتقول على الله ما لا يحب أو يفترى عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين لكن يسّر أمره بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين وأن بلاغه إن لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلّغ وطيّب نفسه وقوى قلبه بقوله : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾وأما قوله تعالى : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل** ﴾ وقوله ﴿ **إذاً لأذقناك ضعف الحياة** ﴾ فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله .

وكذلك قوله ﴿ **وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله** ﴾فالمراد غيره كما قال : ﴿ **إن تطيعوا الذين كفروا** ﴾وقوله ﴿ **فإن يشأ الله يختم على قلبك** ﴾

---

(١) [الآية (٦٥) الزمر] .
(٢) [الآية (١٠٦) يونس]
(٣) [الآية (٧٥) اللاسراء] .
(٤) [الآية (٤٥) الحاقة]
(٥) [الآية (١١٦) الانعام] .
(٦) [الآية (٢٤) الشورى]
(٧) [الآية (٦٧) اللمائدة] .
(٨) [الآية (١) الاحزاب] .

وقوله ﴿ **لئن أشركت ليحبطن عملك** ﴾ وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذه حال من أشرك والنبى ﷺ لا يجوز عليه هذا .

وقوله : ﴿ **اتق الله ولا تطع الكافرين** ﴾ فليس فيه أنه أطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم** ﴾ [1] وما كان طردهم ﷺ ولا كان من الظالمين .

---

(١) [الآية (٥٢) الانعام] .

حقيقة قصة زيد بن حارثة

ومن ذلك قوله تعالى : فى قـصة زيد بن حارثة ﴿ **إذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عـليه أمسك عليـك زوجك واتقى الله وتخفى فى نفـسك ما الله مـبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخـشاه فلما قضى زيد منها وطـراً زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعـيائهم إذا قضوا منهن وطـراً وكان أمر الله مفعولاً** ﴾[الآية (٣٧) الاحزاب] .

فقـد أخطأ بعض المفـسرين فى تفـسيـرها وقال إن مـعناها أن النبى ﷺ لما رأى زينب أعجبته وتمنى أن يطلقها زيد وأخفى فى نفسه هذه الأمنية وأنه كان يأمر زيد بإمساكها مجاملة . ولو كان هذا صـحيحاً لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مدّ عينيـه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا . ولكان هذا نفس الحـسد المذموم الذى لا يرضاه ولا يتسم بـه الأتقياء فكيف بسيد الأنبـياء ؟ قال القشـيرى : وهذا إقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبى ﷺ وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهى بنت عمتـه ولم يزل يراها منذ وُلدت ولا كان النساء يحتـجبن منه ﷺ وهو زَوّجها لزيد فلو أرادها ﷺ لاصطفـاها لنفسـه قبل زيد ولفـرحت بذلك بما لا مزيد عـليه خصوصا وأنها ما تزوجت بزيد إلا طاعة لأمر رسول الله ﷺ .

والحق الذى ندين الله عليـه هو أن الله تعـالى كان قـد أعلم نبيـه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه بعد زيد لحكمه تشريعية أشارت إليه الآية فى آخرها وكان زيد يشكو كثيراً إلـى رسول الله ﷺ عدم استقراره وارتياحـه للزواج بها وذلك لوجود فـوارق عديدة بينهـما تجـعل الائتـلاف والانسجـام بعيـداً فكان كلمـا شكاها إلى رسول الله ﷺ يقـول له : أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه فى نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مُبدية ومُظهرة بتمام التزوج وطلاق زيد لها .

فهذا منه ﷺ تمام الأدب والذوق وكمال الاحساس فى مراعاة شعور الآخرين مع أنه لو قال له إن الله اخبرنى بأن زينب ستكون زوجة لى بعدك لما كان عليه فى ذلك حرج ولذا فإن الله هنا يمتدح فيه هذه المنقبة ويثنى عليه موقفه هذا .

وهذا معنى قوله تعالى : « **وتُخْفى فى نفسك ما الله مبديه** » .

ويؤيد هذا ما جاء عن الزهرى قال : « نزل جبريل على النبى ﷺ يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذى أخفى فى نفسه » .

ويصحح هذا قول المفسرين فى قوله تعالى بعد هذا ﴿ **وكان أمر الله مفعولاً** ﴾ أى لابد لك أن تتزوجها ويوضح هذا أن الله لم يُبْد من أمره معها غير زواجة لها فدلّ أنه الذى أخفاه ﷺ مما كان أعلمه به تعالى .

والحكمة فى زواجه بها لإزاله حرمة التبنى وابطال سنته لأن النبى ﷺ كان قد تبنى زيداً حتى صار يُدْعى زيد بن محمد وقد أبطل الله تعالى هذه العادة بقوله : ﴿**ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم** ﴾ (١) أبطلها عملياً بأمره ﷺ بالتزوج بها .

وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى فى آخر الآية بقوله :﴿ **لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم** ﴾..

فإن قيل : فما الفائدة فى أمره ﷺ لزيد بإمساكها ؟ فالجواب أنه وإن كان الله تعالى قد أعلم نبيه بأنها ستكون زوجته إلا أن الله تعالى لم يأذن بطلاقها فى ذلك الوقت فلذلك كان يأمره بإمساكها حتى يأتى الوقت الذى قدّر الله فيه الطلاق .

وإن قيل فما معنى قوله تعالى : وتخش الناس والله أحق أن تخشاه فالجواب أن الخشية هنا معناها الاستحياء وليس الخوف أى يستحى منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته ﷺ كانت من أرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على

---

(١) [الآية (٤٠) الاحزاب] .

المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما كان فعاتبه الله على هذا ونزهة عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عاتبه الله على مراعاة رضى أزواجه فى سورة التحريم بقوله : ﴿ **لم تحرم ما أحل الله لك** ﴾ كذلك قوله له ها هنا : ﴿ **وتخش الناس والله أحق أن تخشاه** ﴾ .

وقد روى عن الحسن وعائشة : لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء لما أخفاه .

ووجدك ضالاً فهدى

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾[1] قيل ضالاً عن النبوة فهداك إليها وقيل : وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للإيمان وإلي ارشادهم وقيل ضالاً عن شريعتك أى لا تعرفها فهداك إليها والضلال ههنا التحيّر ولهذا كان ﷺ يخلو بغار حراء طلبا لما يتوجه به إلى ربه ويتشرع به حتى هداه الله إلى الاسلام وقيل لا تعرف الحق فهداك إليه وهذا مثل قوله تعالى : ﴿**وعلمك ما لم تكن تعلم** ﴾[2] وعن جعفر بن محمد ، ووجدك ضالا عن محبته فى الأزل ، أى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرأ الحسن بن على : ووجدك ضال فهدى أى اهتدى بك وهى قراءة شاذة .

وقال ابن عطاء : ووجدك ضالاً أى محباً لمعرفتى والضال : المحب كما قال : إنك لفى ضلالك القديم أى محبتك القديمة لم يريدوا ههنا فى الدين إذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا .

ومثل هذا قوله : ﴿ **إنا لنراها فى ضلال مبين** ﴾[3] أى محبة بينة .

وقال الجنيد : ووجدك متحيّراً فى بيان ما أنزل إليك فهداك لبيانه لقوله تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ﴾[4] وقيل ووجدك لم يعرفك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان** ﴾[5] والصحيح

---

(١) [الآية (٧) الضحى] .
(٢) [الآية (١١٣) النساء]
(٣) [الآية (٣٠) يوسف] .
(٤) [الآية (٤٤) النحل]
(٥) [الآية (٥٢) الشورى] .

أن معـناه : ما كنت تدرى قـبل الوحى أن تقرأ القـرآن ولا كيف تدعـو الخلق إلى الايمان .

وقـال بعـضـهم ولا الايمـان الذى هو الفـرائض والأحكام فكـان قـبل مـؤمناً بتـوحيـده ثم نزلت الفرائض الـتى لم يكن يدريها قـبل فـزاد بالتكليف إيماناً وهو أحسن وجوهه .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ **وإن كنت من قبله لمن الغافلين** ﴾[1] .

وقال الأزهرى معناه الناسين كما قال تعالى ﴿ **أن تضل إحداهما** ﴾ [2] فاعلم : أنه ليس بمعنى قوله ﴿ **والذين هم عن آياتنا غافلون** ﴾ .

بل حكى أبو عبـد الله الهروى أن مـعناه : لمن الغافلين عن قـصة يوسف إذ لـم تعلمها إلا بوحينا .

---

(١) [الآية ٣٠) يوسف] . (٢) [الآية (٢٨٢) البقرة]

نسبة الذنوب إلى مقامه الشريف

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **ليغفر لك الله مـا تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾ [الآية (٢) الفتح] فإن ظاهر الآية يفيد جواز صدور الذنب من النبى ﷺ اعتماداً على أن المغفـرة إنما تكون بعـد الذنب وقد قال بهـذا بعض العلمـاء وأيدوه فقالـوا بجواز صدور الصغائر منه ﷺ محتجين بآيات وأحاديث ، يفيد ظاهرها هذا المعنى .

منها قوله : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ [1] وقوله : ﴿ **ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك** ﴾ [2] وقوله : ﴿ **عفا الله عنك لما أذنت لهم** ﴾ [3] وقوله : ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ [4] وقوله : ﴿ **عبس وتولى أن جاءه الأعمى** ﴾[5] وقول النبى فى دعائه : « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ومـا أسررت وما أعلنت » ونحوه من أدعيته ﷺ وقوله : « إنى ليغان على قلبى فاستغفر الله » وفى حديث أبى هريرة : « إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة » وقد أجـاب الشيخ الامـام القاضى عياض رحمـه الله تعالى عن قوله تعالى :﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾بأجوبة عديدة مـنها : أن المراد بذلك أمته ﷺ ومنهـا أن المراد بذلك ما كان عن سهو وغـفله وتأويل ومنها أن المغفـرة هنا تبرئتة من العيـوب ومنها : أن النبى ﷺ لما أمر أن يقول : ﴿ **وما أدرى مـا يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا مـا يوحى إلى وما أنا إلا نذير مبين** ﴾ [الآية (٩) الأحقاف] سر بذلك الكفـار فأنزل الله تعالى : ﴿**ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ .

---

(١) [الآية (١٩) محمد] .
(٢) [الآيتان (٢ ، ٣) الشرح]
(٣) الآية (٤٣) التوبة] .
(٤) [الآية (٦٨) الانفال]
(٥) الآيتان (١ ، ٢) عبس] .

فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب إن لو كان .

وأجاب الامام العارف بالله عبد العزيز الدباغ بجواب نفيس خلاصته : أن المراد بالفتح في قوله تعالى : ﴿ **إنا فتحنا** ﴾هو المشاهدة أى مشاهدته تعالى فمن رحمة الله تعالى للنبى ﷺ أنه أزال عنه الحجاب وأكرمه بمشاهدته تعالى فلا يرى إلا ما هو حق من الحق وإلى الحق فهذا هو المشار إليه بالفتح المبين وقد وقع له ﷺ من صغره لأنه لم يُحجب عنه تعالى وهذا الفتح ثابت لكل نبى بل ولكل عارف والخصوصية فيه للنبى ﷺ من حيث كمال قوته وطاقته وأهليه عقله وروحه ونفسه وذاته وسره مما لم يثبت لغيره .

والمراد بالذنب فى قوله : ﴿ **ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾سببه وهو الغفلة وظلال الحجاب الذى فى أصل النشأة الترابية والمراد بما تقدم وما تأخر الكناية عن زواله والمراد بالغفران الازالة .

فكأنه يقول : إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليزول عنك الحجاب بالكلية ولتتم النعمة منا عليك ولتهدى وتنصر فإنه لانعمة فوق نعمة زوال الحجاب ولا هداية فوق هداية المعارف ولا نصرة أبلغ من نصرة من كانت هذه حالته . هذا مستفاد من كلام الشيخ الدباغ بتصرف .

قلت أما أمر الله لنبينا ﷺ **بالأستغفار** وكونه ﷺ يصرح بذلك ويدعو به ويسأله من الله فهذا من كمال تواضعة ﷺ ومن كمال إقراره بالعبودية الكاملة وبحاجته إلى ربه وافتقاره إليه وعدم استغنائه عن فضله وعدم اغتراره بما أعطاه مولاه وكأن لسان حالة يقول : إنّى مع ما مّن الله علي من فضل وثواب ودرجات عالية ومقامات سامية فإنى لا أزال أرغب فى فضله وأسارع إلى رحابه وأقف على أبوابه وأنافس فى الخيرات وأبادر إلى المبّرات وقد صرح بذلك فقال : « **أنا**

أخشاكم لله وأتقاكم وأعلمكم به » وفى هذا أيضاً تعليم للأمة ليقتدوا به ويتبعوه وفى هذا أيضاً تمام الشكر لله بإدامة العمل له كيف لا ؟ وهو القائل : **« أفلا أكون عبداً شكوراً »** .

وقد قال الامام الشاذلى رحمه الله : سمعت الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ : إنه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة فأشكل على معناه فرأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لى : **يا مبارك ذاك غين الأنوار لا غين الأغيار** .

ووضعنا عنك وزرك

وأما قوله تعالى : ﴿ **ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك** ﴾[1] فقيل معناه أنه حُفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهره .

وقيل : المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلّغها .

وقيل : ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك .

وقيل : معناه خفّفنا عنك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحُفظ عليك .

وقيل : حططنا عنك ثقل الجاهلية .

ومعنى ﴿ **أنقض ظهرك** ﴾ أى كاد ينقضه أو يكون الوضع عصمة الله وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه .

وأما قوله : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾[2] فأمر لم يتقدم للنبى ﷺ فيه من الله تعالى نهى فيعد معصية ولا عده الله تعالى معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلّطوا من ذهب إلى ذلك والصواب أنه ﷺ كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحى فكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ **فأذن لمن شئت منهم** ﴾[3] فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس «عفا» هنا بمعنى غفر بل قال النبى ﷺ :

ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه

---

(١) [الآيتان (١ ، ٢) الشرح] . (٢) [الآية (٤٣) التوبة]

(٣) [الآية (٦٢) النور] .

للقشيرى : قال وإنما يقول «العفو» لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال : ومعنى «عفا الله عنك» لم يلزمك ذنب قال الداودى :« روى أنها كانت تكرمة» قال مكى : « هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك» .

وحكى السمرقندى : أن معناه ـ عافاك الله .

عبس وتولى

وأما قوله :   فليس فيه إثبات ذنب له ﷺ بل إعلام الله لنا أن ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى فالخطاب لنا .

وأن الصواب أو الأولى كان ـ لو كشف لك حال الرجلين ـ الاقبال على الأعمى .

وفعلُ النبى ﷺ لما فعل وتصديه لذاك الكافر كان طاعة لله وتبليغاً عنه واستئلافاً له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة .

وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين ـ وتوهين أمر الكافر عنده والاشارة إلى الاعراض عنه بقوله :﴿ **وما عليك ألا يزكى** ﴾[الآية (٧) عبس] .

قلت ويحتمل أنه عتاب من الحق سبحانه على ما فعله ﷺ مما ظهر له صلاحه وترجح عنده نجاحه وكان الواقع الذى قدّر الله جل وعلا بخلاف ذلك والعتاب لا يقتضى ولا يلزم منه أن يكون بعد ذنب أو مخالفة كما هو الجارى بين الناس فى معاملتهم فقد يعاتب الأخ أخاه والحبيب حبيبه على ترك الأولى بل على ترك الأكمل وقد يعاتب الوالد ولده على التقصير وفعل المذموم فالعتاب أوسع من أن يكون فى جهه واحدة .

وقيل أراد بـ «عبس وتولى» الكافر الذى كان مع النبى ﷺ قاله أبو تمام .

لقد خشيت على نفس

ومن ذلك ما ورد فى حديث السيرة ومبدأ الوحى من قوله ﷺ لخديجة : « **لقد خشيت على نفسى** » ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشى أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحى فينخلع قلبه أو تزهق نفسه .

هذا على ما ورد فى الصحيح أنه قاله بعد رؤية الملك أو يكون ذلك قبل لقائه وإعلام الله تعالى له بالنبوة لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير . كما روى فى بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولاً فى المنام ثم أرى فى اليقظة مثل ذلك تأنيساً له عليه السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحمله لأول حاله بنيته البشرية . وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة قالت : ثم حُبّب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو فى غار حراء .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : مكث النبى ﷺ بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئاً وثمانى سنين يوحى إليه .

وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم : أن النبى ﷺ قال : **وذكر جواره بغار حراء** ـ قال : **فجاءنى وأنا نائم فقال إقرأ : فقلت : ما أقرأ** وذكر نحو حديث عائشة فى غطّه له واقرائه له ﴿ **إقرأ باسم ربك**﴾السورة . **قال فانصرف عنى وهببت من نومى كأنما صورت فى قلبى ولم يكن أبغض إلى من شاعر أو مجنون قلت لاتحدّث عنى قريش بهذا أبداً لأعمدن إلي حالق من الجبل فلأطرحن نفسى منها فلأقتلنهّا فبينا أنا عامد لذلك إذ سمعت منادياً ينادى من السماء يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسى فإذا جبريل على صورة رجل** وذكر الحديث فقد بين فى هذا أن قوله لما قال ، وقصده لما قصد إنما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام وقبل إعلام الله تعالى له بالنبوة .

موقفه من أسرى بدر

ومما يستدل به من يقول بجواز الخطأ عليه ﷺ دون أن يقرّ عليه ، قصة أسرى بدر . وهى كما في المسند عن أنس رضى الله عنه أنه قال : استشار النبى ﷺ الناس فى الأسرى يوم بدر فقال إن الله تعالى قد أمكنكم منهم فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبى ﷺ ثم عاد رسول الله ﷺ فقال : **يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإنما هم إخوانكم بالأمس** فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم ، فأعرض عنه النبى ﷺ فقال للناس مثل ذلك فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فقال : يارسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه رسول الله ﷺ ما كان فيه من الغم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء .

قال : وأنزل الله تعالى : ﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾[1] ومن تأمل ما جاء فى روايات هذه القصة يظهر له جلياً أنه ﷺ كان مصيباً فيما فعله وذلك من وجوه متعددة .

الوجه الأول : أن النبى ﷺ عمل بذلك بمقتضى المشاورة التى أمره الله تعالى بها فى قوله ﴿ **وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ [الآية (١٥٩) آل عمران] .

الوجه الثانى : أنه ﷺ جنح إلى رأى من قال بالفداء وهَويه ـ أى أحبه ـ لما فيه من الرحمة والعطف واللين بمقتضى المقام الذى أقامه تعالى فيه وهو قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[2] .

---

(١) [الآية (٦٨) الانفال] . (٢) [الآية (١٠٧) الانبياء]

الوجه الثالث : أن فعله ﷺ كان موافقاً ، لما سبق فى الكتاب الأول الذى قضى الله تعالى فيه حلّ الغنائم له ﷺ خاصة ولم تحل لأحد من قبله كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى :﴿ **لولا كتاب من الله سبق** ﴾ يعنى في أم الكتاب الأول : أن المغانم والأسارى حلال لكم ﴿ **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ .

الوجه الرابع : وكما أن قبوله ﷺ الفداء وافق قضاء الله تعالى السابق فى الكتاب الأول فانه وافق أيضاً الشرع اللاحق النازل فى الكتاب الحكيم وهو قوله تعالى ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾ فكيف يقال فى أمر وافق الكتاب الأول ووافق الشرع النازل بعد كيف يقال أنه خطأ .

الوجه الخامس : أن نزول التشريع بإحلال الغنائم وهو قوله تعالى :﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾ [1] وهو إقرار لما فعله رسول الله ﷺ وتصويب لما رآه إذ لو كان فعله خطأ كيف يقره الله تعالى عليه ويجعله شرعاً باقياً ؟ حتى على قول من جوّز الخطأ عليه ﷺ دون أن يقره الله عليه لا يقال إنه ﷺ أخطأ فى قضية أسرى بدر لأن الله تعالى أمَره على ذلك فمن أين يأتى الخطأ ؟

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيره : وقد استمر الحكم فى الأسرى عند جمهور العلماء أن الامام مخير فيهم إن شاء قتل كما فعل ببنى قريظة وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر .

أو فادى بمن أسر من المسلمين كما فعل رسول الله ﷺ فى تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا فى سبى سلمة بن الأكوع حيث ردهما وأخذ فى مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين وإن شاء استرق من أسر ، هذا مذهب الأمام الشافعى وطائفة من العلماء وفى المسألة خلاف بين الأئمة مقرر فى موضعة من كتب الفقه ، أ . هـ ابن كثير .

---

(١) [الآية (٦٩) الانفال] .

الوجه السادس : لو كان موقفه ﷺ مع أسرى بدر خطأ لأمره الله تعالى أن يرد الفداء وأن يستغفر الله تعالى من الخطأ الذى وقع فيه ، مع أنه سبحانه وتعالى أقره على ذلك وشرع له ذلك فقال : ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾ فلو كان خطأ لما أقره الله تعالى عليه ولما شرع له ذلك .

الوجه السابع : كيف يحكم بأنه ﷺ أخطأ فى أسرى بدر مع أنه ﷺ أمر أن يخير أصحابه فى ذلك ثم عمل بمقتضى ذلك فقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم بإسناد صحيح عن على كرم الله وجهه قال : جاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ يوم بدر فقال خيّر أصحابك فى الأسارى إن شاءوا القتل وإن شاءوا الفداء على أن يقتل منهم - أى الصحابة - فى العام المقبل مثلهم فقالوا نختار الفداء ويقتل منا ، أى يقتل منهم سبعون رغبة فى الشهادة فى سبيل الله تعالى .

وعن ابن سعد من مرسل قتادة ، قالوا : بل نفاديهم فنقوى بهم عليهم ويدخل العام القابل منا الجنة سبعون فغادرهم .

قال الحافظ القسطلانى : وهذا دليل على أنهم لم يفعلوا إلا ما أُذن لهم فيه أما قوله تعالى : ﴿ **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يسخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة** ﴾ليس فيها معاتبة للنبى ﷺ أصلاً وإنما فيها العتاب لمن أشار على النبى ﷺ بالفداء بغية عرض الدنيا وهو المال المفدى به حين استشار عامة الناس قبل أن يستشير خاصتهم : أبا بكر وعمر وعلياً رضى الله عنهم كما تقدم .

فأراد بقوله سبحانه وتعالى﴿ **تريدون عرض الدنيا** ﴾ أولئك النّفر الذين أرادوا المال .

أما سيدنا رسول الله ﷺ فلم يقصد بقوله الفداء عرض الدنيا وحاشاه من ذلك ، فإن الدنيا كلها ما لها قيمة عنده وقد قال ﷺ : (**مالى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**) وقد عرضت عليه جبال تهامة أن تكون ذهباً فأبى ، فأين هو من عرض الدنيا كما أن قوله تعالى :﴿ **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنتم حلالاً طيباً**﴾ فإن هذا إعلان منه سبحانه وتعالى بنعمته ومنّته على هذه الأمة بفضل نبيها ﷺ وإعلام بأنه سبق منه القضاء فى الكتاب الأسبق ، بحلّ الغنائم لهذه الأمة دون غيرها فضلاً منه ونعمة بفضل نبيها وكرامته على الله تعالى .

ومن ثم كان ﷺ يشيد بهذه النعمة فى جمله من المناقب التى خصه الله تعالى بها فيقول (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلى كان كل نبى يبعث إلي قومه خاصة وبعثت إلى الأحمر والأسود وأحلت لى الغنائم ولم تكن تحل لأحد قبلى**) .

توضيح مُشكل الحديث

أما ما جاء فى الحديث عن قول عمر رضى الله عنه : فلما كان الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان قلت : يارسول الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاءاً بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله ﷺ : **أبكى للذى عُرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة** « شجرة قريبة من نبى الله ﷺ » وأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يسخن فى الأرض** - إلى قوله - **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾فأحل الله الغنيمة لهم .

أقـول : الصـواب أن هذا الذى عـرض عليـه ﷺ من عـذابهم كـان قـبل نزول الآيات المقرِّرة (بكسر الراء الأولـى المشددة) تصحيح عمله وتأييـد موقفه وتثبـيته فيما انشرح إليـه صدره من رأى أبى بكر رضى الله عنه وفائدة هذا العرض زيادة المنّة من الله تعالى بتـعظيم النعمة عليـهم فيمـا أباحة لهم مما كان محـرّماً على من قبلهم وذلك ببـيان ما يستـحق هؤلاء الأسرى من الجزاء والعقـاب لوجرى الأمر على ما كان مما هو مشروع من قبل فعذابهم هذا الذى رأه ﷺ هو الذى يستحقونه لو لم يكن مـا شرعـة الله مما هدى إليـه رسوله الصـادق الأمين من قـبوله الفـداء وأخذ الغـنائم ثم بعد اظهـار ذلك لحضـره المصطفى ﷺ بكى لأنه ظن أن هذا هو حكم الله فيهم وظن أنه أخطأ فيما جنـح إليه ورآه ثم أعلمه الله جل شأنه بصحة ذلك وأنه هو الحق بما أنزل علـيه من الآيات البـينات التى صـوبت عـمله وأيدت قوله وفـعله وجعلت ما ذهب إليـه شريعة متـبعة وسـمة قائمة ونظامـاً من أصول الأنظمة الحربية فى شأن الأسرى إلى قيام الساعة .

وأما قوله تعالى : ﴿ **ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يسخن فى الأرض** ﴾ فالصواب أن هذه الآيـة إخبار من الله لنبيـه محمد ﷺ عن حكم هذه القـضية فى الشرائع السـابقة وهى تقـول له يا محمـد ما كان لنبي ممـن سبقك من الأنبـياء أن يكون له أسرى حتى يكْثر القتل والقهـر فى العدو هذا حكم من سبق أما أنت فقد أبحنا ذلك وأحللناه لك مزيّة ومنقبـة وخصوصية تتميز بهـا عنهم فالآية اشتملت على تقرير تمام النعمة على محمد ﷺ ببيان ما فضله به مـولاه واختصه به الله مما كان مُحرّماً على من سبقه فتَدبّر وليس فيها عتاب أو خصام فالحمد لله على ذلك هذا ما عندى ونسأله سبحانه وتعالى أن يرزقنا الفهم في كتابه العزيز .

حديث أنتم أعلم بأمور دنياكم

ومما يستدل به من يقول بجواز الخطأ عليه ﷺ دون أن يقّر عليه قضية تأبير النخل وهى : أن النبى ﷺ مر بقوم يلقحون النخل فقال : **لو لم تفعلوا لصلح قال : فخرج شيصاً فمر بهم ﷺ فقال ما لنخلكم ؟ قالوا : « قلت كذا وكذا قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم »** [1] فمن هذا الحديث فهم بعض الناس أن النبى ﷺ قد يخطئ فى أمور الدنيا وراح يقول : أخطأ رسول الله ﷺ فى كذا وأخطأ فى كذا .

ولكن الحق أحق أن يتبع وذلك أن أقواله ﷺ وأفعاله يفسر بعضها بعضاً ويشبه بعضها بعضاً وأن الله تعالى حفظه عن الخطأ كما حفظه من الخطيئة فنقول وبالله التوفيق :-

أولاً : أنه ﷺ قد نشأ فى تلك الأراضى المباركة التى هى منابت النخيل وتربى بين قوم يعلمون فنون زرع النخيل وما يتطلبه من عنايات ولقاحات وكيف يتصور فى حقه ﷺ أن تخفى عليه تلك العادة المطّردة فى إنتاج النخيل ولزوم التلقيح له بموجب الأصول الزراعية ؟ في حين أن ذلك ليس من خفايا معلومات الزراعة لشجر النخيل ولا من غوامضها إذن لابد وأنه يعلم ذلك كما يعلمون ولكن أراد أن يظهر لهم أمراً لا يستطيعون نيله بأنفسهم .

ثانياً : أن الرسول الكريم ﷺ الذى نال من العلوم ما نال وأفاض الله تعالى عليه ما أفاض حتى أنه ذكر للصحابة وبحث لهم فى كل شئ كما روي الطبرانى عن أبى ذر رضى الله عنه قال : (تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه فى الهواء إلا ذكر لنا منه علماً) . فكيف يتصور أن يخفى عليه ﷺ أن النخيل لا

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

يحتـاج إلى تلقيح بمقتـضى العادة فى علم الزراعة ولكن رسـول الله ﷺ أراد أمراً أخر .

ثانيـاً : أن الذى يدلنا على ذلك الأمـر الذى أراده ﷺ هو النظر فى أشبـاه هذه الواقعة الصادرة منه ﷺ ومن ذلك حديث : « **ناولنى الذراع** »

ففى المسند عن أبى رافع القـبطى مولى رسول الله ﷺ قـال : صُنع لرسول الله ﷺ شاه مُصليـة فأتى بها فقال : « يا أبو رافع ناولـنى الذراع » فناولته ثم قال : «ناولنى الذراع» فناولته ثم قال ناولنى الذراع » فـقلت يا رسول الله هل للشاة إلا ذراعان ؟ فقال ﷺ : « **لو سكت لناولتنى منها ذراعـاً ما دعوت به** » قال : وكان رسول الله ﷺ يعجبه الذراع .

قال فى مـجمع الزوائـد : رواه أحمد والطـبرانى من طرق وقـال فى بعضـها : «أمرنى رسول الله أن أُصْلى له شاه فصليتـها » ورواه فى الأوسط باختصار واحد إسنادى أحمد حسن .

وعن أبى عبيـدة أنه طُبخ لرسول الله ﷺ قدراً فيها لحم فـقال رسول الله ﷺ : «ناولنى ذراعها» فناولتـه فقال : « ناولنى ذراعها » فناولته فـقال : ناولنى ذراعها » فقلت يا نبى الله كم للشاة من ذراع ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده لو سكت لأعطيت ذراعاً مـا دعوت به** » وهذه القصـة غير التـى تقدمت كمـا نبه عليه الحـافظ الزرقانى وغيره . وفى مـجمع الزوائد عن ابن اسحاق قـال : حدثنى رجل من بنى غفار فى مـجلس سالم بن عبد الله قال حـدثنى فلان أن رسول الله ﷺ أتى بطعـام : خبـز ولحم فـقال « نـاولنى الذراع » فنوول ذراعـاً فأكله ثم قـال «ناولنى الذراع» فنوول ذراعاً فأكله ثم قال : « ناولنى الذراع » فقال يا رسول الله إنما هما ذراعان فقال : « **وأبيك لو سكت مازلت أناول منها ذراعاً ما دعوت به** » قال : ورواه أحمد وفيه راو لم يسم .

فقوله ﷺ : « ناولني الذراع » في المرة الثالثة مع العلم أن الشاة لها ذراعان إنما أراد أن يظهرا أمراً معجزاً فيه الاكرام وفيه البرهان وفيه الاشهاد بالعيان ولكن لما لم يجد محلاً قابلاً لم تظهر تلك المعجزة ولذلك قال الحافظ الزرقاني عند قوله ﷺ : « **أما أنك لو سكت لناولتني ذراعاً فذراعاً ما سكت** » أي مدة سكوتك لأنه سبحانه يخلق ذراعاً معجزه له ﷺ فحملت المناول عجلته المركبة في الانسان على قوله : إنما للشاة ذراعان فانقطع المدد لأنه إنما كان من مدد الكريم سبحانه إكراماً لخلاصة خلقه ﷺ فلو تلقاه المناول بالأدب ساكتاً مُصْغياً إلى ذلك العجب لكان شكراً منه مقتضياً لتشريفة بإجراء هذا المدد على يديه ولكنه تلقاه بصورة الانكار فرجع الكرم موليّاً لما لم يجد قابلاً إذ لا تليق مشاهدة هذه المعجزة العظيمة ـ التي في شهودها نوع تشريف للمطلع عليها ـ إلا لمن كمل تسليمه ولم يبق فيه أدنى حظ ولا إرادة .

وهكذا في حادثة تأبير النخل لما مر ﷺ بقوم يؤبرون النخل أراد أن يكرمهم ويتحفهم وأن يظهر لهم معجزة خارقة للعادة المطّردة في إصلاح النخل بالتأبير فيكرمهم خاصة بصلاحه بدون تأبير إذ هو ﷺ ممن يعلم بموجب العادة حاجة النخيل إلى تأبير كما يعلمون لأنه ﷺ بينهم مطلع على أمورهم .

ولكن لما لم تقبل قلوب بعض أولئك النفر ولم تستسلم كل الاستسلام إلى قوله ﷺ **لو لم تفعلوا** ـ أي التأبير ـ **لصَلُح** » بل وقفوا عند معلوماتهم الدنيوية المطردة في فن زراعة النخيل وأن صلاحة موقوف على التأبير فلم يلق الكرم محلاً قابلاً فرجع .

ولذلك ردّهم ﷺ بعد ذلك إلى الأسباب ـ المعتادة لديهم ، المعلومة عندهم التي وقفوا عندها ولم يجاوزوها فقال لهم : « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » أي فارجعوا إلى العمل بموجب علمكم بأمور دنياكم .

ويشهد لصحة ما قلناه وصواب ما فهمناه من أنه ﷺ لم يخطئ فى ذلك قول الشيخ ابن المبارك فى الابريز يسأل شيخه الامام سيدى عبد العزيز الدباغ : سألته رضى الله عنه عن حديث تأبير النخل - الذى هو فى صحيح مسلم حيث مر عليهم وهم يؤبّرون النخل - فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا ؟ فقالوا : بهذا تصلح يا رسول الله فقال : لو لم تفعلوا لصلحت فلم يؤبروها فجاءت شيصاً غير صالحة فلما رآها عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال : ما بال هذا التمر هكذا ؟ قالوا يا رسول الله قلت لنا كذا وكذا فقال ﷺ : « **أنتم أعلم بدنياكم** » فقال رضى الله عنه : قوله ﷺ : لو لم تفعلوا لصلحت كلام حق وقول صدق وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين بأنه تعالى هو الفاعل بالإطلاق وذلك الجزم مبني على مشاهدة سريان فعله تعالى في سائر الممكنات مباشرة بلا واسطة ولا سبب بحيث أنه لا تسكن ذرّة ولا تتحرك شعرة ولا يخفق قلب ولا يضرب عرق ولا تطرف عين ولا يومئ صاحب إلا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة وهذا أمر يشاهده النبى ﷺ كما يشاهد غيره من سائر المحسوسات ولا يغيب ذلك عن نظره لا فى اليقظة ولا فى المنام لأنه ﷺ لا ينام قلبه (الذى فيه هذه المشاهدة) ولا شك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الأسباب من نظره ويترقى عن الايمان بالغيب إلي الشهود والعيان فعنده فى قوله تبارك وتعالى ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [الآية (٩٦) الصافات] مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة وهو أن يجزم بمعنى الآية جزماً لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل إلى غيره تعالى ولو كان هذا الخاطر قدر رأس نملة ولا شك أن الجزم الذى يكون على هذه الصفة تخرق به العوائد وتنفعل به الأشياء وهو سر الله تعالى الذى لا يبقى معه سبب ولا واسطة فصاحب هذا المقام إذا أشار إلى سقوط الأسباب ونسبة الفعل إلي رب الأرباب كان قوله حقاً وكلامه صدقاً وأما

صاحب الايمان بالغيب فليس عنده في قوله تعالى : ﴿**والله خلقكم وما تعملون**﴾[1] مشاهدة بل إنما يشاهد نسبة الأفعال إلى من ظهرت على يده ولا يجذبه إلي معنى الآية ونسبة الفعل إليه تعالى بالايمان الذى وهبه الله تعالى له فعنده جاذبان أحدهما من ربه وهو الايمان الذى يجذبه إلى الحق وثانيهما من طبعه وهو مشاهدة الفعل من الغير الذى يجذبه إلي الباطل فهو بين هذين الأمرين دائماً لكن تارة يقوى الجاذب الايمانى فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين وتارة يقوى الجاذب الطبعى فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين وفى أوقات الغفلة ينتفى اليقين الخارق للسعادة فلهذا لم يقع ما أشار إليه النبى ﷺ لأن أولئك النفر من الصحابة رضى الله عنهم فاتهم اليقين الخارق وقتئذ الذى اشتمل عليه باطنه ﷺ وبحسبه خرج كلامه الحق وقوله الصدق ولما علم العلّة في عدم وقوع ما ذكر وعلم أن زوال تلك العلة ليس فى طوقهم رضى الله عنهم أبقاهم على حالتهم وقال : « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » .

وعلى كل حال فانه لا يقال أخطأ ﷺ فى قصة تأبير النخل كما لا يقال أنه ﷺ أخطأ فى قوله لأبى عبيد « **ناولنى الذراع** » فى المرة الثالثة فإن ذلك ليس من باب الخطأ بل من باب الصواب وإرادة الاكرام والاتحاف لأولئك النفر بأمر فيه اليمن والبركة على وجه خارق للعادة ولكن تخلف ذلك لوجود المانع والعارض .

ونظير هذا إنقطاع مدد الاكرام والبركة من ظرف السمن الذى بارك فيه النبى ﷺ لما عصرته أم مالك كما جاء في صحيح مسلم وغيره عن جابر رضى الله عنه : أن أم مالك الأنصارية كانت تهدى النبى ﷺ من عكة لها سمناً فيأتيها بنوها فيسألونها الأدم - وفى رواية - فيسألون السمن وليس عندهم شئ فتعمد - أى تقصد - إلى الظرف الذى كانت تهدى فيه فتجد فيه سمناً فمازال يقيم لها أدم

(١) [الآية (٩٦) الصافات] .

بيتها حتى عصرته أى عـصرت الظرف فنفذ السمن ـ فأتت النبى ﷺ ـ أى ذكرت له ذلك ـ فقال عصريتها ؟ قالت نعم فقال لو تركتيها مازال ـ أى السمن ـ قائماً .

وروى مـسلم عن جابر رضى الله عنـه أن رجلاً من أهل البـادية أتى النبى ﷺ يستطعمه فأطعـمه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضـيفهما ـ أى أضيـافهما الذيـن ينزلون عندهما ـ حتى كـاله ـ أى فنقص فأتى النبى ﷺ فأخـبره فقـال له : لو لم تكله لأكلتم منه دائماً حتى يكـفيكم ـ وأقام لكم ـ أى مدة الحـياة من غير نقص فالكيل العارض منع المددالفائض .

وقد بين الامـام النووى حكمه ذلـك كله حيث قال قـال العلماء : الحكـمة في ذلك أن عصـرها وكيله مضـادة للتسليم والتـوكل على رزق الله تعالى ويتـضمن التدبيـر والأخذ بالحـول والقوة وتكلف الاحـاطة بأسرار حكم الله تعـالى وفضله فعوقب فاعله بزواله .

قال الحافظ الزرقانى : ولا يعارض هذا قوله ﷺ : « **كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه** » لأنه فيمن يخشى الخـيانة ، أو كيلوا ما تخرجونه للنفقة لئـلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل أو كيلوا عند الشراء أو عند ادخاله المنزل .

تأويل المراد بلعنه ﷺ

ومن ذلك قوله ﷺ : **« اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإنى قد اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه ، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة »**.

وفى رواية :**« فأيما أحد دعوت عليه دعوة »**

وفى رواية : **« ليس لها بأهل »**

وفى رواية : **« فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة »**. فقد يقول قائل كيف يصح أن يلعن النبى ﷺ من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله ﷺ أولاً : «ليس لها بأهل» أى عندك يارب فى باطن أمره فان حكمه ﷺ على الظاهر كما قال .

وللحكمة التى ذكرناها حكم ﷺ بجلدة أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهرة ثم دعا له ﷺ لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التى وصفه الله بها وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة وهو معنى قوله : **« ليس لها بأهل »** لا أنه ﷺ يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم .

وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله : **« أغضب كما يغضب البشر »** أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد بهذا أن الغضب لله حمله

على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه .

وقد يحمل على أنه خرج مخرج الاشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدى حدود الله .

وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد فى غير موطن على غير العزم والقصد بل بما جرت به عاده العرب فى محاوراتهم يدعون على مخاطبهم بنحو «قاتله الله» «وويل أمه» «ولا أب له» لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور فى غير لسان العرب أيضاً .

وليس المراد بها الاجابة .

ومن ذلك قوله ﷺ : « **تربت يمينك** » رواه الشيخان .

وقوله : « **لا أشبع الله بطنك** » قاله ﷺ لمعاوية رضى الله عنه فيما رواه مسلم عن ابن عباس ولفظه : « كنت مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف الباب فقال : اذهب فادع لى معاوية قال : فجئته وقلت هو يأكل فقال ثانياً : اذهب فادعه فجئته وقلت هو يأكل فأمرنى فجئته وقلت هو يأكل فقال ﷺ : « **لا أشبع الله بطنه** » وقوله : « **عقرى حلقى** » وقد قاله ﷺ لصفية بنت حيى أم المؤمنين رضى الله عنها فى حجة الوداع وهو فى البخاري بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله للحج فلما كانت ليلة النّفر حاضت صفية فقال ﷺ : ما أراها إلا حابستكم .

وعقرى : دعاء عليها من العقر وهو عرقبة الدواب والألف للتأنيث كسكرى أو من العقرة وهو رفع الصوت وحلقى : دعاء عليها وهو وجع فى حلقها .

وقد ورد في صفته في غير حديث : « **أنه ﷺ لم يكن فحاشا** »وقال أنس : «**لم يكن سباباً ولا فـاحشاً ولا لعاناً**»وكان يقول لأحدنا عـند المعتبة « **ماله ترب جبينه** »

فيكون حـمل الحديث على هذا المعنى ثم أشـفق ﷺ من موافقـة أمثالهـا إجابة فعاهد ربه ـ كما قال في الحديث ـ أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة .

وقد يكون ذلك إشـفاقاً على المدعو عليـه وتأنيساً له لئلا يلـحقه من استـشعار الخوف والحذر من لعن النبى ﷺ وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط .

وقد يكون ذلك سـؤالاً منه لربه لمن جلدة أو سبه على حق وبوجـه صحيح أن يجعل ذلك كفاءة لما أصـابة وتمحية لما اجترم وأن تكون عقـوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر : « **ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة** » .

ميزان المؤمن مع أنبياء الله

ومن هنا فإنه ينبغى للمسلم أن لا يسارع إلي القول بجواز وقوع الذنب منه ﷺ وسلم لمجرد رؤيته لبعض النصوص التى فيها الاقرار منه ﷺ بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الله تعالى والخوف منه فيقع فى سوء الاعتقاد وفساد الرأى وهو مرض خبيث والعياذ بالله وعليه أن يعلم أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنتة فى عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل وعلا والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنهم فى تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ثم أو خذوا عليها وعوتبوا بسببها ،حذروا من المؤاخذه وأتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة إلى منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم .

لا إنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشئ الدنئ الرذل .

ومنه «ذنب كل شئ» أى آخره وأذناب الناس أرذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم لتطهيرها وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفى والخشية لله وإعظامه فى السر والعلانية .

وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش بما تكون بالاضافة إليه هذه الهنات فى حقه كالحسنات وقال بعضهم : « يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر » لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى أضعاف ما أتوا به من سوء الادب .

وهم يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك

ليكون استشعارهم له سبباً لزيادة رتبتهم كما قال : ﴿ **ثم إجتباه ربه فتاب عليه وهدى** ﴾ [الآية (١٢٢) طه] وقال لداود :﴿ **فغفرنا له ذلك** ﴾ [١] وقال بعد قول موسى﴿ **تُبت إليك** ﴾ [٢]﴿ **إنى اصطفيتك على الناس** ﴾ [٣] وقال بعد ذكر فتنة سليمان وإنابته ﴿ **فسخرنا له الريح** ﴾ [٤] إلى قوله﴿ **وحسن مآب**﴾ وقال بعض المتكلمين : « زلاّت الأنبياء فى الظاهر زلات وفى الحقيقة كرامات وقرب » وأيضاً لينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس من درجته بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدّوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم .

وقد وقع فى نفسى فيما يتعلق بالآيات القرآنية التى تتضمن العتاب والزجر والتهديد فى خطابه ﷺ أو يستفاد منها ما ينافى العصمة النبوية أن هذا كله لا يحتاج إلى جواب ولا إشكال فيه وذلك لأنه خطاب من الله إلى الأنبياء وهو مولاهم وسيدهم يخاطبهم بما شاء وبالأسلوب الذى يريد فيعاتبهم ويهددهم ويخطئهم ويؤدبهم ويحذرهم وهذا لا يبيح لغيرهم أن يخاطبهم بمثله أو أن يستفيد منه ما يبيح له نسبة مفهومة أو مدلولة لهم فيستفيد مثلاً من العتاب جواز صدور المخالفة منهم ويستفيد من قوله عفا الله عنك جواز صدور الخطأ بل هذه جرأة ووقاحة وتطفل من هذا الدعى لأن الأب قد يضرب ابنه أو يعاتبه أو يسبه ويشتمه ولكنه لا يرضى من غيره أن يضربه أو يفعل معه كما فعل محتجاً بأن أباه فعل معه كذلك فهذا ما لا يرضاه الأب والله سبحانه وتعالى يعامل أنبياءه بما يشاء ويخاطبهم بما يشاء ولكنه لا يرضى أن نعاملهم نحن بما عاملهم به ، فليُنتبه لهذه المسألة .

---

(١) [الآية (٢٥) ص] . (٢) [الآية (١٤٣) الاعراف]
(٣) [الآية (١٤٤) الاعراف . (٤) [الآية (٣٦) ص]

خاتمة فى نزاهة النبوة

يروى أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يشاور سيدنا الامام على بعد مالاك المنافقون في حديث الافك الخاص بالسيدة عائشة رضى الله عنها فقال له : ما رأيك يا على ؟ قال : يا رسول الله إنك دخلت بنا مرة فى الصلاة وخرجت منها مسرعاً وقلت إن جبريل أخبرنى بأن بإحدى نعلى نجاسة . فخرجت لتطهرة أفما يخبرك بما فى أهلك ؟ وقد قال الله عز وجل فيك وفى أهلك ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[الآية (٣٣) الاحزاب] فالأحوال التى لا تصلح معنا نحن ننزه عنها سيدنا رسول الله ﷺ هذا يا أخوانى الميزان الذى أريد من اخوانى أن يزنون به دائماً أحوال النبى ﷺ وليس النبى وحده بل والنبيين أجمعين في كل ما جاء عنهم فى كتاب رب العالمين وليس هذا فقط بل وصحابة النبى الأمين لأنهم أيضاً بإشعاعات النبوة محفوظين وكل ما ورد عنهم بخلاف ذلك لا ينزلق به لسان المؤمن ولا يرتاح إليه القلب ولا يصدقه العقل ولا يثبته النقل وإنما هى أمور بثها اليهود قديماً أو حديثاً حتى يشككوا الأمة فى عصمة نبى الامه صلوات ربى وسلامه عليه فأى حديث صحيح وتجد مؤمناً يجرح فيه لأنه قد لا يتقبله ذوقاً أو لم يصل إلى فهمه علمه حتى الآن نقول له لا إنه وحى من الله والنبى يقول فيه : [(١)] فالقرآن وحى والذى مثله وحى وقال فى الرواية الآخرى « **ألا إنى أوتيت القرآن ومثليه معه** » والله عز وجل لما جاء ليبين لنا قال له انتظر ﴿ **ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه** ﴾[الآية (١١٤) طه] يريد أن يبين بيان تفصيلى ومن حوله لن يتحملوا لأن عقولهم لا تدرك فيما يحدث بعد ذلك من أقدار دع هذا الأمر لنا ﴿**ثم إن علينا بيانه**﴾[الآية (١٩) القيامة] نحن الذين سنبين فلابد من التنزيه

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والدرامى وابن ماجه عن المقدام بن معد كرب .

والعصمة لرسول الله ﷺ وطبعاً الحمد لله ليس أحد فينا أجمعين ولا فى السابقين أو اللاحقين سيبلغ به التنزيه والعصمة إلى أنه سيجعله يشارك فى حضرة الربوبية .

دع ما أدعته النصارى فى نبيهم   واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

لا تقل إنه إله وقل كما تشاء عبد حفظه الله ، عبد علمه الله ، عبد ألهمه الله ، عبد نور قلبه الله ، عبد تولاه الله عز وجل وهذا يا أخوانى الذى أوصى نفسى واخوانى به نسأل الله عز وجل أن يقوى يقيننا فى نبينا وأن يملأ قلوبنا بالحب الصادق لحبيبنا وأن يفقهنا فى ديننا وأن يلهمنا رشدنا .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الخامس

التبرك بالنبي ﷺ

- معنى التبرك
- التبرك بشعره وفضل وضوءه وبصاقه وعرقة
- التبرك بمس جلده
- التبرك بدم النبي ﷺ
- أقوال العلماء في هذا الموضوع
- التبرك بتقبيل يد من مسّ رسول الله ﷺ
- التبرك بجبّته ﷺ
- التبرك بما مسّته يده ﷺ
- التبرك بقدح النبي ومسجد صلى فيه
- التبرك بموضع قدم النبي ﷺ
- التبرك بدار مباركة
- التبرك بقبره الشريف
- التبرك بآثار الصالحين والأنبياء السابقين
- التبرك بمسجد العشار
- نحن في بركة رسول الله ﷺ

معنى التبرك

يخطئ كثير من الناس فى فهم حقيقة التبرك بالنبى ﷺ وآثاره وآل بيته وورثاه من العلماء والأولياء رضي الله عنهم فيصفون كل من يسلك ذلك المسلك بالشرك والضلال كما هي عادتهم في كل جديد يضيق عنه نظرهم ويقصر عن إدراكه تفكيرهم .

وقبل أن نبين الأدلة والشواهد الناطقة بجواز ذلك بل بمشروعيته ينبغى أن نعلم أن التبرك ليس هو إلا توسلا إلى الله سبحانه وتعالي بذلك المتبرك به سواء أكان أثرا أو مكانا أو شخصا .

أما الأعيان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزها عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذن الله .

وأما الآثار فلأنها منسوبة إلي تلك الأعيان فهى مشرفة بشرفها ومكرمة ومعظمة ومحبوبة لأجلها .

وأما الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هى أمكنة وإنما لما يحل فيها ويقع من خير وبر كالصلاة والصيام وجميع أنواع العبادات مما يقوم به عباد الله الصالحون . إذ تتنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشاها السكينة وهذه هى البركة التى تُطلب من الله فى الأماكن المقصودة لذلك .

وهذه البركة تُطلب بالتعرض لها فى أماكنها بالتوجة إلى الله تعالى ودعائه واستغفاره وتذكر ما وقع فى تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة تُحرك النفوس وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح وإليك هذه النصوص .

التبرك بشعره وفضل وضوءه وبصاقه وعرقه :

١ ـ عن جعفر بن عبد الله بن الحكم أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك . فقال : اطلبوها فلم يجدوها ـ فقال : اطلبوها فوجدوها فإذا هى قلنسوة خلِقة ـ أى ليست بجديدة فقال خالد اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره ـ فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالا وهى معى إلا رزقت النصر .

قال الحافظ الهيثمي . رواه الطبرانى وأبو يعلى بنحوه . ورجالهما رجال الصحيح ، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة ، فلا أدرى سمع من خالد أم لا . (٩ / ٣٤٩) وذكره ابن حجر فى المطالب العالية (ج ٤ ص ٩٠) وفيه يقول خالد (فما وُجّهت فى جهة إلا فتح لى) .

٢ ـ وعن مالك بن حمزة بن أبى أسيد الساعدى الخزرجي عن أبيه عن جده أبى أسيد وله بئر بالمدينة يقال لها بئر بضاعة قد بصق فيها النبى ﷺ فهو يشربها ويتيمن بها . رواه الطبرانى ورجاله ثقات .

وصف عروة بن مسعود حال الصحابة مع النبى ﷺ :

٣ ـ قال الإمام البخارى بسنده ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبى ﷺ بعينه قال : فو الله ما تنخّم رسول الله ﷺ نُخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت [1] ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب

---

(١) أى ما رأيت .

محـمد ﷺ محمـدا . والله إن يتنخم نخامة إلا وقـعت فى كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمـره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه. وإذا تكلمـوا خفـضـوا أصواتهم عنده ومـا يحـدّون إليه النظـر تعظيمـا له . رواه البخارى فى كتاب الشروط باب الشروط فى الجهاد (فتح حـ ٥ ص ٣٣٠) .

تعليق الحافظ ابن حجر على هذه القصة :

وفيه طهارة النخامة والشعر المنفصل والتبرك بفضلات الصالحين الطاهرة ولعل الصحابة فـعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا فى ذلك إشـارة منهم إلى الرد على ما خـشيـه من فـرارهم ، وكأنهم قـالوا بلسـان الحال : من يحب إمـامـه هذه المحبـة ويعظمـه هذا التـعظيم كـيف يُظن به أنه يفـر عنه ويسلمـه لعـدوه ؟ بل هم أشـد اغتـباطا به وبدينه وبنصـره من القبائـل التي يراعى بعضهـا بعضـا بمجرد الرحم ، فيستفاد منه جواز التوصل إلى المقصود بكل طريق سائغ .

(كذا فى فتح البارى ج ٥ ص ٣٤١) .

النبى ﷺ يرشد إلى المحافظة على بقية وضوئه :

٤ ـ عن طلق بن على قـال : خرجنا وفدا إلي رسـول الله ﷺ فبـايعناه وصلينا معـه وأخبرناه أن بأرضنا بيـعة لنا فاستـوهبناه من فضل طهـوره فدعا بماء فتـوضأ وتمضـمـض ثم صبه لنـا فى إداوة وأمرنا فقـال لنا : **(اخرجـوا فإذا أتيـتم أرضكم فاكسروا بيعتكم وانضحوا مكانها بهذا الماء واتخذوها مسجدا)** قلنا إن البلد بعيد والحـر شديد والماء ينشف فقـال : (**مـدّوهُ من الماء فإنه لا يـزيده إلا طيبـا**) رواه النسـائى كـذا فى المشكاة (رقم ٧١٦) . وهذا الحـديث من الأصـول المعـتـبـرة المشتهرة الدالة على مـشروعيّة التبركُ به وبآثاره وبكل مـا هو منسوب إليه فإنه ﷺ أخذ وضوءه ثم جـعله فى إناء ثم أمرهم أن يأخذوه معـهم إجابة لطلبهم وتحقـيقا

لمرادهم فلابد أن هـناك سرا قويا مـتمكنا فى نفـوسهم دفعـهم إلي طلب هذا الماء بخـصـوصـه والمدينة مملـوءة بالميـاه . بل وبلادهـم مملوءة بالماء فلم هذا الـتـعب والتكلف في حـمل قليل من الماء من بلد إلـى بلد مع بعد المسـافـة وطول السفـر وحرارة الشمس ؟

نعم كل ذلك لم يـهمـهم لأن المعنـى الذى يحـمله هذا الماء يهـون عليـهم كل مشقة ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وهو لا يوجد فى بلدهم ولا يتوافر على حال عندهم ، بل ويتأكد تأييده لهم ﷺ ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا إن الماء ينشف لشـدة الحر إذ قال لهم : (**مدوه من الماء**) فبين لهم أن بركته التى حلت فى الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهى مستمرة متصلة .

التبرك بشعره ﷺ بعد موته :

٥ ـ عن عثمـان بن عبد الله بن موهب قال : أرسلنـى أهلى إلى أم سلمة بقدح من ماء فـجاءت بجلجل من فـضة فيـه شعر من شـعر النبى ﷺ وكـان إذا أصاب الإنسان عين أو شئ بعث إليها مخْضبـة قال فاطلعت في الجلجل فرأيت شعرات حمراء . رواه البخارى في كتاب اللباس باب ما يذكر فى الشيب .

قال الإمام الحافظ ابن حـجر في الفتح : وقد بينه وكيع فى مصنفـه فقال : كان جلجـلا من فـضة صـيغ صـوانا لشـعـرات النبى ﷺ التى كـانت عند أم سلمـة . والجلجل ـ هو شبه الجرس يتخذ من الفـضة أو الصفر أو النحاس ، وقد تنزع منه الحصاة التى تتحرك فيه فيوضع فيه ما يحتاج إلى صيانته . كذا فى فتح البارى (جـ ١٠ ص ٣٥٣) .

قال الإمام العينى : وبيان ذلك على التـحرير : أن أم سلمة كان عندها شعرات من شعر النبى ﷺ حمر فى شئ مثل الجلجل ، وكـان الناس عند مرضهم يتبركون

بها ، ويستشـفون من بركتها ، ويأخذون من شعـره ، ويجعلونه في قدح من الماء ، فيشـربون الماء الذى فيه الشعـر ، فيحصل لهم الشـفاء ، وكان أهل عثـمان أخذوا منهـا شـيئـاً وجعلوه في قـدح من فضـة ، فـشـربوا الماء الذى فيـه ، فحـصل لهم الشفاء ، ثم أرسلوا عثمان بذلك القدح إلى أم سلمة ، فأخذته أم سلمة ، ووضعته فى الجلجل ، فاطلع عثمان فى الجلجل ، فرأى فيه شعرات حمرا ، (قوله : وكان إذا أصاب الإنسان إلي آخره) كلام عثمان بن عبد الله بن موهب : أى كان أهلى كذا فسره الكرمانى .

وقال بعـضهم : وكـان أى الناس إذا أصاب الإنسان : أى منـهم ، والذى قاله الكرمـانى أصـوب يبين به أن الإنسـان إذا أصـابه عين أو شئ من الأمـراض بعث أهله إليهـا : أى إلى أم سلمة مِخْضبة ـ بكسر الميم وسـكون الخاء المعجمة وفتح الضاد المعجـمة والباء الموحدة ـ وهى الإجانـة ، ويجعل فيها مـاء وشئ من الشعر المبارك ، ويجلس فيهـا ، فيحصل له الشفاء ،ثم يرد الشـعر إلى الجلجل . (عمدة القارى شرح صحيح البخارى جـ ١٨ ص ٧٩) .

النبى ﷺ يقسم شعره بين الناس :

روى مسـلم عـن حديث أنس : « **أن رسول اللـه ﷺ أتى منى فأتى الجـمرة فرماها ، ثم أتى منزله بمـنى ونحر ، وقال للحلاق : خذ ، وأشـار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ، ثم جعل يعطيه الناس** » .

وروى الترمذى من حديث أنس أيضاً قال : (**لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة نحر نسكه ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه لها أبى طلحة ، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه ، فقال : اقسم بين الناس**) .

ثم ظاهر رواية الترمذى : أن الشـعر الذى أمر أبا طلحة بقسـمته بين الناس هو

شعر الشق الأيسر ، وهكذا رواية مسلم من طريق ابن عيينة وأما رواية حفص ابن غياث وعبد الأعلى ففيهما : أن الشق الذى قسمه بين الناس هو الأيمن ، وكلتا الروايتين عند مسلم .

توزيع شعره ﷺ شعرة شعرة :

وقد جاء في رواية حفص عند مسلم أيضاً بلفظ : (فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ، ثم قال بالأيسر فصنع مثل ذلك) .

وقال أبو بكر في روايته عن حفص : (قال للحلاق : هاء . وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا ، فقسم شعره بين من يليه . قال : ثم أشار إشارة إلى الحلاق إلي الجانب الأيسر فحلقه فأعطاه أم سليم) .

الناس يتهافتون على شعره ﷺ :

وفى رواية أحمد في المسند ما يقتضى أنه أرسل شعر الشق الأيمن مع أنس إلي أمه - أم سليم - امرأة أبى طلحة - فإنه قال فيها :(**لما حلق رسول الله ﷺ رأسه بمنى أخذ شق رأسه الأيمن بيده ، فلما فرغ ناولنى فقال : يا أنس انطلق بهذا إلى أم سليم ، قال : فلما رأى الناس ما خصنا به تنافسوا فى الشق الآخر ، هذا يأخذ الشئ وهذا يأخذ الشئ**) .

تحقيق الكلام فى الموضوع

وقد اختلفت الروايات فى هذا الموضوع كما ترى ففى بعضها أن الذى أعطاه لأبى طلحة هو الشق الأيمن ، والذى قسمه بين الناس هوالأيسر ، وفى بعضها النقيض ، وفى بعضها أنه أعطي الأيسر لأم سليم .

ويجمع بين هذه الروايات بما جاء عن صاحب المفهم إذ قال : (إن قوله : لما

حلق رسول الله ﷺ شق رأسه الأيمن أعطاه أبا طلحة) ليس مناقضا لما فى الرواية الثانية : أنه قسم شعر الجانب الأيمن بين الناس وشعر الجانب الأيسر أعطاه أم سليم ، وهى امرأة أبى طلحة وهى أم أنس ـ رضى الله عنها ـ قال : وحصل من مجموع هذه الروايات : أن النبى ﷺ لما حلق الشق الأيمن ناوله أبا طلحه ليقسمه بين الناس ، ففعله أبو طلحه ، وناول شعر الشق الأيسر ليكون عند أبى طلحة ، فصحت نسبة كل ذلك إلي من نسب إليه والله أعلم .

وقد جمع المحب الطبرى في موضع إمكان جمعه ، ورجح في مكان تعذره فقال : والصحيح أن الذى وزعه على الناس الشق الأيمن ، وأعطى الأيسر أبا طلحة وأم سليم ، ولا تضاد بين الروايتين لأن أم سليم امرأة أبى طلحة ، فأعطاه ﷺ لهما فنسب العطية تارة إليه وتارة إليها . انتهى .

وفيه التبرك بشعره ﷺ وغير ذلك من آثاره بأبى وأمى ونفسى هو ، وقد روى أحمد فى مسنده إلي ابن سيرين أنه قال : فحدثنيه عبيدة السلمانى ، يريد هذا الحديث فقال : لأن يكون عندى شعرة منه أحب إلى من كل بيضاء وصفراء على وجه الأرض وفى بطنها . وقد ذكر غير واحد أن خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ كان فى قلنسوته شعرات من شعره ﷺ ، فلذلك كان لا يقدم على وجه إلا فُتح له ، ويؤيد ذلك ما ذكره الملأ فى السيرة أن خالدا سأل أبا طلحة حين فرق شعره ﷺ بين الناس أن يعطيه شعر ناصيته فأعطاه إياه فكان مقدم ناصيته مناسبا لفتح كل ما أقدم عليه . انتهى عمدة القارى شرح البخارى (ج ٨ ص ٢٣٠ ـ ٢٣١) .

التبرك بعرقه

٦ ـ عن عثمان عن أنس أن أم سليم كانت تبسط للنبى ﷺ نطعا فيقيل عندها

على ذلك النطع ، قال : فإذا نام النبى ﷺ أخذت من عرقه وشعره فجمعته فى قارورة ثم جمعته فى سُك وهو نائم ، قال فلما حضر أنس بن مالك الوفاة أوصى إلى أن يجعل فى حنوطه من السك قال : فجعل فى حنوطه . رواه البخارى في كتاب الاستئذان باب من زار قوما فقال عندهم .

٧ - وفى رواية عند مسلم دخل علينا النبى ﷺ فقال عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ فقال : يا أم سليم ما هذا الذى تصنعين ؟ قالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب .

٨ - وفى رواية إسحاق بن أبى طلحة (عرق فاستنقع عرقه على قطعة أديم عتيدة فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها فأفاق . فقال : ما تصنعين ؟ قالت : نرجو بركته لصبياننا فقال : أصبت) .

وفى رواية أبي قلابة (فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير فقال : ما هذا ؟ قالت : عرقك أذوف به طيبى) .

ويستفاد من هذه الروايات اطلاع النبى ﷺ على فعل أم سليم وتصويبه ولا معارضة بين قولها إنها كانت تجمعه لأجل طيبه وبين قولها للبركة بل يحمل على أنها كانت تفعل ذلك للأمرين معا (انتهى فتح البارى) (الجزء الحادى عشر ص ٧٢) .

التبرك بمس جلده ﷺ :

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : كان أسيد بن حضير رضى الله عنه رجلا صالحا ضاحكا مليحا . فبينما هو عند رسول الله ﷺ يحدث القوم ويضحكهم فطعن رسول الله ﷺ فى خاصرته . فقال : أوجعتنى قال : اقتص

قال : يا رسـول الله ، إن عليك قميصـا ولم يكن على قميص . قال فـرفع رسول الله ﷺ قميـصه فاحتضنه ثم جـعل يُقبل كشحه فـقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله أردت هذا . قـال الحاكم : هذا حديث صـحيح الإسناد ولم يخـرجاه ووافـقه الذهبى فقال صحيح . وأخرجه ابن عـساكر عن أبى ليلى رضى الله عنه مثله كما فى الكنز (ج ٧ ص ٧٠١) قلت والحديث عند أبى داود .

والطبرانى عن أسيد بن حضير نحوه كما فى الكنز (ج ٤ ص ٤٣) .

وأخرج ابن إسحاق عن حبان بن واسع عـن أشياخ من قومه أن رسول الله ﷺ عدل صفـوف أصحابه يوم بدر وفى يده قدح يـعدل به القوم فمر بسـواد بن غزيه رضى الله عنـه ـ حليف بنى عـدى بن النجـار ، وهو مـسـتنصل من الصف أى خارج ـ فطعنه في بطنه بالقدح وقال : استويا سواد فقال : يارسول الله ، أوجعتني وقد بعـثك الله بالحق والعـدل فأقدنى . فكشـف رسول الله ﷺ عن بدنه فـقال : استقـد قال : فاعتنـقه . فقبل بطنه فـقال : ما حملك على هذا يا سـواد ؟ قال : يا رسول الله حضـر ما ترى فأردت أن يكون آخر العـهد بك أن يمس جلدى جلدك فدعا له رسول الله ﷺ بخير . وقاله كذا فى البداية (ج ٣ ص ٢٧١) .

وأخرج عبـد الرزاق عن الحسن أن النبى ﷺ لقى رجلا مختـصا بصرة وفى يد النبى ﷺ جريدة فقال النبي ﷺ : خط ورس ، فطعن بالجريدة بطن الرجل وقال : ألم أنهك عن هذا ؟ فأثر في بـطنه دما أدماه . فقـال : القود يا رسول الله ؟ فـقال الناس أمن رسـول الله ﷺ تقتص ؟ فـقال : مـالبـشرة أحـد فضل على بشـرتى . فكشف النبى ﷺ عن بـطنه ثم قال : اقـتص فـقـبّل الرجل بطن النبى ﷺ وقـال : ادعها لك أن تشفع لى يوم القيامة [1] . كذا في الكنز (ج ٧ ص ٣٠٢) .

---

(١) وقوله أدعها لك أى اترك المقاصة .

وأخرج ابن سعد (ج ٣ ص ٧٢) عن الحسن أن رسول الله ﷺ رأى سواد بن عمرو هكذا . قال إسماعيل : متلحفا ، فقال : خط خط ورس ورس . ثم طعن بعود أو سواك فى بطنه فماد فى بطنه فأثر في بطنه فذكر نحوه .

وأخرج عبد الرزاق أيضاً كما فى الكنز (ج ٧ ص ٣٠٢) عن الحسن قال : كان رجل من الأنصار يقال له سوادة بن عمر رضى الله عنه يتخلق كأنه عرجون . وكان النبى ﷺ إذا رآه نقض له فجاء يوما وهو متخلق فأهوى له النبى ﷺ بعود كان فى يده فجرحه فقال له : القصاص يا رسول الله .

فأعطاه العود . وكان على النبى ﷺ قميصان فجعل يرفعهما فنهره الناس وكف عنه حتى إذا انتهى إلي المكان الذى جرحه رمى بالقضيب وأخذ يقبله وقال : يا نبى الله ! بل أدعها لك تشفع لى بها يوم القيامة . وأخرج البغوى نحوه كما فى الإصابة (ج ٢ ص ٩٦) .

« **خبر زاهر** » :

وكان ﷺ يقول : زاهر باديتنا ونحن حاضرته وكان ﷺ يحبه فمشى ﷺ يوماً إلي السوق فوجده قائما فجاء من قبل ظهره وضمه بيده إلى صدره فأحس زاهر بأنه رسول الله . قال فجعلت أمسح ظهرى فى صدره رجاء بركته . وفى رواية الترمذى فى الشمائل فاحتضنه من خلفه ولا يبصره فقال : أرسلنى من هذا فالتفت فعرف النبى ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبى ﷺ حين عرفه فجعل رسول الله ﷺ يقول : من يشترى العبد فقال له زاهر : يارسول الله إذا تجدنى كاسدا فقال ﷺ أنت عند الله غال وفى رواية للترمذى أيضاً لكن عند الله لست بكاسد أو قال أنت عند الله غال . اهـ . (المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٩٧) .

التبرك بدم النبى ﷺ

خبر عبد الله بن الزبير :

عن عامر بن عبد الله بن الزبيـر ـ رضى الله عنهما ـ أن أباه حدثه أنه أتى النبى ﷺ وهو يحتـجم ، فلما فرغ قال : « يا عـبد الله اذهب بهذا الدم فأهرقـه حيث لا يراك أحد ، فلما برز عن رسول الله ﷺ عدل إلى الدم فشربه ، فلما رجع قال : يا عبـد الله مـا صنعت بالدم ؟ قال : جـعلته فى أخـفى مكان علمت أنه يخـفى عن الناس . قال : لعلك شـربته ؟ قال : نعم فقـال ﷺ ولـم شربت الدم ؟ ويل للناس منك وويل لك من الناس » .

قال أبو موسى : قال أبـو عاصـم : فكانوا يرون أن القوة التى به من ذلك الدم . كـذا فى الإصـابة (ج ٢ ص ٣١٠) . وأخـرجـه الحـاكم ٠ ج ٣ ص ٥٥٤) والطبـرانى نحـوه . قـال الهـيـثـمـى (ج ٨ ص ٢٧٠) : رواه الطبـرانى والبـزار باختـصار ورجال البزار رجـال الصحيح غيـر هنيد بن القاسم وهو ثقـة . انتهى . وأخرجه أيضاً ابن عساكـر نحوه كما في الكنز (ج ٧ ص ٥٧) مع ذكر قول أبى عاصم وفى رواية : قـال أبو مسلمة : فـيرون أن القوة التى كـانت فى ابن الزبير ـ رضى الله عنهما ـ من قوة دم رسول الله ﷺ .

وعند أبى نعيم فى الحلية (ج ١ ص ٣٣) عن كيسـان مولى عبد الله بن الزبير ـ رض الله عنهما ـ قال : **« دخل سلمان على رسول الله ﷺ وإذا عبد الله بن الزبير معه طست يشرب ما فيها . فدخل عبد الله على رسول الله ﷺ فقال له : فرغت ؟ قال : نعم . قال سلمان : ما ذاك يا رسول الله ؟ قال : أعطيتـه غسالة مـحاجمى يهريق مـا فيهـا ، قال سلمان : ذاك شـربه والذى بعثك**

بالحق ! قال : شربته ؟ قال : نعم قال : لم ؟ قال : أحببت أن يكون دم رسول الله ﷺ في جوفي ، فقام وربت بيده على رأس ابن الزبير ، وقال : ويل لك من الناس وويل للناس منك لا تمسك النار إلا قسم اليمين » .

وأخرجه ابن عساكر عن سلمان نحوه مختصرا ورجاله ثقات . كذا في الكنز (ج ٧ ص ٥٦) وروى نحوه الدار قطني في سننه .

وفي رواية أن ابن الزبير لما شرب دم رسول الله ﷺ قال له ﷺ فما حملك على ذلك ؟ قال علمت أن دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك . فقال : ويل لك من الناس . وعند الدار قطني من حديث أسماء بنت أبي بكر نحوه وفيه ولا تمسك النار . وفي كتاب الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون أنه لما شرب أي عبد الله ابن الزبير دمه مصنوع فيه مسكا وبقيت رائحته موجودة في فمه إلى أن صلب رضي الله عنه . (كذا في المواهب للحافظ القسطلاني) .

خبر سفينة مولى النبي ﷺ :

وأخرج الطبراني عن سفينة ـ رضي الله عنه ـ قال : « احتجم النبي ﷺ ثم قال . خذ هذا الدم فادفنه من الدواب والطير والناس ، فتغيبت فشربته ثم ذكرت ذلك له فضحك » .

قال الهيثمي (ج ٨ ص ٢٨٠) رجال الطبراني ثقات .

خبر مالك بن سنان :

وفي سنن سعيد بن منصور من طريق عمرو بن السائب أنه بلغه أن مالك ابن سنان والد سعيد الخدري لما جرح النبي ﷺ في وجهه الشريف يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح ـ أي ظهر ـ محل الجرح بعد المص أبيض ، فقال له ﷺ :

مجه ، فـقال : لا أمجه أبداً ، ثم ازدرده ـ أى ابتلعـه ـ فقال النبى ﷺ « من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا فاستشهد بأحد » .

رواه الطبرانى أيـضاً ، وفيـه : « قال ﷺ **من خالط دمي دمـه لا تمسه النار »** .
قال الهيثمى : لم أر فى إسناده من أجمع على ضعفه أ . هـ .

وروى سعيد بن منصور أيضاً أنه ﷺ قال « **من سره أن ينظر إلي رجل خالط دمى دمه فلينظر إلى مالك بن سنان »** .

« حجام آخر يشرب دمه ﷺ » :

روى ابن حبان فى الضعفاء عن ابن عـباس قال : حجم النبى ﷺ غلام لبعض قـريش فلمـا فرغ من حـجـامتـه أخـذ الدم فـذهـب به من وراء الحـائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحسا دمه حـتى فرغ ثم أقبل فنظر فى وجهه فقال ويحك ما صنعت بالدم . قلت غـيـبتـه من وراء الحائط قـال أين غيـبـته قلت يا رسـول الله نفـست على دمك أن أهريقـه فى الأرض فـهـو فى بطنى . فـقـال : اذهب فـقـد أحرزت نفسك من النار . (ذكره الحافظ القسطلانى في المواهب اللدنية) .

:

قال الحافظ ابن حجر روى عبد الرازق عن ابن جريج قال : (أخبرت أن النبى ﷺ كان يبول فى قدح من عيدان ثم يوضع تحت سـريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شئ فقـال لأمـرأة يقال لهـا بركة كانـت تخدم أم حبـيبة جـاءت معـها من أرض الحبـشة : أين البول الذى فى القـدح ؟ قالت : شـربته . قال : صـحة يا أم يوسف وكانت تكنى أم يوسف فما مرضت قط حتى مـرضها الذى ماتت فيه . (كذا فى التلخيص الحبير فى تخريج أحاديث الرافعى الكبير ج ١ ص ٣٢) .

قلت وقد رواه أبو داود والنسائى مختصرا قال الحافظ السيوطى وقد أتمه ابن عبد البر في الاستيعاب وفيه أنه سألها عن البول الذى كان فى القدح فقالت شربته يا رسول الله ، وذكر الحديث (كذا فى شرح السيوطى على سنن النسائى ج ١ ص ٣٢) .

« **خبر أم أيمن** » :

قال الإمام الحافظ القسطلانى في المواهب : أخرج الحسن بن سفيان فى مسنده والحاكم والدار قطنى والطبرانى وأبو نعيم من حديث أبى مالك النخعى عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزى عن أم أيمن قالت : قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة فى جانب البيت فبال فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر . فلما أصبح النبى ﷺ قال : يا أم أيمن ، قومى فأهريقى ما فى تلك الفخارة فقلت قد والله شربت ما فيها . قالت : فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال : أما والله لا يَجعَنَّ بطنك .

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص : وصحح ابن دحية أنهما قضيتان وقعتا لامرأتين وهو واضح من اختلاف السياق ووضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن مولاته .

(فائدة) وقع في رواية سلمى امرأة أبى رافع أنها شربت بعض ماء غسل رسول الله ﷺ فقال لها : « حرم الله بدنك على النار » أخرجه الطبرانى في الأوسط من حديثها وفى السند ضعف ـ كذا فى التلخيص (ج ١ ص ٣٢) .

قال القسطلانى : وهذا الذى ذهب إليه شيخ الإسلام البلقينى . وفى هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه ﷺ .

خبر سرة خادم أم سلمة رضى الله عنها :

وأخرج الطبرانى عن حكيمة بنت أميمة عن أمها قالت : « كان للنبى ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره . فقام فطلبه فلم يجده فسأل فقال : أين القدح ؟ قالوا : شربته سرة خادم لأم سلمة التى قدمت معها من أرض الحبشة . فقال النبي ﷺ : **«لقد احتظرت من النار بحظار »**.

قال الهيثمى (ج ٨ ص ٢٧١) : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ابن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقات .

أقوال العلماء فى هذا الموضوع

قال الإمام محيى الدين النووى في شرح المهذب واستدل من قال بطهارتهما بالحديثين المعروفين أن أبا طيبة الحجام حجمه ﷺ وشرب دمه ولم ينكر عليه وأن امرأة شربت بوله ﷺ فلم ينكر عليها . وحديث أبى طيبة ضعيف ، وحديث شرب البول صحيح رواه الدارقطنى وقال هو حديث حسن صحيح وذلك كاف فى الاحتجاج لكل الفضلات قياسا ثم قال إن القاضى حسينا قال الأصح القطع بطهارة الجميع . ثم قال فى الجواب عن أنه كان يتنزه منها بأن ذلك على الاستحباب (اهـ من شرح المهذب ج ١ ص ٢٣٣) وقال الإمام العلامة بدر الدين العينى شارح البخارى في كتابه المعروف عمدة القارى ج ٢ ص ٣٥ : فأما شعر رسول الله ﷺ فهو مكرم معظم خارج عن هذا ، قلت ، قول الماوردى : وأما شعر النبى ﷺ فالمذهب الصحيح القطع بطهارته يدل على أن لهم قولا بغير ذلك ، فنعوذ بالله من ذلك القول وقد اخترق بعض الشافعية وكاد أن يخرج عن دائرة الإسلام حيث قال : وفى شعر النبى ﷺ وجهان . وحاشا شعر النبى ﷺ من ذلك وكيف قال هذا وقد قيل بطهارة فضلاته فضلا عن شعره الكريم . ثم قال العينى : وقد وردت أحاديث كثيرة أن جماعة شربوا دم النبى ﷺ منهم أبو طيبة الحجام وغلام من قريش حجم النبى ﷺ وعبد الله ابن الزبير شرب دم النبى ﷺ رواه البزار والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نعيم في الحلية ويروى عن على رضى الله تعالى عنه أنه شرب دم النبى ﷺ وروى أيضاً أن أم أيمن شربت بول النبى ﷺ رواه الحاكم والدارقطنى والطبرانى وأبو نعيم وأخرج الطبرانى فى الأوسط فى رواية سلمى امرأة أبى رافع أنها شربت بعض ما غسل به رسول الله ﷺ فقال لها : «**حرم الله بدنك على النار**» .

قال الحافظ القسطلانى فى المواهب تعليقا على قول النووى عن القاضى

حسين أن الأصح القطع بطهارة جميع الفضلات . وبهذا قال أبو حنيفة كما قاله العينى وقال شيخ الإسلام ابن حجر : قد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته ﷺ . وعد الأئمة ذلك فى خصائصه . انتهى .

التبرك بالمكان الذى صلى فيه النبى ﷺ :

عن نافع أن عبد الله بن عمر حدثه أن النبى ﷺ صلّى حيث المسجد الصغير الذى دون المسجد الذى بشرف الروحاء . وقد كان عبد الله يعلم المكان الذى صلى فيه النبى ﷺ يقول : ثم عن يمينك حين تقوم فى المسجد تصلى ، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى وأنت ذاهب إلي مكة بينه وبين المسجد الأكبر رمية بحجر أو نحو ذلك ـ رواه البخارى .

التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ :

روى الإمام أحمد وغيره عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ دخل على أم سليم وفي البيت قربة معلقة فشرب من فيها ـ أى من فم القربة ـ وهو نائم ، قال أنس : فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا .

والمعنى : أن أم سليم قطعت فم القربة الذى هو موضع شربه ﷺ واحتفظت به فى بيتها للتبرك بأثر النبى ﷺ . ورواه الطبرانى وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحمد وبقية رجاله رجال الصحيح .

التبرك بتقبيل يد من مس رسول الله ﷺ

عن يحيى بن الحارث الذمارى قال : لقيت وائلة بن الأسقع رضى الله عنه فقلت : بايعت بيدك هذه رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم . قلت : أعطنى يدك أقبلها . فأعطانيها فقبلتها . قال الهيثمى (ج ٨ ص ٤٢) وفيه عبد الملك الفارى ولم أعرفه . وبقية رجاله ثقات . انتهى .

وعند أبي نعيم في الحلية (ج ٩ ص ٣٠٦) عن يونس بن ميسرة قال : دخلنا على يزيد بن الأسود عائدين فدخل عليه واثلة بن الأسقع رضي الله عنه فلما نظر إليه مد يده فأخذ يده فمسح بها وجهه وصدره لأنه بايع رسول الله ﷺ ، فقال له : يازيد ، كيف ظنك بربك ؟ فقال : حسن فقال : فأبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تعالى يقول : **« أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر »** .

وأخرج البخاري في الأدب المفرد ص ١٤٤ عن عبد الرحمن بن رزين قال : مررنا بالرّبذة فقيل لنا : ههنا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ، فأتينا فسلمنا عليه فأخرج يديه فقال : بايعت بهاتين نبي الله ﷺ ، فأخرج له كفا له ضخمة كأنها كف بعير . فقمنا إليها فقبلناها . وأخرج ابن سعد (ج ٤ ص ٣٩) عن عبد الرحمن ابن زيد العراقي نحوه .

وأخرج البخاري أيضاً في الأدب ص ١٤٤ عن ابن جدعان قال ثابت لأنس رضي الله عنه : أمسست النبي ﷺ بيدك ؟ قال : نعم فقبلها . وأخرج البخاري أيضاً في الأدب ص ١٤٤ عن صهيب قال : رأيت عليا رضي الله عنه يقبل يد العباس رضي الله عنه ورجليه .

عن ثابت قال : كنت إذا أتيت أنسا يخبر بمكاني فأدخل عليه وآخذ يديه وأقبلهما وأقول : بأبي هاتين اليدين اللتين مستا رسول الله ﷺ وأقبل عينيه وأقول : بأبي هاتين (العينين) اللتين رأتا رسول الله ﷺ . ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (ج ص ١١١) وقال الهيثمي رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة وسكت عنه البوصيري . ا هـ (كذا في مجمع الزوائد ٩ / ٣٢٥) .

التبرك بجبته ﷺ :

عن أسماء بنت أبى بكر : أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج ، وقالت : هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها ، وكان النبى ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى نستشفى (كتاب اللباس والزينة ج ٣ ص ١٤٠) .

التبرك بما مسته يده ﷺ :

عن صفية بنت مجزأة أن أبا محذورة كانت له قصة فى مقدم رأسه إذا قعد أرسلها فتبلغ الأرض فقالوا له : ألا تحلقها ؟ فقال : إن رسول الله ﷺ مسح عليها بيده فلم أكن لأحلقها حتى أموت .

رواه الطبرانى وفيه أيوب بن ثابت المكى قال أبو حاتم : لا يحمل حديثه كذا فى مجمع الزوائد (ج ٥ ص ١٦٥) .

وعن محمد بن عبد الملك بن أبى محذورة عن أبيه عن جده قال قلت : يا رسول الله علمنى سنة الأذان قال فمسح مقدم رأسى قال : « **تقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ترفع بها صوتك** » . الحديث .

وفى رواية : فكان أبو محذورة لا يجز ناصيته ولا يفرقها لأن النبى ﷺ مسح عليها ، أخرجه البيهقى والدارقطنى وأحمد وابن حبان والنسائى بمعناه .

التبرك بقدح النبى ﷺ ومسجد صلى فيه

عن أبى بردة قال قدمت المدينة فلقينى عبد الله بن سلام فقال لي انطلق إلى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رسول الله ﷺ وتصلى في مسجد صلى فيه النبى ﷺ فانطلقت معه فسقانى وأطعمنى تمرا وصليت فى مسجده . رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

التبرك بموضع قدم النبى ﷺ :

جاء فى الحديث عن أبى مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال ما ألوت أن أضع قدمى حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ . (رواه النسائى ٣ / ٢٤٣) .

التبرك بدار مباركة

عن محمد بن سوقة عن أبيه قال لما بنى عمرو بن حريث داره أتيته لأستأجر منه فقال ما تصنع به فقلت أريد أن أجلس فيه وأشترى وأبيع قال قلت لأحدثك فى هذه الدار بحديث إن هذه الدار مباركة علي من سكن فيها مباركة على من باع فيها واشترى وذلك أنى أتيت النبى ﷺ وعنده مال موضوع فتناول بكفه منه دراهم فدفعها إلى وقال هاك يا عمرو هذه الدراهم حتى تنظر فى أى شئ تضعها فإنها دراهم أعطانيها رسول الله ﷺ فأخذتها ثم مكثنا ما شاء الله حتي قدمنا الكوفة فأردت شراء دار فقالت لى أمى يا بنى ! إذا أشتريت دارا وهيأت ما لها فأخبرنى ففعلت ثم جئتها فدعوتها فجاءت والمال موضوع فأخرجت شيئاً معها فطرحته فى الدراهم ثم خلطتها بيدها فقلت يا أمه أى شئ هذه ؟ قالت يا بنى هذه الدراهم التى جئتنى بها فزعمت أن رسول الله ﷺ اعطاكها بيده فأنا أعلم أن

نصوص التبرك بالنبى .

(١٨) فهذه النصوص تدل صراحة على انتقال بركة النبى ﷺ من ذاته إلى غيرها من الأعيان . وتدل على اجتهاد الناس فى تحصيل ذلك وحرصهم علي طلبه في محله الذى انتقلت إليه من يد لامست يده وقدح شرب فيه وقربه لامست فمه ودراهم مستها يده وجبة لبسها وموضع وقف فيه للصلاة ووطأته قدماه وهذا كله مفصل في مواضعه والشاهد فيه انتقال بركة ذاته الشريفة إلي غيرها من الأعيان بلا تفريق بين الذوات وهذا يدخل فيه الأمكنة والأزمنة بلا إشكال وأقرب دليل على ذلك حديث عتبان بن مالك الذى طلب من النبى ﷺ أن يصلى له فى مكانه ليتخذه مصلي فالمحبون لبركة النبى ﷺ لا يرون لذلك معنى إلا طلب البركة من الله فى المكان الذى صلى فيه المصطفى ﷺ وهو معنى التبرك بمكانه ﷺ .

وغيرهم ممن لا يحب بركة النبى ﷺ لهم فى ذلك تأويلات فاسدة كقلوبهم العليلة والعياذ بالله تعالى من ذلك =

هذه الدار مباركة لمن جلس فيها مباركة لمن باع فيها واشترى . رواه الطبرانى في الكبير وأبو يعلى (جـ ٤ / ص ١١١ مجمع الزوائد) .

التبرك بمنبر رسول الله ﷺ :

قال القاضى عياض ، رؤى ابن عمر رضى الله عنهما واضعا يده على مقعد النبى ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه .

وعن أبى قسيط والعتبى كان أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا خلا المسجد حسوا رمانة المنبر التى تلى القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون (ا هـ) من الشفا للقاضى عياض .

قال الملا على قارى شارح الشفا رواه ابن سعد عن عبد الرحمن بن عبد القارى (جـ ٣ ص ٥١٨) .

وروي ذلك الشيخ ابن تيمية أيضاً عن الإمام أحمد وأنه رخّص فى التمسح بالمنبر والرمانة وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك (ا هـ . اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٧) .

التبرك بقبره الشريف

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنه عبد الله : انطلق إلى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل : يقرأ عليك عمر السلام

= واستمع إلى العلامة المحدث الفقيه شيخ علماء زمانه الإمام النووى فى شرح هذا الحديث وهو يقول في صحيح مسلم . وفى حديث عتبان هذا فوائد كثيرة منها التبرك بالصالحين وآثارهم والصلاة فى المواضع التى صلوا بها وطلب التبريك منهم ج ٥ ص ١٦١ قال الإمام الحافظ ابن حجر في فتح البارى شرح صحيح البخارى : وإنما أستأذن النبى ﷺ لأنه دعى للصلاة ليتبرك صاحب البيت بمكان صلاته فسأله ليصلى فى البقعة التى يحب تخصيصها بذلك ج ١ ص ٥١٨ .

وانظر كذلك عمدة القارى للعينى وعون البارى للشيخ صديق ـ حسن خان .

ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم بأمير المؤمنين ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال : فاستأذن وسلم ثم دخل عليها وهى تبكى فقال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال : ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال : الحمد لله ما كان شئ أهم إلي من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل : يستأذن عمر فإن أذنت لى فأدخلونى وأن ردتنى فردونى إلى مقابر المسلمين .

أخرجه بطوله البخارى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى قبر النبى ﷺ وفى كتاب فضائل الصحابة قصة البيعة .

التبرك بأثار الصالحين والأنبياء السابقين

عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبرنا أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحِجْر أرض ثمود فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا للإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة .

رواه مسلم فى كتاب الزهد باب النهى عن الدخول على أهل الحجر قاله النووى فى الشرح (ج ٨ ص ١١٨) .

وفى هذا الحديث من الفوائد التبرك بآثار الصالحين :

التبرك بالتابوت :

ذكر الله تعالى في القرآن فضيلة التابوت فقال : ﴿ **وقال لهم نبيهم إن آية ملكه**

أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ﴾ [الآية (٢٤٨) البقرة] .

وخلاصة القصة : أن هذا التابوت كان عند بني إسرائيل وكانوا يستنصرون به ويتوسلون إلى الله تعالى بما فيه من آثار وهذا هو التبرك بعينه الذى نريده ونقصده وقد بين الله جل جلاله محتويات التابوت فقال :

وهذه البقية مما تركه آل موسى وهارون هى عصا موسى وشئ من ثيابه وثياب هارون ونعلاه وألواح من التوارة وطست كما ذكره المفسرون والمؤرخون كابن كثير والقرطبى والسيوطى والطبرى فارجع إليهم وهو يدل على معان كثيرة منها التوسل بآثار الصالحين ومنها المحافظة عليها ومنها التبرك بها .

التبرك بمسجد العشار

عن صالح بن درهم يقول : انطلقنا حاجين فإذا رجل فقال لنا : إلي جنبكم قرية يقال لها الابلة ـ قلنا : نعم ، قال : من يضمن لى منكم أن يصلى لى فى مسجد العشار ركعتين أو أربعا . ويقول : هذه لأبى هريرة . سمعت خليلى أبا القاسم ﷺ يقول : « إن الله عز وجل يبعث من مسجد العشار يوم القيامة شهداء ، لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم » . رواه أبو داود .

وقال : هذا المسجد مما يلى النهر (ا هـ مشكاة المصابيح جـ ٣ ص ١٤٩٦) . قال العلامة المحدث الكبير الشيخ خليل أحمد السهار نفورى فى كتابه « بذل المجهود شرح سنن أبي داود » وفى الحديث دلالة على أن الطاعات البدنية توصل إلى الغير أجرها ، وأن مآثر الأولياء والمقربين تزار ويتبرك بها .

(بذل المجهود جـ ١٧ ص ٢٢٥) . وقال العلامة المحدث الشيخ أبو الطيب

صاحب عون المعبود : مسجد العشار مسجد مشهور يتبرك بالصلاة فيه (عون المعبود جـ ١١ ص ٤٢٢) .

نحن في بركة الرسول ﷺ :

نسمع كثيرا من الناس يقولون نحن فى بركة الرسول ﷺ أو معنا بركته ﷺ وسئل عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : وأما قول القائل : ونحن فى بركة فلان أو من وقت حلوله عندنا حلت البركة . فهذا الكلام صحيح باعتبار ، باطل باعتبار ، فأما الصحيح : فإن يراد به الكلام به أنه هدانا وعلمنا وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ، فببركة اتباعه وطاعته حصل لنا من الخير ما حصل ، فهذا كلام صحيح . كما كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبى ﷺ في بركته لما آمنوا به وأطاعوه ، فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة ، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الآخرة والدنيا ما لا يعلمه إلا الله .

وأيضاً : إذا أريد بذلك إنه ببركة دعائه وصلاحه دفع الله الشر وحصل لنا رزق ونصر فهذا حق ، كما قال النبى ﷺ : « **وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم بدعائهم ، وصلاتهم وإخلاصهم** » .

وقد يدفع العذاب عن الكفار والفجار لئلا يصيب من بينهم من المؤمنين ممن لا يستحق العذاب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما** ﴾ [الآية (٢٥) الفتح] .

فلولا الضعفاء المؤمنون الذين كانوا بمكة بين ظهرانى الكفار لعذب الله الكفار . وكذلك قال النبى ﷺ : « **لولاما في البيوت من النساء والذرارى لأمرت**

بالصلاة فتقام ، ثم انطلق معى برجال معهم حزم من حطب إلي قوم لا يشهدون معنا فأحرق عليهم بيوتهم » .

وكذلك ترك رجم الحامل حتى تضع جنينها . وقد قال المسيح عليه السلام : **﴿واجعلني مباركا أينما كنت﴾** فبركات أولياء الله الصالحين باعتبار نفعهم للخلق بدعائهم إلى طاعة الله ، وبدعائهم للخلق وبما ينزل الله من الرحمة ويدفع من العذاب بسببهم حق موجود ، فمن أراد بالبركة هذا ، وكان صادقا فقوله حق .

وأما « المعنى الباطل » فمثل أن يريد الإشراك بالخلق : مثل أن يكون رجل مقبور بمكان فيظن أن الله يتولاهم لأجله ، وإن لم يقوموا بطاعة الله ورسوله ، فهذا جهل ، فقد كان رسول الله ﷺ سيد ولد آدم مدفونا بالمدينة عام الحرة ، وقد أصاب أهل المدينة من القتل والنهب والخوف مالا يعلمه إلا الله ، وكان ذلك لأنهم بعد الخلفاء الراشدين أحدثوا أعمالا أوجبت ذلك ، وكان على عهد الخلفاء يدفع الله عنهم بإيمانهم وتقواهم ، لأن الخلفاء الراشدين كانوا يدفعونهم إلي ذلك وكان ببركة طاعتهم للخلفاء الراشدين ، وببركة عمل الخلفاء معهم ينصرهم الله ويؤيدهم وكذلك الخليل ﷺ مدفون بالشام وقد استولى النصارى على تلك البلاد قريبا من مائة سنة ، وكان أهلها فى شر ، فمن ظن أن الميت يدفع عن الحى مع كون الحى عاملا بمعصية الله فهو غالط .

وكذلك إذا ظن أن بركة الشخص تعود على من أشرك به وخرج عن طاعة الله ورسوله ، مثل أن يظن أن بركة السجود لغيره ، وتقبيل الأرض عنده ، ونحو ذلك يحصل له السعادة وإن لم يعمل بطاعة الله ورسوله ، وكذلك إذا اعتقد أن ذلك الشخص يشفع له ، ويدخله الجنة بمجرد محبته ، وانتسابه إليه ، فهذه الأمور ونحوها مما فيه مخالفة الكتاب والسنة ، فهو من أحوال المشركين وأهل البدع باطل لا يجوز اعتقاده ولا اعتماده . (كذا فى الفتاوى (ج ١١ ص ١١٣) .

الخلاصة

والحاصل من هذه الآثار والأحاديث هو أن التبرك به ﷺ وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه سنة مرفوعة وطريقة محمودة مشروعة ويكفى فى إثبات ذلك فعل خيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وتأييد النبى ﷺ لذلك بل وأمره مرة وإشارته أخرى إلى فعل ذلك وبالنصوص التى نقلناها يظهر كذب من زعم أن ذلك ما كان يعتنى به ويهتم بفعله أحد من الصحابة إلا ابن عمر وأن ابن عمر ما كان يوافقه على ذلك أحد من أصحاب الرسول ﷺ .

وهذا جهل أو كذب أو تلبيس ، فقد كان كثير غيره يفعل ذلك ويهتم به ومنهم الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وأم سلمه وخالد بن الوليد ووائلة ابن الأسقع وسلمة بن الأكوع وأنس بن مالك وأم سليم وأسيد بن حضير وسواد بن غزية وسواد بن عمرو وعبد الله بن سلام وأبوموسى وعبد الله بن الزبير وسفينة مولى النبى ﷺ وسرة خادم أم سلمة ومالك بن سنان وأسماء بنت أبى بكر وأبو محذورة ومالك بن أنس وأشياخه من أهل المدينة كسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد .

الفصل السادس

حياته البرزخية ﷺ

- معنى الحياة البرزخية
- خصائص الأنبياء البرزخية
- صلاة الأنبياء في قبورهم وعبادات أخرى
- خصوصية حياة نبينا محمد ﷺ
- النبي ﷺ يجيب من ناداه
- أرسال السلام بالبريد إلى النبي ﷺ
- حديث لا تشد الرحال
- الامام مالك والزيارة
- كلام ائمة السلف في مشروعية زيارة رسول الله وشد الرحال إلي قبره

الحياة البرزخية حياة حقيقية

الحياة البرزخية حياة حقيقية وهذا مادلت عليه الآيات البينات والأحاديث المشهورة الصحيحة .

وهذه الحياة الحقيقية لا تُعارض وصفهم بالموت كما جاء ذلك فى كتاب الله العزيز إذ يقول : ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد** ﴾ [1] ويقول : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ [2] إن معنى قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقة أى ليست خيالية أو مثالية كما يتصورها بعض الملاحدة ممن لا تتسع عقولهم للإيمان إلا بالمُشاهد المحسوس دون الغيب الذى لا يطيق العقل البشرى تصوره ولا تسليم كيفيتة لقدرة الله جل جلاله إن وقفة تأمل قصيرة عند قولنا عن الحياة البرزخية بأنها حقيقة لا تبقى من الأشكال أدنى ذرة حتى عند من يقصر فهمه وذوقه عن تعقل المعانى فكلمة (حقيقية) ليست إلا لنفى الباطل وطرد الوهم ونفى الخيال الذى قد يقع فى ذهن الإنسان المتشكك المرتاب فى أحوال عالم البرزخ وعالم الآخرة وغيرها من العوالم الأخرى كالنشر والبعث والحشر والحساب .

وهذا المعني يدركة الإنسان العربي البسيط الذى يعرف أن كلمة (حقيقية) تعني حقيقة وهى ما يقابل الوهم والخيال والمثال . فحقيقية أى ليست بوهمية وهذا هو المقصود بعينه وهذا هو مفهومنا وتصورنا لهذه القضية ولقد تضافرت الأحاديث والآثار التى تثبت أن الميت يسمع ويحس ويعرف سواء كان مؤمنا أم كافرا .

---

(١) [الآية (٣٤) الأنبياء] . (٢) [الآية (٣٠) الزمر] .

فمنـها حديث القـليب وهو ثابت فى الصحـيحين من وجـوه متعـددة عن أبى طلحة وعمر وابنه عبد الله :

أن النبى ﷺ أمر بأربعـة وعشرين رجلا من صناديد قريش فـألقوا فى طوى من أطواء بدر فناداهم رسول الله ﷺ وسماهم **يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتـبة بن ربيعـة يا شيبة بن ربـيعة يا فلان بن فـلان أليس قد وجدتم مـا وعدكم ربكم حقا فـإنى قد وجدت ما وعـدنى ربى حقا** » .... فقال عمـر يا رسول الله ما تُكلم من أجساد لا أرواح فيها ، فـقال عليه الصلاة والسلام « **والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يجيبون** » . .

وهكذا رواه الشيخان من حديث ابن عـمـر والبخارى من حديث أنس عن أبى طلحة ومسلم من حـديث أنس عن عمر ، ورواه الطبرانى من حديث ابن مـسعود بإسناد صحيح ومن حـديث عبد الله بن سيدان نحوه وفيـه : قالوا : يا رسول الله وهل يسمعون ؟ قال « **يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون** » . .

ومنها ما رواه البـزار وصححه ابن حبـان من طريق إسماعيل بن عـبد الرحمن السدى عن أبيه عن أبي هريرة : عن النبى ﷺ وآله وسلم **أن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين** » . .

واخرج ابن حبان أيضاً من طريق محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ نحوه في حديث طويل .

وقال البـخارى في صحيـحه باب الميت يسمع خـفق النعال ثم روى عن أنس عن النبى ﷺ قال « **العـبد إذا وُضع فى قـبـره وتولّى وذهب أصـحابه حـتى أنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه** » .

وذكر الحـديث فى سؤال القـبـر ورواه مـسلم أيضاً وسـماع الميت خفـق النعال

وارد فى عدة أحاديث . ومنها الأحاديث الواردة فى سؤال القبور وهى كثيرة منتشرة وفيها التصريح بسؤال الملكين له وجوابه بما يطابق حاله من سعادة أو شقاء ، ومنها ما شرعه النبى ﷺ لأمته من السلام على أهل القبور ومخاطبتهم بلفظ السلام عليكم دار قوم مؤمنين .

قال ابن القيم : وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به ثم ذكر جملة منها في كتاب الروح . فليراجع .

قلت : وقد روى عبد الرزاق فى هذا الباب حديثا عن زيد بن أسلم قال : مر أبو هريرة وصاحب له على قبر فقال أبو هريرة سلم فقال الرجل : أسلم على القبر فقال أبو هريرة إن كان رآك فى الدنيا يوما قط إنه ليعرفك الآن .

رواه عبد الرزاق فى المصنف (ج ٣ ص ٥٧٧) .

وهذا الذى قلناه هو عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين وهم أهل السنة والجماعة فلا أدرى كيف يغفل هؤلاء الذين يدعون أنهم على مذهب السلف عن هذه الحقيقة .

وقد أفاض الشيخ ابن القيم في كتاب الروح بما يشفى ويكفى وننقل هنا فتوى عظيمة لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في هذا الموضوع كما جاء فى الفتاوى الكبرى .

سُئل الشيخ عن الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلمون بزيارتهم ؟ هل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غيره ؟

فأجاب : الحمد لله نعم جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال

الأحياء على الأموات ، كما روى ابن المبارك عن أبى أيوب الأنصارى قال : (إذا قُبضت نفس المؤمن تلقاها الرحمة من عباد الله كما يلتقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه ويسألونه فيقول بعضهم لبعض ، أنظروا أخاكم يستريح فإنه كان فى كَرْب شديد ، قال : فيُقْبلون عليه ويسألونه ما فعل فلان وما فعلت فلانة هل تزوجت) الحديث .

وأما علم الميت بالحى إذا زاره وسلم عليه ففى حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : **« ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام »** .

قال ابن المبارك : ثبت ذلك عن النبى ﷺ وصححه عبد الحق صاحب الأحكام . (ا . هـ مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية) (ج ٢٤ ص ٣٣١) .

وجاء في موضع آخر أيضاً سئل الشيخ ابن تيمية : هل الميت يسمع كلام زائره ويرى شخصه ؟ وهل تعاد روحه إلي جسده فى ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره فى ذلك الوقت وغيره ؟ وهل تجمع روحه مع أرواح أهله وأقاربه الذين ماتوا قبله ؟ .

فأجاب : الحمد لله رب العالمين . نعم ! يسمع الميت فى الجملة كما ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال : **« يسمع خفق نعالهم حين يُولّون عنه »** .

ثم ساق أحاديث متعددة فى هذا المعنى ثم قال : فهذه النصوص وأمثالها تبين أن الميت يسمع فى الجملة كلام الحى ولا ينبغى أن يكون السمع له دائما بل قد يسمع فى حال دون حال كما يُعرض للحى فإنه قد يسمع أحيانا خطاب من يخاطبه ، وقد لا يسمع لعارض يعرض له وهذا السمع سمع إدراك ليس يترتب عليه جزاء ولا هو السمع المنفى بقوله : **﴿ إنك لا تسمع الموتى ﴾** فإن المراد بذلك

سمع القبول والامتثال . فإن الله جعل الكافر كالميت الذى لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التى تسمع الصوت ولا تفقه المعنى . فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى فإنه لا يمكنه إجابه الداعى ولا إمتثال ما أمر به ونُهى عنه فلا ينتفع بالأمر والنهى وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهى وإن سمع الخطاب وفهم المعنى كما قال تعالى : ﴿ **ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم** ﴾ (1) وأما رؤية الميت فقد روى فى ذلك آثار عن عائشة وغيرها .

وأما قول القائل : هل تعاد روحه إلى بدنه ذلك الوقت أم تكون ترفرف على قبره فى ذلك الوقت وغيره ؟ . فإن روحه تعاد إلى البدن فى ذلك الوقت كما جاء فى الحديث وتعاد أيضاً فى غير ذلك .

ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله وذلك فى اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع فى الأرض وانتباه النائم .

وهذا جاء فى عدة آثار أن الأرواح تكون فى أفنية القبور قال مجاهد : الأرواح تكون فى أفنية القبور سبعة أيام من يوم دفن الميت لا تفارقه فهذا يكون أحيانا وقال مالك بن أنس بلغنى أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت والله أعلم .

ا . هـ مجموع فتاوى الشيخ ابن تيمية (ج ٢٤ ص ٣٦٢) .

وقال الشيخ ابن تيمية فى موضع آخر : أما ما أخبر الله من حياة الشهيد ورزقه وما جاء فى الحديث الصحيح من دخول أرواحهم الجنة فذهبت طوائف إلي أن ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصحيح الذى عليه الأئمة وجماهير أهل السنة أن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دلت على ذلك النصوص الثابتة ويختص الشهيد بالذكر لكون الظانّ يظن أنه يموت

(1) [الآية (٢٣) الأنفال] .

فينكل عن الجهاد فأخبر بذلك ليزول المانع من الإقدام على الجهاد والشهادة . كما نهى عن قتل الأولاد خشية الإملاق لأنه هو الواقع وإن كان قتلهم لا يجوز مع عدم خشية الإملاق . (ا هـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٢٤ ص ٣٣٢) .

لاتؤذ الميت لئلا يؤذيك :

رأى رسول الله ﷺ رجلا قد اتكأ على قبر فقال له : **« لا تؤذ صاحب القبر »** .

ذكره المجد ابن تيمية فى المنتقى (ج ٢ ص ١٠٤) وعزاه لأحمد في المسند وكذا الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ٣ ص ١٧٨) وقال إسناده صحيح وأخرجه الطحاوي في معانى الآثار (ج ١ ص ٢٩٦) من حديث ابن عمرو بن حزم بلفظ رآنى رسول الله ﷺ على قبر فقال : **« انزل عن القبر لا تؤذ صاحب القبر ولا يؤذيك »** (أ هـ مجمع الزوائد ج ٣ ص ٦١) .

معنى الحياة البرزخية :

وينبغى أن نبين للناس معنى تلك الحياة وأنها حياة برزخية وأنها ليست كحياتنا هذه بل هى حياه خاصة لائقة بهم وبالعالم الذى هم فيه لكن لابد أن نبين لهم أيضاً أنها ليست كحياتنا لأن حياتنا أقل وأحقر وأضيق وأضعف .

فالإنسان فيها بين عبادة وعادة وطاعة ومعصية وواجبات مختلفة لنفسه وأهله ولربه وأنه تارة يكون طاهرا وتارة يكون على ضد ذلك ، وتارة يكون فى المسجد وتارة يكون فى الحمام وأنه لا يدرى بم يُختم له . فقد يكون بينه وبين الجنة ذراع ثم ينقلب الأمر رأسا على عقب فيصير من أهل النار وبالنقيض أما فى البرزخ فإنه إن كان من أهل الإيمان فإنه قد جاوز قنطرة الامتحان التى لا يثبت عندها إلا أهل السعادة . ثم إنه قد انقطع عنه التكليف وأصبح روحا مشرقة طاهرة مفكرة

سياحة سباحة جوالة في ملكوت الله وملكه سبحانه وتعالى لا هم ولا حزن ولا بأس ولا قلق لأنه لا دنيا ولا عقار ولا ذهب ولا فضة فلا حسد ولا بغى ولا حقد . وإن كان غير ذلك ففى نقيض ذلك .

خصائص الأنبياء البرزخية

وللأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى البرزخ خصائص انفردوا بها دون غيرهم من البشر ولو شاركهم غيرهم فى بعضها فهو على وجه الإلحاق النسبى وتبقى الخصوصية للأنبياء من جهتين .

الأولى : من جهة الأصالة .

الثانية : من جهة الكمال .

وهذه بعض تلك الخصائص .

كمال حياتهم :

ذكرنا فيما تقدم أن الحياة البرزخية حياة حقيقية وأن الميت يسمع ويحس ويعرف سواء أكان مؤمنا أم كافرا وأن الحياة والرزق ودخول الأرواح الجنة ليس مختصا بالشهيد كما دلت على ذلك النصوص الثابتة . وهذا هو الصحيح الذى عليه الأئمة وجماهير أهل السنة ومن هنا فإن القول بحياة الأنبياء من فضول القول وهو أمر ظاهر كالشمس لا يحتاج إلي إثبات بل إن الصواب هو أن نُقرر أن حياتهم أكمل وأجل وأتم وأعظم وهكذا حياة الناس على ظهر الأرض فى الدنيا فإنها درجات ومقامات ومراتب متفاوتة . فمنهم أموات فى صورة أحياء قال فيهم المولى جل شأنه : **﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها**

ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ [1]..

ومنهم الذين قال فيهم **﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾** [2] . ومنهم من قال فيهم **﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾** إلى قوله **﴿ أولئك هم الوارثون ﴾** ومنهم من قال فيهم **﴿ إنهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون ﴾** (سورة الذاريات : ١٦ ـ ١٨) . وهكذا الحياة البرزخية درجات ومراتب ومقامات متفاوتة **﴿ ومن كان فى هذه أعمي فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾** [3] .

أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فإن حياتهم ورزقهم ومعرفتهم وسماعهم وإدراكهم وشعورهم وإحساسهم أكمل وأتم وأرفع من غيرهم والدليل هو قوله تعالى فى حق الشهداء : **﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾** [4]..

وإذا كانت الحياة معناها هو بقاء الروح فلا تفنى ولا تبلى فلا مزية للشهيد يستحق أن تُذْكر وتشهر إذ أرواح جميع بنى آدم باقية لا تفنى ولا تبلى وهو الصواب الذى عليه المحققون من أهل العلم كما حققه الشيخ ابن القيم فى كتاب الروح فلابد من وجود مزية ظاهرة يزيد بها الشهداء على من سواهم وإلا كان ذكر حياتهم عبثا لا فائدة منه خصوصا وأن الله تعالى نهى أن نقول عنهم أموات فقال : **﴿ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾** [5]..

وحينئذ نقول إنه لابد من أن تكون حياتهم أكمل من غيرهم وأشرف وهذا ما يؤيده ظاهر النصوص فأرواحهم مرزوقة ترد أنهار الجنة وتأكل ثمارها كما قال

---

(١) [الآية (١٧٩) الاعراف] .
(٢) [الآية (٦٢) يونس] .
(٣) [الآية (٧٢) الاسراء] .
(٤) [الآية (١٦٩) آل عمران] .
(٥) [الآية (١٥٤) البقرة] .

تعالى : ﴿ **عند ربهم يرزقون** ﴾ ثم إحساسهم بذلك الطعام والشراب والنعيم إحساس كامل بشعور تام وتلذذ تام وتمتع حقيقى كما جاء في الحديث : فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا (قال ابن كثير رواه أحمد) .

وأرواحهم لها تصرف أكبر من غيرها وأوسع فهى تتجول وتسرح فى الجنة حيث تشاء ثم تأوى إلى قناديل تحت العرش . (كذا في الصحيح) .

وهم يسمعون الكلام ويفهمون الخطاب فقد جاء فى الصحيح أن الله تعالى يقول لهم ما تشتهون ؟ فيقولون : كذا وكذا ، ويعود السؤال ويعود الجواب . ثم يطلبون أن يعودوا إلي الدنيا للجهاد ، ثم يطلبون أن يُبلغ الله عنهم رسالة منهم إلي إخوانهم بالدنيا فيها بيان ما أكرمهم الله به فيقول الله : أنا أبلغ عنكم .

فإذا ثبت هذا في حق الشهداء ثبت في حق الأنبياء من وجهين :

الأول : أن هذه رتبة شريفة أعطيت للشهيد كرامة له ولا رتبة أعلي من رتبة الأنبياء . ولا شك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء ولا يحصل للأنبياء لا سيما هذا الكمال الذى يوجب زيادة القربى والزلفى والنعيم والأنس بالعلى الأعلى .

الثانى : أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجرا على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى . والنبى ﷺ وهو الذى سن لنا ذلك ودعانا إليه وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه ، وقد قال ﷺ : « **من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** » .

وقال ﷺ : « **من دعا إلي هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقصه**

ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقصه ذلك من آثامهم شيئاً ».

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مشهورة فكل أجر حصل للشهيد حصل للنبى ﷺ لسعيه مثله والحياة أجر فيحصل للنبى ﷺ مثلها .

إن حياة الأنبياء البرزخية الحقيقية وخصوصا نبينا ﷺ هى أرفع وأكمل من أن يتصور جاهل أو أحمق أننا نعني بها أن يعيشوا كما نعيش فيأكلوا ويشربوا محتاجين إلي الأكل والشرب ويبولوا ويتغوطوا مضطرين إلى ذلك ويخرجون من قبورهم لحضور مجالس الذكر ومجامع القرآن ولمشاركة الأمة فى أفراحها وأحزانها وأعيادها ومواسمها . ثم يرجعون إلى قبورهم تحت الأرض فى تلك الحفرة الضيقة وفوقهم التراب . ليس فى هذا أدنى كرامة أو منقبة بل هو عين الإهانة التى لا يرضاها الإنسان لتابع أو خادم له فضلا عن أن يمن الله تعالى بذلك على خير خلقه وأجلّ عبيده حاشا وكلا وألف حاشا وكلا . إن الحياة البرزخية الحقيقية هى الشعور التام والإدراك الكامل والمعرفة الصادقة . إنها حياة طيبة صالحة : دعاء وتسبيح وتهليل وتحميد وصلاة .

صلاة الأنبياء فى قبورهم
وعبادات أخرى

ومن ثمرات تلك الحياة البرزخية صلاتهم فى قبورهم صلاة حقيقية ليست خيالية ولا مثالية وقد جاءت أحاديث فى هذا الموضوع فمنها عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : **« الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون »**.. رواه أبو يعلى والبزار ورجال أبي يعلى ثقات كذا في مجمع الزوائد (ج ٨ ص ٢١١) قال الإمام الحافظ البيهقى فى الجزء الخاص بهذه المسألة .

وفى رواية عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الأنبياء لا يُتركون فى قبورهم بعد أربعين ليلة ، ولكنهم يصلون بين يدى الله تعالى حتى يُنفخ فى الصور** » ..

قال البيهقى إن صح بهذا اللفظ فالمراد به ـ والله أعلم ـ لا يُتركون لا يُصلون إلا هذا المقدار ، ثم يكونون مصلين بين يدى الله تعالى ، قال البيهقى : والحياة الأنبياء بعد موتهم شواهد من الأحاديث الصحيحة .

ثم ذكر البيهقى بأسانيده حديث : « **مررت بموسى وهو قائم يصلى فى قبره** » . وحديث :

« **قد رأيتنى فى جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى قائم يصلى وإذا رجل ضَرْب جَعْد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبها عروة ابن مسعود الثقفى ، وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم ـ يعنى نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال قائل لى : يا محمد ، هذا مَالِك صاحب النار فسلّم عليه ، فالتفتُّ إليه فبدأنى بالسلام** » .

قلت أخرجه مسلم عن أنس (ج ٢ ص ٢٦٨) وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (ج ٣ ص ٥٧٧) .

وقوله ضَرْب : أى خفيف اللحم المشوق المستدق .

وقال البيهقى فى دلائل النبوة : وفى الحديث الصحيح عن سليمان التيمى وثابت البنان عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **أتيتُ على موسى ليلة أسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره** » . قلت وهو صحيح أخرجه مسلم (ج ٢ ص ٢٦٨) .

وقد ثبت بما لا يقبل الشك أن السبب فى تخفيف الصلاة علينا من خمسين إلى خمس صلوات هو موسى عليه السلام وهو ميت قد أدى رسالة ربه وانتقل إلى جواره فى الرفيق الأعلى ولكنه هو السبب فى إيصال أعظم خير إلى الأمة المحمدية حينما طلب من نبينا محمد ﷺ مراجعة ربه وقال له سَلْ ربك التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك فهل هذه المراجعة حقيقية أو خيالية وهل فى اليقظة أو فى المنام وهل هى صحيحة أم مكذوبة وهل موسى مات أم لا يزال حيا حتى وقت تلك المراجعة ؟ أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما . «أن النبى ﷺ مر على ثَنيّة فقال : ما هذه قالوا ثنية كذا وكذا ، قال لأنى أنظر إلى يونس على ناقة خطامها ليف وعليه جبّة من صوف وهو يقول لبيك اللهم لبيك» . اهـ الدر المنثور (ج ٤ ص ٣٣٤) .

وفى حديث آخر : **« أرانى ليلة عند الكعبة فرأيت رجلا آدم كأحسن ما أنت راء من الرجال من آدم الرجال ، له لمة كأحسن ما أنت راء من اللمم قد رجّلها فهى تقطر ماء متكئا على رجلين أو على عواتق رجلين بالبيت فسألت من هذا ؟ فقيل هذا المسيح ابن مريم »** .

وفى حديث آخر : **« إن رسول الله ﷺ مر بوادى الازرق فقال : كأني أنظر إلى موسى هابطا من الثنيّة وله جؤار إلى الله بالتلبية ثم أتى على ثنية هرشى فقال : كأنى انظر إلى يونس ابن متى على ناقة حمراء جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته خلبة وهو يلبى »** .

وفى حديث آخر : **« كأنى أنظر إلى موسى واضعا أصبعيه فى أذنيه »** .

وهذه الأحاديث كلها فى الصحيح وقد تقدم في موسى وعيسى ، وكذلك صلاتهم قياما وإمامة النبى ﷺ بهم ولا يقال إن ذلك رؤيا منام وإن قوله أرانى فيه

إشارة إلى النوم لأن الإسراء وما اتفق فيه كان يقظه على الصحيح الذى عليه جمهور السلف والخلف ولو قيل بأنه نوم فرؤيا الأنبياء حق ، وقوله أرانى لا دلالة فيه على المنام بدليل قوله رأيتنى فى الحجر وكان ذلك فى اليقظة كما يدل عليه بقية الكلام .

بقاء أجسادهم :

جاء في الحديث عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : « **أفضل أيامكم الجمعة فيه خلق آدم . وفيه قبض ، وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليَّ ، قالوا وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت** ـ يقولون بليت ـ **فقال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء** » .

هذا الحديث أخرجه سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأحمد في مسنده وابن عاصم في الصلاة له وأبو داود والنسائى وابن ماجه فى سننهم والطبرانى فى معجمه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم في صحاحهم والبيهقى فى حياة الأنبياء وشعب الإيمان وغيرهما من تصانيفه .

واعلم بأن حديث أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ورد من طرق كثيرة جمعها الحافظ المنذرى في جزء مخصوص وقال في الترغيب والترهيب رواه ابن ماجه بإسناد جيد ورواه أحمد وأبو داود وابن حبان فى صحيحه والحاكم وصححه وقال ابن القيم في كتاب الروح نقلا عن أبي عبد الله القرطبى : صح عن النبى ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنه ﷺ اجتمع مع الأنبياء ليلة الإسراء فى بيت المقدس وفى السماء خصوصا موسى وقد أخبر :
« **ما من مسلم يسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتي يرد عليه السلام** »..

إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلي

أنهم غُيِّبوا عنا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم . وقد نقل كلام القرطبى وأقره أيضاً الشيخ محمد السفارينى الحنبلى في شرح عقيدة أهل السنة ونصه : قال أبو عبد الله القرطبى قال شيخنا أحمد بن عمر القرطبى صاحب المفهم فى شرح مسلم والذى يزيح هذا الإشكال أن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلي حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين . وهذه صفة الأحياء فى الدنيا ، وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى . وذكر القرطبى أن أجساد الشهداء لا تبلى ، وقد صح عن جابر أن أباه وعمرو ابن الجموح رضى الله تعالى عنهم وهما ممن استشهد بأحد ودفنا فى قبر واحد حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا . وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك ، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة ولما أجرى معاوية العين التى استنبطها بالمدينة وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة ونقل الموتى أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فسال منه الدم ووجد عبد الله بن حرام كأنما دُفن بالأمس . وروى جميع أهل المدينة أن جدار النبى ﷺ لما انهدم أيام الوليد بدت لهم قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قد قتل شهيدا .

وقد ذكر الشيخ ابن تيمية أنه لما حصل الهدم بدت لهم قدم بساق وركبة ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيز فأتاه عروة فقال هذه ساق عمر وركبته فسُرى عن عمر بن عبد العزيز . ا هـ اقتضاء الصراط المستقيم ٣٦٥ .

وقد ألف فى هذا الموضوع الإمام الحجة أبو بكر بن الحسين البيهقى رسالة خاصة جمع فيها جملة من الأحاديث التى تدل على حياة الأنبياء وبقاء أجسادهم ، وكذلك ألف الحافظ جلال الدين السيوطى رسالة خاصة بذلك .

وقد ثبت لنبينا محمد ﷺ حياة برزخية أكمل وأعظم من غيره تحدث عنها بنفسه تثبت اتصاله بالأمة المحمدية ومعرفته بأحوالها واطلاعه على أعمالها وسماعه لكلامهم وردّه لسلامهم والأحاديث فى هذا الباب كثيرة .

فمنها عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ وآله وسلم : « **إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام** » ..

قال المنذر رواه النسائى وابن حبان فى صحيحه . أ هـ . من الترغيب والترهيب (ج ٢ ص ٤٩٨) . قلت ورواه إسماعيل القاضى وغيره من طرق مختلفة بأسانيد صحيحة لا ريب فيها إلى سفيان الثورى عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود وصرح الثورى بالسماع فقال : حدثنى عبد الله بن السائب هكذا فى كتاب القاضى إسماعيل وعبد الله بن السائب وزاذان روى لهما مسلم . ووثقهما ابن معين فالإسناد إذن صحيح .

ومنها : عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **حياتى خير لكم تحدِّثون ويُحدَث لكم ووفاتى خير لكم تُعرض أعمالكم على فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر استغفرت الله لكم** » ..

قال الحافظ العراقى فى كتاب الجنائز من طرح التثريب فى شرح التقريب : إسناده جيد (١) .

قوله : قال العراقى إسناده جيد .

(١) كذا قال العراقى فى طرح التثريب ج ٣ ص ٢٩٧ وقال فى تخريج الإحياء رواه البزار من حديث ابن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد المجيد بن أبى رواد وإن أخرج له مسلم ووثقه ابن معين والنسائى قد ضعفه كثيرون .
قلت هذا الكلام منقوض بكلامه فى طرح التثريب وهوالمعتمد لأنه من أواخر كتبه وبه ظهر أن هذا هو حكم العراقى فى المعتمد فليتنبه لذلك . وقد صنف العلامة المحدث الشيخ أبو الفضل عبد الله الغمارى رسالة خاصة فى هذا الموضوع سماها : نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال .

وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، وصححه الحافظ السيوطى فى المعجزات والخصائص وكذا القسطلانى شارح البخارى ونص المناوى فى فيض القدير ج ٣ ص ٤٠١ بأنه صحيح وكذا الزرقانى فى شرح المواهب للقسطلانى وكذا الشهاب الخفاجى في شرح الشفا ج ١ ص ١٠٢ .

وكذا الملا على قارى فى شرح الشفا ج ١ ص ١٠٢ وقال رواه أيضاً الحارث ابن أسامة في مسنده بسند صحيح .

وذكره ابن حجر فى المطالب العالية (ج ٤ ص ٢٢) وجاء هذا الحديث من طريق آخر مرسلا عن بكر بن عبد الله المزني ورواه الحافظ إسماعيل القاضى فى جزء الصلاة على النبى ﷺ ، قال فيه الشيخ الألبانى : مرسل صحيح وصححه الحافظ ابن عبد الهادى مع تعنته وتشدده في كتابه الصارم المكى .

فالحديث صحيح لا مطعن فيه وهو يدل على أن النبى ﷺ يعلم أعمالنا بعرضها عليه ويستغفر الله لنا على ما فعلنا من سئ وقبيح وإذا كان كذلك فإنه يجوز لنا أن نتوسل به إلي الله ونستشفع به لديه لأنه يعلم بذلك فيشفع فينا ويدعو لنا وهو الشفيع المشفع صلى الله عليه وآله وسلم وزاده تشريفا وتكريما وقد أخبر الله في القرآن أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهيد على أمته وذلك يقتضى أن تعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعلم . قال ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول : ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبى ﷺ أمته غدوة وعشيا فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾[الآية (٤١) النساء] .

ومنها : عن عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « **إن الله وكل بقبرى ملكا أعطاه الله أسماع الخلائق فلا يصلى على أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغنى باسمه واسم أبيه هذا فلان بن فلان قد صلى عليك** » رواه البزار وأبو الشيخ ابن حبان ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تبارك وتعالى وكل ملكا أعطاه أسماء الخلائق فهو قائم على قبرى إذا مت فليس أحد يصلى على صلاة إلا قال : يا محمد صلى عليك فلان بن فلان قال : فيصلى الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا** ». رواه الطبرانى فى الكبير بنحوه) أ هـ من الترغيب (ج ٢ ص ٥٠٠) . ومنها عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد أبن أيمن عن عبادة بن يسىّ عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « **اكثروا الصلاة علىّ يوم الجمعة فإنه مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لن يصلى على : إلا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ منها** » . **قال قلت وبعد الموت ؟ قال : « وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حى يرزق** ».

رواه ابن ماجه فى السنن . وفى الزوائد هذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع فى موضعين لأن عبادة روايته عن أبى الدرداء مرسلة قاله العلاء وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة قاله البخارى . انتهى من سنن ابن ماجه (ص ٥٢٤) .

ومنها عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وآله وسلم قال : « **ما من أحد يسلم علىّ إلا ردَّ الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام** ». رواه أبو داود كذا فى الترغيب (ج ٢ ص ٤٩٩) .

قال الشيخ ابن تيمية هذا الحديث على شرط مسلم وقال : وفى مسند ابن أبى شيبة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ . « **من صلى علىّ سمعته ومن صلى عليّ نائيا بُلّغته** ».

رواه الدارقطني . وفي النسائي وغيره عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « **إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام** » إلي أحاديث أخرى في هذا الباب متعددة أ . هـ اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٢٤ .

النبي ﷺ يجيب من ناداه :

النبي ﷺ يجيب من ناداه قائلاً يا محمد ..

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند أبي يعلى في ذكر عيسى [ولئن قام على قبري فقال : يا محمد لأجيبنه] .

ذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية ٤ / ص ٢٣ بعنوان حياته ﷺ في قبره .

ارسال السلام بالبريد إلي النبي ﷺ :

عن يزيد المهدي قال لما ودّعت عمر بن عبد العزيز قال : إن لي إليك حاجة قلت يا أمير المؤمنين كيف ترى حاجتك عندي ؟ قال إني أراك إذا أتيت المدينة ستري قبر النبي ﷺ فأقرئه مني السلام .

وعن حاتم بن وردان قال : كان عمر بن عبد العزيز يُوجّه البريد قاصدا من الشام إلي المدينة ليُقرئ عنه النبي ﷺ وآله وسلم السلام ذكره القاضي عياض في الشفاء في باب الزيارة (ج ٢ ص ٨٣) وذكر الخفاجي كان من دأب السلف أنهم يرسلون السلام إلي رسول الله ﷺ وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ورسول الله ﷺ وإن كان يبلغه سلام من سلم عليه وإن كان بعيدا عنه لكن في هذا فضيلة خطابه عنده ورده عليه السلام بنفسه . أ . هـ . من نسيم الرياض للخفاجي (ج ٣ ص ٥١٦) .

وذكره الفيروزابادى في الصلات والبشر ص ١٥٣ .

صوت وسلام يُسمع من القبر النبوى :

روى الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله الدرامى في كتابه السنن الذى يعتبر من كتب الأصول الحديثية الستة قال أخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان أيام الحرّة لم يؤذّن فى مسجد النبى ﷺ ثلاثا ولم يقم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة إلا بهمهمة يسمعها من قبر النبى ﷺ فذكر معناه . أ . هـ من سنن الدرامى ج ١ ص ٤٤ .

ونقل هذه الرواية الإمام مجد الدين الفيروزابادى صاحب القاموس فى الصلات والبشر ص ١٥٤ . وقال : قال إبراهيم بن شيبان حججت فجئت المدينة فتقدمت إلي قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه فسمعت من داخل الحجرة وعليك السلام .

تأييد ابن تيمية لهذه الوقائع :

ذكر الشيخ ابن تيمية هذه الوقائع في معرض كلامه عن اتخاذ القبر مسجدا أو وثنا يعبد ، ثم قال ولا يدخل فى هذا الباب ما يروى من أن قوما سمعوا رد السلام من قبر النبى ﷺ أو قبور غيره من الصالحين وأن سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالى الحرة ونحو ذلك أ . هـ . اقتضاء الصراط المستقيم ٣٧٣ [1] .

---

(١) مسألة سماع الصوت من القبرالنبوى .
وقد ذكر الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فى كتابه أحكام الموت نصا يؤيد بعض هذه الوقائع . قال أخرج ابن سعد عن ابن المسيب أنه كان يلازم المسجد أيام الحرة الناس يقتتلون قال فكنت أسمع أذانا يخرج من قبل القبر النبوى . كذا في مجموعة المؤلفات ٣ / ٤٧ .

ثم قال في موضع آخر وكذلك ما يذكر من الكرامات وخوارق العادات التى توجد عند قبور الأنبياء والصالحين مثل نزول الأنوار والملائكة عندها وتوقى الشياطين والبهائم لها واندفاع النار عنها وعمن جاورها وشفاعة بعضهم فى جيرانه من الموتى واستحباب الاندفان عند بعضهم وحصول الأنس والسكينة عندها ونزول العذاب بمن استهان بها فجنس هذا حق ليس مما نحن فيه وما فى قبور الأنبياء والصالحين من كرامة الله ورحمته وما لها عند الله من الحرمة والكرامة فوق ما يتوهمه أكثر الخلق لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك . (أ . هـ . اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٧٤)

لا تشد الرحال

يخطئ كثير من الناس فى فهم حديث : « **لا تشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى** » .

فيستدلون به على تحريم شد الرحل لزيارة النبي ﷺ ويعتبرون أن السفر بذلك سفر معصية ، وهذا الاستدلال مردود . لأنه مبنى على فهم باطل والحديث كما سترى في باب والاستدلال في باب آخر ، وبيان ذلك هو أن قوله ﷺ لا تشد الرحال إلا إلي ثلاثة مساجد جاء على الأسلوب المعروف عند اللغويين بأسلوب الاستثناء . وهذا يقتضى وجود مستثنى ومستثنى منه ، فالمستثنى هو ما كان بعد إلا ، والمستثنى منه هو ما كان قبلها ، ولابد من الأمرين ، إما وجودا أو تقديرا ، وهذا مقرر ومعروف في أبسط كتب النحو .

وإذا نظرنا إلي هذا الحديث وجدنا أنه قد جاء فيه التصريح بذكر المستثنى وهو قوله : (إلي ثلاثة مساجد) وهو ما بعد « إلا » ولم يأت ذكر المستثنى منه وهو ما قبل « إلا » فلابد إذن من تقديره .

فإن فرضنا أن المستثنيى منه (قبر) كان اللفظ المنسوب لرسول الله ﷺ لا تشد الرحال إلى قبر إلا إلى ثلاث مساجد . وهذا السياق ظاهر فى عدم الانتظام وغير لائق بالبلاغة النبوية فالمستثنى غير داخل ضمن المستثنى منه - والأصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، ولا يطمئن قلب عالم يتحرج من نسبة كلام للمصطفى ﷺ لم يقله إلي نسبة هذه اللفظة (قبر) وهى لا تتفق مع الأصل فى الاستثناء إلي رسول الله ﷺ فلا تصلح أن تكون هى المستثنى منه ، فلنفرض أنها لفظ (مكان) فيكون السياق المنسوب لرسول الله ﷺ على هذا الفرض ، لا تشد الرحال إلي مكان إلا إلي ثلاثة مساجد ، ومعنى هذا ألا تسافر إلي تجارة أو علم أو خير . وهذا ضرب من الهوس ظاهر البطلان .

فالحديث اشتمل على ذكر المستثنى وليس فيه ذكر المستثنى منه . ولذلك فلابد من تقديره باتفاق أهل اللغة . وتقديره لا يحتمل إلا ثلاثة وجوه لا رابع لها ، الوجه الأول : أن يكون تقديره بلفظ (قبر) فيكون اللفظ المقدر لا تشد الرحال إلي قبر إلا إلى ثلاثة مساجد .

وهذا التقدير مبنى على رأى من يستدل بالحديث على منع السفر للزيارة . وأنت ترى أنه تقدير بارد محجوج لا يستسيغه من عنده أدنى إلمام بالعربية ، وهو لا تليق نسبته إلي أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه . فحاشا أن يرضى بمثل هذا الأسلوب الساقط .

الوجه الثانى : أن يكون تقدير المستثنى منه في الحديث بلفظ عام وهو لفظ مكان . هذا باطل كما تقدم بلا خلاف ولا قائل به .

الوجه الثالث : أن يكون تقدير المستثنى منه فى الحديث بلفظ (مسجد) فيكون سياق الحديث : بلفظ لا تشد الرحال إلي مسجد إلا إلي ثلاثة مساجد .

فترى أن الكلام قد انتظم وجرى على الأسلوب اللغوى الفصيح ، واختفى التهافت الواضح فى الصورتين المتقدمتين وأشرقت فيه روح النبوة .

ويطمئن القلب التقى إلي نسبته لرسول الله ﷺ هذا بفرض أنه لا توجد رواية أخري مصرحة بالمستثنى منه ، فإذا وجدت هذه الرواية فلا يحل لمن له دين أن يعدل عنها إلي محض فرض لا يستند إلى فصيح اللغة .

وقد وجدنا بحمد الله فى السنة النبوية من الروايات المعتبرة ما فيه التصريح بالمستثنى منه .

فمنها : ما أخرجه الإمام أحمد من طريق شهر بن حوشب قال سمعت أبا سعيد وذُكرت عنده الصلاة فى الطور فقال : قال رسول الله ﷺ : **« لا ينبغى للمطى أن يشد رحاله إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى »**.

قال الحافظ ابن حجر : وشهر حسن الحديث وان كان فيه بعض ضعف (فتح البارى ج ٣ ص ٦٥) .

وفي لفظ آخر : **« لا ينبغى للمطىّ أن تشد رحاله إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا »**.

قال الحافظ الهيثمى : وفيه شهر فيه كلام وحديثه حسن . (مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣) .

ومنها ما جاء عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : **« أنا خاتم الأنبياء ومسجدى أحق المساجد أن يزار وتشد اليه الرواحل : المسجد الحرام ومسجدى ، صلاة في مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام »**. رواه البزار (مجمع الزوائد ج ٤ ص ٣) .

فكلامه ﷺ في المساجد ليبين للأمة أن ما عدا هذه المساجد الثلاثة متساو فى الفضل فلا ، فائدة في التعب بالسفر إلي غيرها ، أما هى فلها مزيد فضل ، ولا دخل للمقابر في هذا الحديث فإقحامها فى هذا الحديث يعتبر ضرباً من الكذب على رسول الله ﷺ . على من يتحمل إثم الكذب عليه صلوات الله وسلامه عليه ، هذا مع أن الزيارة مطلوبة بل وكثير من العلماء يذكرونها في كتب المناسك على أنها من المستحبات ويؤيد هذا أحاديث كثيرة ، نذكر جملة منها :

عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : **« من زار قبرى وجبت له شفاعتى »** ، رواه البزار وفيه عبد الله بن إبراهيم الغفارى وهو ضعيف . ونقله الشيخ ابن تيمية وقال إنه ضعيف ولم يحكم بوضعه أو كذبه (أ . هـ . الفتاوى ج ٢٧ ص ٣٠) في هذا الموضع . فإن ثبت غير هذا عنه في موضع آخر فمعناه أنه متردد فى الحكم عليه ، أو أنه اختلف رأية فيه ولم نعلم المتقدم من المتأخر فلا يوثق بواحد حينئذ .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : **« من جاءنى زائراً لا يعلم له حاجة الا زيارتى كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة »** ، رواه الطبرانى في الأوسط والكبير .

وفيه مسلمة بن سالم وهو ضعيف (كذا فى المجمع ج ٤ ص ٢) وقال الحافظ العراقى صححه ابن السكن (المغنى ج ١ ص ٢٦٥) عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : **« من حج فزار قبرى فى مماتى كان كمن زارنى في حياتى »** ، رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه حفص بن أبى داود القارئ وثقه أحمد وضعفه جماعة من الأئمة .

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : **« من زار قبرى بعد موتى كان كمن زارنى في حياتى »** .

قال الهيثمي : « رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه عائشة بنت يونس ولم أجد من ترجمها (كذا في مجمع الزوائد ٤ / ٢) .

والحاصل أن أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوى بعضها بعضا ، كما نقله المناوي عن الحافظ الذهبي في فيض القدير ج ٦ ص ١٤٠ خصوصا إن بعض العلماء صححها أو نقل تصحيحها كالسبكي وابن السكن والعراقي والقاضي عياض في الشفا والملا على قاري شارحه الخفاجي كذلك في نسيم الرياض ج ٣ ص ٥١١ . وكلهم من حفاظ الحديث وائمته المعتمدين . ويكفي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدين قالوا بمشروعية زيارة النبي ﷺ كما نقله عنهم أصحابهم في كتب فقههم المعتمدة وهذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها لأن الحديث الضعيف يتأيد بالعمل والفتوي ، كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدثين .

تحقيق مفيد

تحقيق العلامة الشيخ عطية محمد سالم صاحب تكملة أضواء البيان . وقد ذكر هذه المسألة العلامة الشيخ عطية محمد سالم القاضي بالمدينة المنورة في كتابه الذي تمم به التفسير المشهور المسمى بأضواء البيان للعلامة المفسر الشيخ محمد أمين الشنقيطي فقال : وأعتقد أن هذه المسألة لولا نزاع معاصري شيخ الإسلام معه في غيرها لما كان لها محل ولا مجال . ولكنهم وجدوها حساسة ولها مساس بالعاطفة ومحبة رسول الله ﷺ فأثاروها وحكموا عليه بالالتزام أي يلازم كلامه حينما قال : لا يكون شد الرحال لمجرد الزيارة بل تكون للمسجد من أجل الزيارة عملاً بنص الحديث ، فتقولوا عليه ما لم يقله صراحة . ولو حمل كلامه على النفي بدلا من النهي لكان موافقا أي لا يتأتى ذلك لأنه رحمه الله لم يمنع زيارته

ﷺ ولا السلام عليه ، بل يجعلها من الفضائل والقربات وإنما يلتزم بنص الحديث فى جعل شد الرحال إلي المسجد ولكل شئ ومنه السلام على رسول الله ﷺ كما صرح بذلك في كتبه . أ . هـ . كلام الشيخ عطية في أضواء البيان ٠ ج ٨ ص ٥٨٦) .

ثم نقل من نصوص كلام ابن تيمية ما نقلناه عنه ثم قال : فدل كلامه رحمه الله أن زيارة القبر والصلاة فى المسجد مرتبطان ومن أدعى انفكاكهما عمليا فقد خالف الواقع ، وإذا ثبتت الرابطة بينهما انتفى الخلاف وزال موجب النزاع والحمد لله رب العالمين وصرح في موضع اخر ص ٣٤٦ فى قصر الصلاة فى السفر لزيارة قبور الصالحين عن أصحاب أحمد أربعة أقوال ، الثالث منها تقصر إلى قبر نبينا عليه الصلاة والسلام (أضواء البيان ج ٨ ص ٥٩٠ ثم قال الشيخ عطية : وهذا غاية فى التصريح منه رحمه الله أنه لا انفكاك من حيث الواقع بين الزيارة والصلاة في المسجد عند عامة العلماء .

ثم قال في حق الجاهل : وأما من لم يعرف هذا فقد لا يقصد إلا السفر إلى القبر ثم إنه لابد أن يصلى فى مسجده فيثاب على ذلك وما فعله وهو منهى عنه ولم يعلم أنه منهى عنه لا يعاقب ، فيحصل له أجر ولا يكون عليه وزر (انظر أضواء البيان ج ٨ ص ٥٩٠) .

وبه يظهر لك أن قاصد القبر على كل ليس بمحروم من الأجر والثواب . فهل يقال في حقه أنه مبتدع أو ضال أو مشرك . سبحانك هذا بهتان عظيم .

الإمام مالك والزيارة

الإمام مالك هو من أشد الناس تعظيما للجناب النبوى وهوالذى كان لا يمشى في المدينة المنورة منتعلا ولا راكبا ولا يقضى فيها حاجه احتراما وتعظيما وتكريما

لتراب المدينة الذى مشى عليه رسول الله ﷺ وها هو يخاطب أمير المؤمنين المهدى لما جاء إلي المدينة فى هذا الموضـوع ويقول له : إنك تدخل الآن المدينة فتـمر بقوم عن يمينك ويسارك وهم أولاد المهاجرين والانصار فـسلم عليهم فإنه ما على وجه الأرض قـوم خيـر من أهل المدينة ولا خـير من المدينـة . فقـال له : ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟

قال : لأنه لا يعرف قـبر نبى اليوم على وجه الأرض غـير قبر مـحمد ﷺ ومن قبر محمد عندهم فينبغى أن يعلم فضلهم (كذا فى المدارك للقاضى عياض) .

ومن شـدة تعظيمـة للمدينة أنه كـره أن يقال زرنا قـبر النبى ﷺ وكـأنه أراد أن يقول القائل زرنا النبي ﷺ مباشرة دون لفظ القبر لأن القبر مهجور بدليل قوله ﷺ صلوا فيي بيوتكم ولا تجعلوها قبورا .

قال الحـافظ ابن حجـر إنه إنما كره اللفظ أدبا لا أصـل الزيارة فإنها مـن أفضل الأعمال وأجل القربات الموصلة إلي ذى الجلال وأن مشروعـيتها محل إجماع بلا نزاع (فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٦٦) .

وقال الإمام الحافظ ابن عبد البر إنما كره مالك أن يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبى ﷺ لاستعـمال الناس ذلك بعضهم لبعض أى فـيما بينهم فكره تسويه النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم مع الناس أى عمومـهم بهذا اللفظ وأحب أن يخص بأن يقال سلمنا على النبى ﷺ .

وأيضـاً فـإن الزيارة مـباحـة بين الناس وواجب شـد المطى إلى قـبـره ﷺ يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكـيد لا وجوب فرض والأولى عندى أن منعـه وكراهة مـالك لا لإضافته إلي قـبر النبى ﷺ وأنه لو قـال زرنا النبى ﷺ لم يكرهه لقوله ﷺ : « **اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبـد بعدى ، اشتد غضب الله على**

قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . فحمي إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبه بفعل أولئك قطعا للذريعة وحسما للباب . قلت : ولو كان المقصود كراهية الزيارة لقال مالك : أكره للرجل أن يزور قبر النبى ﷺ لكن ظاهر قوله (أكره للرجل أن يقول إلخ) على أن المقصود هو كراهة التعبير بهذا اللفظ فقط .

استحباب زيارة النبى ﷺ عند الحنابلة وغيرهم

زيارة النبى ﷺ مشروعة وقد ذكرها كثير من علماء الأمة وأئمة السلف وتخصيص الحنابلة بالذكر المقصود منه رد فرية من زعم أن أئمة الحنابلة لا يقولون بذلك فاقتضى الأمر تخصيصهم بالذكر لرد هذه الفرية ، وإلا فإن كتب فقه المذاهب الإسلامية جميعها مشحونة ومملوءة بهذه المسألة فانظر إن شئت كتب الفقه الحنفى وانظر إن شئت كتب الفقه المالكى وكتب الفقه الشافعى والحنبلى وكتب الفقه الزيدى والإباضى والجعفرى فإنك تجدهم قد عقدوا بابا مخصوصا فى الزيارة بعد أبواب المناسك .

كلام أئمة السلف فى مشروعية زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وشد الرحل الى قبره

١ - القاضى عياض :

نذكر هنا كلام القاضى عياض في مشروعية الزيارة النبوية عند السلف في شرحه للحديث الذى رواه مسلم عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « **إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها** » .

قال القاضى عياض : وقوله ﷺ وهو يأرز إلي المدينة ، معناه : أن الإيمان أولا

وآخراً بهذه الصفة ، لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى المدينة إما مهاجراً مستوطنا وإما متشوقا إلي رؤية رسول الله ﷺ ومتعلما منه ومتقربا ، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك ولأخذ سيرة العدل منهم والإقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها ثم بعد ذلك فى كل وقت إلي زماننا لزيارة قبر النبى ﷺ والتبرك بمشاهده وآثار أصحابه الكرام ، فلا يأتيها إلا مؤمن .

هذا كلام القاضى عياض ، والله أعلم بالصواب . أ . هـ (شرح صحيح مسلم للنووى ص ١٧٧) .

٢ـ الإمام النووى :

عقد الإمام الحافظ شرف الدين النووى صاحب شرح صحيح مسلم في كتابه المعروف في المناسك المسمى بالإيضاح عقد فصلا خاصا عن الزيارة النبوية . قال فيه : إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعى . (وانظر كلامه أيضاً فى شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث لا تشد الرحال ج ٩ ص ١٠٦) .

٣ـ الإمام ابن حجر الهيثمى :

قال الحافظ ابن حجر الهيثمى في حاشيته على الإيضاح للنووى معلقا على قوله : (وقد روى البزار والدارقطنى بإسنادهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » . قال : رواه أيضاً ابن خزيمة فى صحيحة جماعة كعبد الحق والتقى السبكى . ولا ينافى ذلك قول الذهبى طرقه كلها لينة يقوى بعضها بعضها .

الفصل السابع

فضل الله علينا برسول الله ﷺ

- أول خلق الله .
- سيد المرسلين .
- تجديد بيعة الأنبياء في بيت المقدس .
- علو منزلة الأمة المحمدية .
- منزلة العلماء العاملين .
- فضل الله على الأمة المحمدية فى الآخرة .

فضل الله علينا برسول الله ﷺ

الحمد لله الذى أكرمنا بحبيبه ومصطفاه وجعلنا من أمته وحفّنا بأنواره وبركته ووعدنا بأن يجمعنا جميعاً تحت لواء شفاعته وأن يبيّض وجوهنا بالنظر إلى جمال حضرته وأن يسكننا معه فى فسيح جنته والصلاة والسلام على خير إمام اختاره الله عز وجل لجميع الأنام من بدء البدء إلى يوم الزحام خيرة الله من بريته ومصطفاه من أهل نبوته الذى وعده مولاه بأنه سيعطيه مناه ويستجيب له فى كل أمر يطلبه من الله حتى يرضى﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ [الآية (٥) الضحى] صلوات الله وتسليماته على الحبيب المحبوب سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من استجاب لدعوته ودخل قلبه ذرة من محبته وعلينا معهم أجميعن . آمين . آمين يارب العالمين .

أما بعد

فيا أخوانى ويا أحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين :

نحن في هذه الليالى المباركة نهنئ أنفسنا بفضل الله وكرم الله وعطاء الله ونعم الله وخيرات الله التى حفنا بها وأكرمنا ببركة رسول الله ﷺ وفى الحقيقة يا أخوانى لو كانت الأشجار كلها أقلام والبحار والمحيطات كلها مداداً وكتبوا من بدء البدء إلى نهاية النهايات ما وفّوا بذرة من فضل الله الذى غمر به حبيبه ومصطفاه ﷺ وهذا الكلام ليس كلامى أنا بل كلام رب العزة عز وجل في قوله ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ . [الآية (١٨) النحل] ولم يقل : وإن تعدوا

كان هذا الدرس بمسجد الفتح بمدينة العدوة ـ محافظة المنيا يوم الأربعاء الموافق ٢١ من ربيع الأول ١٤٢٢ هـ الموافق ١٣ / ٦ / ٢٠٠١ م .

نعم الله لو قال نعم اللـه كان يعنى بذلك التى حولنا والنعم التى فـينا والنعم التى لنا السمـاء والأرض والبصر والسمع والمـأكولات والمشروبات والطيور والحـشرات والشمس والقـمر والنجـوم والهواء والضـياء والخلاء والملأ والنعم التـى ليس لها نهاية لكن ربنا قال لنا إنها نعمة واحدة﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ ونعمة الله هنا هى رسول الله ﷺ من الذى قال ذلك ؟ رب العزة عز وجل والقرآن يفسر بعـضه بعـضاً فقد قال لـنا فيه﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم** ﴾ ما هذه النعمة ؟﴿ **إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً**﴾ [الآية (١٠٣) آل عمران] ما النعمـة التى ألف بها الله بين القلوب ؟ الحبيب المحبوب فالنعمـة التى عقدت الأخوة بين النفوس رسـول الله ﷺ الذى أحيا الله به النفوس بعـد ضلالة وعلّمنا به بعـد جهـالة وجمـعنا به بعد فُـرقة وأعـزّنا به بعـد ذلّة وجعلنا به الله خـير أمـة أخـرجت للناس إذن النعمـة برسول الله يـا أخواننا لا نقـدر نعدها يعنى لا نقـدر نعدهـا يعني لا نقدر نعـد مآثرها ولا فـضائلهـا ولا خصائصـها ولا مـزاياها التى أكرمنـا بها الله في الدنيـا والآخرة فلا يـوجد أحد فى السـابقين واللاحقـين يقدر يعدها مجرد عدّ وليس يشرحها .

فإن فضل رسول الله ليس له حدّ   فيعرب عنه ناطق بفم

من الذى يستطيع أن يفصـح أو يبين أو يوضح أو حتى يعد« **وإن تعدوا** » وإن تعدوا خـصائص أو فضـائل أو جمالات أو كمـالات أو منح أو منن أو عطاء الله لرسول اللـه لا تحصوها أى لا تسـتطيعـوا حتى كتـابتهـا فى كشف فـضلاً عن أن تشرحوها أو تعـرفوها أو توفوها ففضل الله علينا برسـول الله عظيم عبّر عن هذه الحقـيقة سيـدنا الامام الشافـعى رضى الله عنه وقال في قول مـجمل غير مـفصل أصبحنا كلنا الأولـين والآخرين حتى النبيين والمرسلين حتى المـلائكة المقربين حتى أهل عليين (أصبـحنا وما بنا من نعمة ظاهرة أو باطنة فى ديـن أو دنيا إلا ورسـول

الله ﷺ سـببهـا وهو الذى أوصلهـا إلينا) نحن فى هذه الأيام نـحاول أن نعـرف بعض قطرة من بحار الجـمالات المحمدية أو بعض ذرة من كنوز الفـضائل النبوية وكل واحد فـينا سيقـول على قدرة لأن الله عز وجل أثنى على قـدره على حبيبه ومصطفاه ﷺ فـعندما ننظر إلى آية واحدة من كلام الله الذى استـمعنا إليه فى بدء هذا اللقاء السـعيد إن شاء الـله هذه الآية لما نزلت على حبيب الله ومـصطفاه ﷺ اجتـمع أصحابه فى مـسجده الشـريف فرحين ومسـرورين وأخذوا يشكرون الله ويثنون على الله علـى هذا الفضل الذى خصّ به سـيـدنا ومولانا رسـول الله ﷺ والخطباء يبيّنون ويشرحون والشعراء يقولون ويفصحون وكان من جمله قول إمام الشعراء فى زمانه سيدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه قوله :

سمعنا فى الضحى ولسوف يعطى ... فـسر قلوبنـا ذاك العطـاء
وكـيف يا رسـول الله ترضـى ... وفينا من يُعذّب أو يساء ؟

فهـذا من جـملة العطاء عندما قـال له ربه﴿ **ولسوف يعطيك ربك فـترضى**﴾ [الآية (٥) الضحى] بعد أن قال له في الآية الأخرى﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقـرآن العظيم**﴾ [الآية (٨٧) الحـجر] فـفى هذه الآية يوضح لنا أنه عـز وجل أعطاه ما يريد وفى الآية الأولى ولسـوف يعطيك هذا فى المستقـبل فى الدنيا ويوم الدين سيـعطيك ما تريد سـيدى الامام جـعفـر الصادق رضى الله عنه قـالوا له ما حـدود العطاء الذى فى هذه الآية ؟ فقـال : « لن يرضى ﷺ وواحـد من أمتـه في النار » هذا العطاء يا اخـوانى لو فصّلنا بعضـه سنعرف ونعلم علم اليـقين أننا أمة مكرمة وأمة مرحومة وأمة مخـصوصة بحضرة النبى ﷺ وسنكرر بصوت عال : يا بختنا بالنبي ويا هنانا بحضرة النبى ويا فرحتنا بحضرة النبى ﷺ إذا كان الأنبياء مع علو مكانهم عند الله ومع رفعة منزلتـهم التى خصهم بها الله يريدون بعض عطاء الله الذى أعطاه لحبيبه ومصطفاه سيـدنا رسول الله لقد وُلد ليله اثنا عشر من شهر ربيع الأول وكان هذا ميلاد الجسم .

أول خلق الله

لكنه له ميلاد آخر للحقيقة والنور والروح الكلية وهذا كان قبل القبل ويقول فيه ﷺ وسلم فى الحديث الصحيح « **إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته** » [1] أى لم يكن آدم شيئاً مذكوراً ، أنا عند الله خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الله عز وجل الروح وقال فى الحديث الآخر ليبين رتبته : « **كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث** » [2] إذن عندما يقول رجل مسلم يا أول خلق الله فهذا كلام صحيح وهذا دليله من السنة ، فإذا أراد دليل قرآنى نقول له فى قول الله عز وجل : ﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ (الآية (٨١) الزخرف] منْ أول العابدين ؟ بنص كلام ربنا عز وجل فأول مخلوق خلقه الله هو نور حبيبه ومصطفاه فقد خلقه من نور جماله وبهاه أما الكيفية فتلك أمور نورانية تحتاج إلي شفافية وان الانسان لكى يتأهل لذلك لابد له من دوره روحانية فى علوم المكاشفة وليس فى علوم الدراسة كى يصل لهذا المقام لكن القرآن وضح الحقيقة لكل انسان :﴿ **قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين** ﴾ أى أنا أول من عبد الله فلم لم أرى له ولداً ولا زوجة ولا حاجة وهو أول شاهد ومشهود ﷺ .

(١) رواه أحمد والطبرانى في الكبير والحاكم وأبو نعيم في الحلية والبيهقي فى شعب الايمان والبزار عن عربان بن ساريه .
(٢) رواه الحسن عن ابى هريرة .

رسول المرسلين

فخلق الله أول ما خلق وأول ما ذرأ وأول ما برأ نور حبيبه ومصطفاه وخلق من نوره نور الأنبياء والمرسلين وأرواحهم وذواتهم النورانية وحقائقهم الربانية وهذا قبل وجودهم فى عالم الأجساد الطينية لأن هذه في الدنيا لكن الحقائق الأولى كانت في عالم الظهور وعالم النور وعالم الاشراقات وعالم التجليات وهو عالم خاص بأهل الاجتباء والاصطفاء من الرسل والأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاه وأتم السلام وبعدما خلق الله أرواحهم وذواتهم النورانية جمعهم وأخذ عليهم العهد والميثاق وسجله في قرآنه الكريم وفى نوره القديم وقال لنا فيه لنعرف قدر حضرة النبى **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق النبيين ﴾** ولم يقل ميثاق المرسلين لأنهم كانوا لم يرسلوا بعد وإنما كانوا أرواحاً نورانية **﴿ لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول ﴾** **﴿ ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم ﴾** [الآية (٨١) آل عمران] هو الذى يصدق عليكم ويعتمد قراراتكم وقد قال فيه : **﴿وخاتم النبيين ﴾**[الآية (٤٠) الاحزاب] وفى القراءة الثانية قال : « **وخاتم النبيين** » فهو الختم الذى يختم للنبيين وقد وضح ذلك إمام الأنبياء والمرسلين فقال **« يأتى يوم القيامة الأنبياء النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الجماعة والنبى ومعه الواحد »** **﴿ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴾** [الآية (٣٦) الذاريات]

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ وهو رسولهم **﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾** [الآية (٤١) النساء] فهو شهيد على الكل وهنا لمحة بسيطة لنبين فضل الله علينا

بحضـرة النبي وببركـة حضـرة النبي النازلة علينا فـربنا قال للأنبـياء ﴿ **ثم جاءكم رسول** ﴾ فهو رسول الأنبياء وقد قال لهم ﴿ **لتؤمنن به** ﴾ إذن لابد أن يؤمنوا برسول الله فكل الأنبـياء مؤمنين بـسيد الأنبـياء فـهو نبى جمـيع النبيـين ورسول جـميع المرسلين ورســول الخلق أجـمـعين مـن بدء البـدء إلـي يوم الدين ﴿ **لتـؤمنن به ولتنصرنه** ﴾ كيف ينصرونه ؟ بأن يبينوا صفـاته ويوضحوا علاماته لأممهم ويقولون لهم إذا حضـرتم زمن بعثـته فلابد أن تتبعـوه ولابد أن تؤمنوا به ولذلك فكل نبى كـان يوصى أمتـه بأنه ليس نبى الخـتام وإنما جـاء بالنيـابة عن رسول الملك العـلام لجميع الأنام ﷺ وقد قال فى ذلك الامام أبو العزائم رضى الله عنه :

الرسـل من قبل الحـبيب محـمد نوابه وهو الحبيب الهادى

موسى وعيسى والخليل وغيرهم يرجـون منـه نظــرة بوداد

رغــبوا يكـونوا أمــة لمحـــمد وبحــبّه فازوا بكــل مراد

وبمحكــم القــرآن عاهدهــم لـه أن يؤمـنوا بسـراجه الوقّاد

فأخـذ عليهم الله عـز وجل العهد أن يؤمنوا به وينـصروه . سأل أحـد التابعين سيدنا عبـد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمـا عن صفات رسول الله ﷺ فى التوراة والانجيل فقال : وصفه الله فى الـتوراة بما وصفه به في القرآن فكما قال فى القرآن ﴿ **ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾[الآية (٦) الصف] قال فى صفتـه فى التوراة والانجيل وهى قريبة من صفـته في القرآن :﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ أنت عبدى ورسولى سـميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئـة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حـتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله مـحمد رسول الله ويفتح الله به أعينا عمياً ويسمع به آذاناً صماً وقلوباً غلفاً ».فكانوا مأمورين أن

يبلغوا هذه الرسـالة ويبينوا أوصافه والذيـن معه ﴿ **محمد رسـول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجـوههم من أثر السجود** ﴾ [الآية (٢٩) الفتح] ﴿ **ذلك مثلهم فى التوراة** ﴾هذه أوصافـهم الموجودة فى التوراة ومثلـهم فى الانجيل ما جاء فى بقـية الآية فحـتى أوصاف أصحـابه كان الأنبيـاء السابقين يبيـنوها بأدق بيان لماذا ؟ لأن هذا عقد الله وميثاق الله عز وجل ﴿ **لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى** ﴾ وافقـتم على هذا العـقد ؟ ﴿ **قالوا أقررنا** ﴾ فكلنا موافـقون ﴿ **قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** ﴾[الآية (٨١) آل عمران] .

ماذا يشهـدون ؟ كشف لهم عن جمال رسـول الله وعن طلعته وبهاء ليـعرفوه بنعوته وصفاته وجمالاته وكمالاته فيصفونه لأممهم كما رأوه وشاهدوه ﷺ .

تجديد بيعة الأنبياء فى بيت المقدس

ثم قالوا يارب أخذت علينا البيعة وكنا ما نزال أرواحاً نورانية ونطمع أن نجددها مع سيّد الأولين والآخرين فى حياته الدنيوية فنؤمن به ونبايعة بعد بعثته ورسالته ولذلك جمعهم الله أجمعين فى بيت المقدس مائة وأربعة وعشرين ألف نبى كانوا موجودين واصطفوا سبعة صفوف وجاء سيدنا جبريل وأخذه ﷺ من يده وقال له تقدم صلى بهم فأنت الامام لهم فهو الامام لهم في الدنيا والآخرة وفي ذلك يقول الامام أبو العزائم رضى الله عنه :

صفّوا وراءك إذْ أنت الامام لهم — قد بايعوك على صدق المتابعة

أبو هموا أنت يا سرّ الوجود ولا — فخر وسر هموا قبل المعاهدة

فصلوا كلهم وراءه ﷺ وعقدوا له اجتماعاً عظيماً كله حفاوة وتكريم وكل نبى ذكر في خطبة عصماء بعض ما تفضل به عليه الله وفى الختام قدموا سيدنا رسول الله فقال « **الحمد لله الذى شرح صدرى ويسر أمري وجعلنى فاتحاً خاتماً وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس** » (1) وذكر بعض مناقبة ومناقب أمته فسيدنا إبراهيم وقف وقال « بهذا فضلكم محمد ﷺ وسلم » فلا يشك أحد منا أن الرسل كلهم من أتباعه وكلهم مؤمنين به وهو رسول المرسلين ونبى النبيين .

---

(1) رواه صاحب مجمع الزوائد عن أبى هريرة .

علو منزلة الأمة المحمدية

والملاحظة التي أريـد أن ألفت أنظاركم إليـهـا أن الله عـز وجل قـال لهم﴿ **ثم جاءكم رسول** ﴾ وقال لنا نحن ﴿ **لقد جاءكم رسـول من أنفسكم** ﴾ أو بحسب القـراءة الأخرى ﴿ **لقد جاءكم رسـول من أنفَسكم** ﴾[الآية (١٢٨) التوبة] من أشرفكم ومن أعظمكم ومن أكرمكم فكمـا هو رسول المرسلين كذلك هو رسولنا وهذا يعنى أن الله جعلنا في منزلة عالية جـداً لو عرفناها فلن نعصى الله عز وجل طرفة عين فكما هو رسول المرسلين فـهو رسول لنا أجمعين وكما الأنبـياء شهداء على أممهم فهو شهيد عليهم وهم شهداء على سائر الأمم﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً** ﴾ووظيـفتكم يوم القـيامـة ﴿ **لتكونوا شـهداء على الناس ويكون الـرسول عليكم شهـيداً** ﴾[الآية (١٤٣) البقـرة] فنحن الذين سنشـهد علي الأمم ببـركة رسول الله وبـفضل الله علينا بسر كتاب الله جل فـى علاه فكما يشـهد حـضرة النبى على الأنبياء والمرسلين سنشهد نحن على أممهم كيف نشهد ؟ بالكتاب الذى هيمن على الكل فهو الكتاب الذى فيه كل شئ فـيه الصدق وفيه اليقين وليس فيه زيغ ولا تبديل ولا تحريف فهو المعتـمد فى المحكمة الالهية يوم الدين وهو القانون المعتـبر والذى إليـه المرجع والمآل في يوم العرض والحسـاب فأى مـحامى لابد أن يأتى بمادة من كتـاب الله ليدافع بها فرسل الله يدافـعون عن أنفسهم أمـام الله عز وجل فيقول الله تعالى لهم : فيقولون قال ﷺ

العدول الذين ليس عندهم هوى ـ الذين هم على شاكلة سيدنا عمـر فـيقول أحـدهم الحق ولو علي نفسـه ولو على ابنه ولو على ابنتـه ولو على امرأته قال سـيدنا عمر رضى الله عـنه : « تركنى الحق وليس لى صديق هؤلاء هم الذين سيكونوا شهداء يوم لقاء الله عز وجل على الأمم السابقة .

منزلة العلماء العاملين

هذا المقام العظيم جعل النبى يقول فينا : « **علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل** » فقد وصلوا لدرجة النبوة ولذلك فعندما كان يتكلم على الأنبياء كان يقول : «**إخوانى من الأنبياء والمرسلين** » وعندما يتكلم عنكم قال : « **واشوقاه لإخوانى الذين لما يأتوا بعد** » لم يقل أبنائى ولا أتباعى ولكن قال إخوانى الذين يأتون (واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد فسيدنا عمر قال له : ألسنا إخوانك يا رسول الله ؟ قال « **أنتم أصحابى إخوانى قوم يأتون فى آخر الزمان آمنوا بى ولم يرونى وددت أن الله يجمع بينى وبينهم عمل الواحد منهم بسبعين منكم قالوا بسبعين منا أو منهم يا رسول الله قال بسبعين منكم أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون** » [1] ولذلك قال الامام أبو العزائم رضى الله عنه :

مَنْ مثلكم والشوق أوصلكم إلى سر الأخوة مطلب الاصحاب

فجعلنا فى درجة النبيين والمرسلين .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى فى الأوسط عن أنس .

فضل الله على الأمة المحمدية فى الآخرة

ففضل الله علينا يا أخوانى برسول الله لا يعد ولا يحد يكفى أنه يقول لله عز وجل : لم جعلت أمتى آخر الأمم فى البعث وأولهم فى الحساب ؟ فقال رب العزة : « جعلتهم آخر الأمم في البعث حتى يطّلعوا على مساوئ الأمم ولا يطلع على مساوئهم وعيوبهم غيرى » وحتي لا يطول مكثهم في القبور » أنا أريد أن أخذهم من هنا إلي الجنه مباشرة ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم** ﴾ إلي أين إن شاء الله ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ [الآية (٣٢) النحل] وفي الآخرة جعلتهم فى الأول لماذا ؟ قال حتي لا يذوقوا أهوال الموقف والنشور لأن الموقف طويل خمسين ألف سنه فيها أهوال الموقف والنشور والحساب والعتاب واللوم والتوبيخ لكننا لنا حساب خاص حساب الأمم على الملأ علي المنصة وواحد واحد والكل يتفرج ليرى المساوئ التى عملوها وحسابنا نحن بيننا وبينه قال ﷺ : « **يُدْنى الله عز وجل عبده المؤمن من حضرته ويُكلمه بينه وبينه بغير ترجمان فيقرّره بذنوبه ثم يقول له : أنت فعلت هذا يقول نعم يارب يقول : ومن الذى سترها عليك فى الدنيا ؟ يقول : أنت يارب فيقول : أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ادخلوا عبدى الجنة برحمتى** » ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه** ﴾ [الآية (٨) التحريم] فليس لنا هناك خزى ولا فضيحة مَنْ الذى له الخزى من ذلك اليوم ؟ الذى يفضح نفسه ويتباهى بالمعاصى والذى يفتخر بغضب الله والذى يقعد بين الخلق ويفتخر أنه عمل الفحشاء والمنكر وغشّ هذا وضحك على هذا هذا الذى قال فيه : « **كل أمتى معافى إلا**

---

(١) رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما وأحمد والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر .

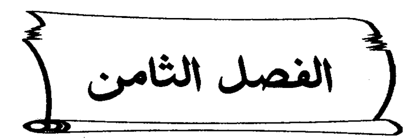
المجاهرين »[1] ففضل الله عز وجل علينا يا أحباب الله ورسوله ببركة رسول الله ليس له عدّ ولا حدّ .

نسأل الله عز وجل أن يكرمنا به في الدنيا والآخرة وأن يجعلنا له في الدنيا من خيار المحبين ومن أفضل المتبعين وأن يرزقنا أخلاقه وهداه في كل أنفاسنا حتى نلقاه عند موتنا فرحين مستبشرين آمنين مطمئنين ونكون يوم الدين من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما والبيهقي في سننه عن أبي هريرة .



بصيرة النبوة

- تكليف الرسالة والنبوة .
- عموم سالته .
- النبى الشاهد .
- فراسة المؤمنين .
- أنوار النبوة الكاشفة .
- سر اطلاع النبى علي أحوال أمته .
- حكمه استغفار النبى لنفسه وللمؤمنين .

بصيرة النبوة

الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذى جمّل الوجود بطلعة خير الوجود وأكمل على أوليائه وأحبابه النعمة فساق إلينا الخير وهو سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ والصلاة والسلام على سر الله المكنون ونور الله المضنون وغيب ذات الله عز وجل المصون سيدنا محمد الأمين المأمون وآله الذين طهرهم الله عن الأرجاس والشبهات والظنون وكل من سار على هديهم إلي يوم الدين آمين . آمين يارب العالمين .

أما بعد

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين :

ونحن في أيام الفرح بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ لا نجد أعظم ولا أكبر ولا أفضل من ثناء الله ومدح الله لحبيبه ومصطفاه فى كتاب الله عز وجل فإن الله هو الذى يعرف قدره وهو الذى سوّى شأنه وهو الذى بيّن وأظهر وأجلى نوره . هو الذى أثني عليه بما فيه لنعلمه ونعرفه فنشكر الله عز وجل على هذه النعمة التامة والرحمة السابغة وكان من جملة ثناء الله عز وجل علي حبيب قلوبنا ومفرج كروبنا وشفيعنا فى حشرنا ما استمعنا إليه الآن من أخى القارئ الكريم بارك الله فيه ومدح الله لحبيبه ومصطفاه فى الآيات التى استمعنا إليها اليوم كل كلمة منها تحتاج إلي سنين وشهور ودهور حتى نتبين مابينه الله لنا من أوصاف لحبيبه ومصطفاه على قدر عقولنا وعلى قدر ما تتحمله قلوبنا على قدر رسول الله ﷺ

كان هذا الدرس بالمسجد الشرقى بقرية العكايشة مركز سمالوط محافظة المنيا مساء الجمعة ٢٣ من ربيع الأول ١٤٢٢ هـ الموافق ١٥ / ٦ / ٢٠٠١ م .

فإنه لا يعـلمه إلا مولاه عـز وجل ومن هنا فإنى أقـول كمـا قال إمـامي الامام أبو العزائم رضى الله عنه :

على قدرى أصوغ لك المديحا ومدحك صاغه ربّى صريحاً

ومـن أنا يا إمـام الرسـل حتى أوفى قدرك السامى شروحاً

ولكنّى أحبّـك مـلء قلبـى فأسـعد بالوصال فتى جريحاً

وداوٍ بالوصـال فتـى مُعّـنى يروم القـرب مـنك ليستريحا

تكليف الرسالة والنبوة

فالله عـز وجل عندما اختـار نبيـه لنبوته وأمره بتـبليغ شريعـته أنزل له خطاب التكليف وفيه تعريف بمهمـات ووظائف هذا النبى الشريف صلوات ربى وسلامه عليه من الذى كلفه ؟ رب الـعزة عز وجل بأى شئ كلفه ؟ نحن جمـيعاً نظن أنه كلفه بأن يبلغ الرسالة ويعرفها لنا وفقط ولكن أمور التكليف كثيرة اسمعوها معى من الله وعـدّدوها معى ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك** ﴾ إنا هنا إشـارة إلى ذات الله يعنى إنا بجمـالاتنا وكمالاتنا وبهـائنا وضيائنا وقدراتنـا ونورنا وعظمتنا أرسلناك لنعرف أنه مؤيد بكل الأسماء والصفات الالهية وبكل أنواع العظمة الربانية وبكل الأنوار الظاهرة والباطنة الالهيـة لأن الذي أرسله هو الله عز وجل لماذا أرسلناك ؟ ﴿ **أرسلناك شاهداً** ﴾ هذه أول وظيفة ﴿ **ومبشراً ونذيراً** ﴾ هذه الوظيفة الثانية ﴿ **وداعياً إلى الله بإذنه** ﴾ هذه الوظيفة الثالثة ﴿ **وسراجاً منيراً** ﴾ هذه الوظيفة الرابعة ﴿ **وبشر المؤمنين** ﴾ هذه الوظيفـة الخامسة ﴿ **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضـلاً كبيراً** ﴾ [الآتيـان (٤٥ ، ٤٦) الاحزاب] وكل وظيـفة من هـذه الوظائف تحتـاج منا إلي سنين لنعـرف مـضمـونَ التكليف الذي كلـف به الله الحبـيب الشـريف ﷺ وكل وظيفة من هذه الوظائف للأمـة جميعها لمن قـبلنا ولنا ولمن بعدنا إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومَنْ أمته ؟ .

عموم رسالته

ومن أمته ؟ أمتـه كل النبيين والمرسلين وأممهم والملائكة المقربين والانس والجن وأهل عالين وأهل الأرض وكل العوالم لأن الله قال له :﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الآية (١٠٧) الأنبياء] فهو رحـمة لجمـيع العالمين والعـالمين كل ما سوى الله فكل ما سوى حـضرة الله عز وجل فهو من جملة العـالمين كالسموات والعـرش والكرسى والجنات والأرض كل هذا من جملة العـالمين والكل مـرحوم بسـيـد الأولين والآخـرين ﷺ ومن جـملتـهم كـذلك الناس من أول آدم إلي يوم القيـامة ومن أجل ذلـك قال له﴿ **وما أرسلناك إلا كـافة للناس**﴾ أى لكل الناس ﴿**بشيـراً ونذيراً** ﴾[الآية (٢٨) سـبأ] إذن رسـالة رسـول الله ﷺ لكل الكائنات ولجميع المخلوقات العلويات والسفليات التي خلقها بديع السموات والأرض عز وجل لذلك يروى : « أن سيدنا آدم عليه السلام عندما وقع فى الخطيئة وأهبط إلي الأرض قـال : يارب بحق محـمد إلا غـفرت لى فـقـال الله تعالى : يا أدم كـيف عرفت محـمداً ولما يأتى بعد ؟ قال يارب مـا نظرت إلى شئ فى الجنة إلا وجدت اسمه مـقروناً بجوار اسمك (لا إله إلا الله مـحمد رسول الله) فـعلمت أنه أعز الخلق عندك قال صـدقت يا آدم وإذ سألتنى بحقـه فقد غـفرت لك » وهناك رواية أخرى قال يـارب وجدت اسمه على كل شئ فى الجنة بجـوار اسمك على أوراق الأشـجار وعلى نحـور الحـور (على صـدورهم) وعلى القصـور وعلى أجنحـة الطيور وعلى كل شئ فى الجنة وجدت اسمه مقروناً بجوار اسمك وهذا سر قول رب العزة عز شأنه﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾[الآية (٤) الشرح] رفع الله ذكره فلا يقبل من أحـد قول لا إله إلا الله إلا إذا كان مـعها مـحمد رسـول الله ومن جملة

الوظائف التى ساقها الله عـز وجل فى آية اليوم لأن هناك وظائف أخرى فى آيات أخـرى وليـست هذه كـل وظائف النبـوة هناك وظائف أخـرى ذكـرها الله وهى وظائف الرسالـة قال فيـها﴿ **كما أرسلنا فـيكم رسولاً منكم** ﴾ ما عـمله معكم ؟ ﴿**يتلو عليكم آياتنا** ﴾هذه الأولى ﴿ **ويزكيكم** ﴾ هذه الثانية﴿ **ويعلمكم الكتاب**﴾ هذه الثالثة ﴿ **والحكمة** ﴾ هذه الرابعة﴿ **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾ [الآية (١٥١) البقرة] وظائف كثيرة لرسول الله وهناك وظائف للنبوة ووظائف للرسالة فـوظائف النبـوة التـى قلناها وهى لكل الأنبـيـاء وأممهـم والملائكة والجن والانس ووظائف الرسالة التى ذكرناها الآن لنا نحن لأنه كُلّف بالرسالة لأمته وإن كان هو في الحقيقة رسول المرسلين ونبى النبيين ﷺ على آله وصحبه أجمعين .

النبى الشاهد

فمن وظائفه أنه ﷺ شاهداً يشهد على الأنبياء وعلى أممهم ويشهد علينا كذلك يشهد على الأنبياء جميعاً وعلى أممهم يوم القيامة ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾[الآية (٤١) النساء] إذا من الذى يشهد على الأمم السابقة جميعاً ؟ رسول الله والذى يشهد لابد أن يكون قد رأى هل ينفع شاهد ما شافش حاجه ؟ لا لأنه يكون شاهد زور لكن من أجل أن يكون شاهداً حقاً لابد أن يكون علم واطلع ورأى بعينيه فالله عز وجل كاشفه وأطلعه على أحوال السابقين أجمعين وكلفه بأن يكون شاهداً على الأنبياء والمرسلين وعلى أممهم أجمعين يوم الدين والذى يشهد له رسول الله هو الذى يقبل شهادته الله والذى يشهد عليه رسول الله هذا يا حسرته على ما فرط فى جنب الله يوم لقاء الله عز وجل ونحن كذلك ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[الآية (١٤٣) البقرة] فهو يشهد علينا جميعاً كيف يشهد علينا ؟ لابد أن يصله تقرير يومى عنا كل يوم فيأتيه تقرير عن كل واحد من المؤمنين والتقرير بالصوت والصورة فيرى فيلماً كاملاً من لحظة استيقاظك من النوم إلي أن تنام ويمكن تصويرنا الذى نراه فى التليفزيون أو الفيديو يأتى بالصورة والكلام فقط لكن هذا الفيلم يظهر الصورة والكلام والنية داخل القلب أثناء العمل الذى أتوجه به للملك العلام عز وجل ويقصد بالنية هل أعمل هذا العمل لله ؟ أم لخلق الله ؟ ودليل هذا الكلام قول الحبيب ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه الامام البزار رضى الله عنه : « **حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تُعرض على أعمالكم كل ليلة فإن وجدت خيراً حمدت الله تعالى على ذلك وإن وجدت شراً**

يا بختنا برسول الله إذا وجد أننا عاملين خير وطاعة وذكر وشكر وعبادة لله يشكر الله أن ربنا وفقنا وإذا وجد مخالفات ومحظورات وآثام ومعاصى أعطاه الله التصريح وقال له ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ [الآية (١٩) محمد] فلا يقل أحد أن المؤمنين والمؤمنات على أيامه فقط فإن الله لم يحددها ولذلك فالمؤمنين والمؤمنات هنا إلى يوم الدين لأنه سوف يشهدعلي المؤمنين والمؤمنات الذين فى زمانه وعلينا أيضاً إلى يوم الدين .

فراسة المؤمنين

كيف يطلع علينا ويرى أعمالنا ؟ هذه أحوال خاصة وهو يقول لأمثالنا العوام العاديين يقول ربنا لنا « **لا يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتي أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ورجله التى يمشى بها ويده التى يبطش بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه** » إذا كان الذى مثلنا عندما يجتهد مع الله يرى بنور الله والذى يرى بنور الله ما مدى حدوده ؟ ليس له حدود يرى الذى بداخلك والذى بداخلى ويرى على امتداد المسافات لا يحجبه شئ كيف يرى الذى بداخلى ؟ نعم يا أخى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه كان جالساً فى مجلسه وهو أميرللمؤمنين وأحد أصحاب حضرة النبى كان قادماً إليه وأثناء مشيه إليه وهو فى طريقة نظرت عينه ودققت فى ساق امرأة ـ وهل لو أحدنا نظر فى عين أخيه يستطيع أن يعرف أين ينظر ؟ هل يستطيع أن يعلم بأنه يقرأ ويكتب ؟ هل يعرف بالنظر إليه أنه يجيد الانجليزى أو الفرنساوى ؟ هل يستطيع أن يعرف أنه مهندس أو دكتور أو محاسب عندما ينظر فى العين ؟ لكن الصالحين عندما ينظرون بنور الله يعرفون كل هذه الأمور والنبى ﷺ هو الذى قال لنا ذلك « **اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل** » [(1)] ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس** ﴾ [الآية (١٢٢) الأنعام] فيعرف ما في صدور الناس ـ فسيدنا عثمان عندما دخل عليه الرجل الصحابى الجليل قال له : « **أما يستحى أحدكم أن يدخل علىّ وفى عينيه أثر الزنا** » سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه رأى بنور الله

---

(١) رواه البخارى فى التاريخ والترمذى والطبرانى عن أبى سعيد .

النظرة التى نظرها هذا العبد لأمرأة وهو ماش في الطريق كيف ؟ هذا موضوع لا ينفع فيه كيف ؟ لكن ينفع فيه أن تجد وتجتهد حتى تصل إلى هذا المقام فتتمتع بهذا النور الذى بشر به المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام والذى ينكر ماذا نفعل له ؟ سيدنا الامام البوصيرى قال فى ذلك :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

فالذى عنده حمىّ عندما نحضر له عسلاً يقول هذا مر هل المرارة في لسانه أم فى العسل ؟ المرارة من المرض الذى عنده لكن السليم عندما يتذوق العسل يجد طعمه وحلاوته وأيضاً سليم القلب ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾[الآية (٨٢) الشعراء] سليم القلب يتذوق هذه الأنوار ويتمتع بهذه الأسرار ببركة اتباع النبى المختار ﷺ وكذلك سيدنا عمر عندماكان واقفا على المنبر وجيشه يحارب وبينه وبين الجيش أربعه آلاف كيلو متر وترك الخطبة فجأة وتكلم في التليفون ولكن ليس التليفون المحمول لأنه لا يوصل هذه المسافة تكلم على الارسال الالهى «**كنت لسانه الذى ينطق به** » قال : يا سارية قال : لبيك يا أمير المؤمنين قال له الجبل فنظر سارية خلفه وظهرة للجبل فوجد مجموعة من الأعداء آتين من خلف الجبل حتى يقضوا على الجيش من الخلف كان من كان جالساً من المؤمنين عندما سمعوا سيدنا عمر يقول ذلك تعجبوا ولكن هيبته كانت تمنعهم من الكلام فذهبوا إلي سيدنا على وقالوا له حدث كذا وكذا من سيدنا عمر اليوم قال لهم نسأله أولاً قبل أن نثير شائعات ونرى ماذا يقول ؟ انظروا إلي سلوك المسلمين الأولين كيف كان ؟ هذا هو السلوك يا اخواننا نسأله أولاً فقالوا يا أمير المؤمنين ماذا حدث معك على المنبر ؟ فقال لا شئ فقالوا سمعناك قطعت الخطبة وقلت يا سارية الجبل فقال لقد رأيت كذا وكذا فقالوا نسجل اليوم والتاريخ وننتظر إلى أن يأتى رسول سارية وبعد شهر جاء الرسول ومعه رسالة بأن المسلمين انتصروا في يوم

الجمعة فقالوا له كيف انتصرتم ؟ فقال سمعنا صوت عمر وهو يقول يا سارية الجبل فنظرنا وراءنا فوجدنا العدو يحيط بالجبل ويريد أن يهجم علينا من الخلف وببركه هذا الصوت أخذنا حذرنا ونصرنا الله عز وجل فإذا كان عمر ينظر بنور الله وينطق بلسان الله وعثمان ينظر بنور الله وغيرهم كثير من أصحاب رسول الله فكيف يكون حال رسول الله ﷺ .

أنوار النبوة الكاشفة

فرسول الله ﷺ أعطاه الله نوراً ينظر به إلينا أجمعين في نفس الوقت والحين ولا ينظر إلي واحد دون الآخر ولكن يرى الجميع في وقت واحد قال ﷺ : « **إن الله عز وجل جلىّ لى الدنيا كلها جلياناً في كفى هذا فأنا أنظر إليها في كفى هذه** » أى أنه ينظر إلى الدنيا فى كفه ﷺ كيف يرانا جميعاً والمسلمين كثير ؟ ربنا أعطانا مثال لذلك عندما أخرجه من مكه وذهب إلي المدينة ومن المدينة إلي بيت المقدس وفى بيت المقدس صلى بالأنبياء كلهم وصعد إلي السموات السبع سماء وراء سماء وفى كل سماء يسلم على الملائكة الموجودين فيها ويكلمهم وذهب بعد ذلك إلي الجنة ورأى ما فيها والنار واطلع على ما فيها وذهب إلي العرش والكرسى وتجاوز الكل وذهب كما قال رب الكل﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ [الآية (٩) النجم] ما مقدار هذه المسافات لا نقدر أن نحسبها لأنه قال ﷺ : « **بين السماء والأرض مسيره خمسمائة عام وعرض كل سماء قدر مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء وسماء قدر مسيرة خمسمائة عام** » صعد كل هذا ورجع وفراشه ساخن لم يبرد بعد أخذ كل هذه الرحلة فى دقائق معدودة من أجل أن يعرفنا الله أنه جعل لحبيبه ومصطفاه خصائص إلهية وأنوار كشفية وربانية يطلع بها على الأعمال الظاهرة والخفية كما أطلع بها على العوالم العلوية والعوالم الجنانية بأمر رب البرية عز وجل ولما نتمعن القرآن نجده يوضح حقائق غريبه يقول له الله فى هذه الرحلة ﴿ **واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا** ﴾ [الآية (٤٥) الزخرف] أى أسألهم جميعاً عما حدث معهم أى أن كل واحد كان معه جلسه لرسول الله فجلس مع أحدهم وسأله عن أمته وأحوالهم وعاد وفراشة ما زال

دافئاً أجلى لنا الله هذه الحادثة لنعرف أنه بربه سميع وبصير﴿ **إنه هو السميع البصير** ﴾[الآية (١) الاسراء] سميع بسمع الله وبصير بإبصار الله ويرى بالنور الذى جعله له مولاه عز وجل .

سر اطلاع النبى على أحوال أمته

فلماذا يطلع علينا كل ليلة ؟ لأنه إما يشهد لنا وإما يشهد علينا أجمعين ﷺ إذا مهمتـه معنا لم تنتهى وإنما هى ممتدة في الدنيا ويوم الدنيا كل ليـلة يصعد له تقرير لنعرف أن كل ما نقوله يطلع عليه ويسمعه فى آخر الليل فليراقب كل منا الله فيما يطلع عليه فيه رسول الله ﷺ وهو يرى ويكـتب التقرير وعندما يحسّ الانسان أنه أخطأ ويريد أن يـتـوب فـيكتب طلب إلي عـلام الغـيـوب ويقـول تـبت إلى الله ورجعت إلي الله وندمت على ما فعلت وعلى ما قلت وعزمت على أننى لا أعود إلى المعاصى أبداً ثم يكتب طلبا آخر ويقول استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأى طلب من أجل أن يقبله اللـه لابد حضرة النبي يوقع عليه وإذا لم يوقع عليه ويرفـعه لا تقبله الحضـرة الالهية **﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستـغفروا الله** ـ والذى يستغـفر الله يكفى ـ لا ـ **واستغفـر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾**[الآية ٦٤٠) النساء] واحد من أصـحابه ﷺ الجماعـة اليهود دعوا رسول الله ليحل مـشكلة بينهم فأخذوه وأجلسوه أمام بيت كبيـر وكان معه سيـدنا أبو بكر وسيدنا عـمر واتفقـوا اليهود مع بعـضهم أن يرفعـوا حجراً كبـيراً ويصعدوا إلي سطح المنزل ويسـقطوه عليه وقالوا : نقول قـضاء وقدر ولم يفطنوا إلي أن الوحى ينزل عليه فنزل سيـدنا جبريل وأبلغه بذلك فقام سـيدنا رسـول الله وترك المجلس وقام خلفـه سيدنا أبو بكر وسيـدنا عمر فقـالوا له يا رسـول الله لماذا قمت ؟ فحكى لهم ما دبروه أولاد القردة والنسانيس فتجمع المسلمون وذهبوا إلى هناك وكـان هناك رجل مـن المسلمينً هو سـيـدنا أبو لـبـابه رضـى الله عنه وكـان مصاحباً لليهود قبل الاسـلام فسألوه وقالوا له ماذا يريد أن يفعل المسلمون ؟ وهو لا يريد أن يتكلم فأشـار بإصبعه على رقبـته يعنى سوف يذبحونكـم وعندما أشار

بإصبعه قال في نفسه لقد خنت الله ورسوله وأبحت السر وتوجه إلي المسجد وربط نفسه في أحد أعمدته وجلس يبكي ويندم ويقول سأظل هكذا إلي أن يتوبْ الله عليّ ويبلغ النبي بالتوبة فأخبروا بذلك رسول الله فقال ولم ربط نفسه ؟ لم لم يأت إلي ويخبرني فأستغفر له الله عز وجل ؟ أي لماذا أتعب نفسه وفعل بنفسه ذلك فقالوا استغفر له يا رسول الله فقال : طالما اختار هذا الطريق يظل كما هو إلي أن يتوب الله عليه لم ذهب وربط نفسه ؟ لمِ لمْ يأت إلي فاستغفر له الله فيغفر له الله عز وجل﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ [الآية (١٩) محمد] .

حكمة استغفار النبى لنفسه وللمؤمنين

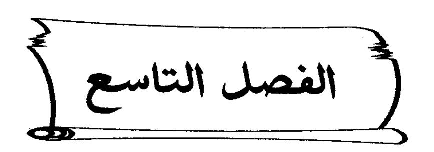
ما الـذنب الذى فعله رسـول الله ﷺ مع أنه معـصوم من الخطأ وحـتى لو ظن بعض الناس أن له ذنب فحتى يريحنا الله من هذا الاعتـقاد والرسول معصوم ولا يرد على خـاطرة الذنب ونحن يـرد على خـاطرنا الذنـب لكن الله يحـفظنا لأن الحفظ للأولياء لكن الأنبيـاء لا يرد الذنب حتى على بالهم وحتى لا نظن الذنوب قال له ﴿ **ليغفر لك الله مـا تقدم من ذنبك وماتأخر** ﴾ [الآية (٢) الفتح] ليعرفنا بأن استغفاره لذنوبنا ، من كانوا معـه فى حياته وذنوبنا نحن الذين تأخرنا عنه فقد استغفر لنا ليغفر لنا الله عز وجل فهذا فـتح فتحه الله له فإذا استغفر للمؤمنين في زمانه يغفر لهم الله وإذا استغفر للمؤمنين المتأخرين مثلنا عن زمانه أيضاً يغفر الله لهم والذى لم يستغفـر له يشفع له يوم القيامة فرسول الـله ﷺ شاهد على أعمالنا لماذا ؟ من أجل أن نستـغـفر الله ويسـتغـفر الله عـز وجل لنا ومن أجل أن يكتب التقرير إلي الله عـز وجل عنّا ولذلك قال لنا الله عندما نعمل نلاحظ قوله سبحانه : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ [الآية (١٠٥) التوبة] هو ورسولـه وسيرى هـذه في المستـقبل فـالعبـرة هنا أن الرسول مطّلع وشـاهد علينا وعلى ما نعـمله وإذا أنهى الواحد منا مـدته في الدنيا ويريدون أن يسـتخـرجوا له شهـادته من الذى يعتمـد هذه الشهادة ؟ حبـيب الله ومصطفاه ﷺ فـهو ﴿ **وخاتم النبـيين** ﴾ [الآية (٤٠) الاحـزاب] هو الخـاتم الذى يختـم بـه رب العـالمين على أعـمال النبـيين وأعـمـال المؤمنين من بدء الدنيـا إلي يوم الدين والذى يأخذ خـاتم رسول الله يا هناه ويا سعـده عند مولاه ويا مناه يوم خروجه من هذه الحـياة فهناك قـوم وهم خارجـون من هنا يسلمـهم الشهـادة الملائكة ﴿ **الذين تتوفـاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ [الآية (٣٢) النحل]

قال النبى ﷺ : « **يأتون إليه ويقولون له أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك أبشر بروح وريحـان ورب راض عنك غير غضبان** »[1] والمتفوقـون يأتى إليهم رئيس ملائكة الموت عزرائيل بنفسه من أجل أن يسلمهم الشهادة والذين اصطفاهم الله وطهرهم واجتباهم يأخذواالشهادة من يد الحبيب صلوات ربى وسلامه عليه فيستقبل الرجل منهم عند خروج روحه ويسلمه الشهادة بنفسه واحد من أصحاب رسول الله ﷺ توفى في زمن سيدنا عمر بن الخطاب وكان اسمه الربيع بن خراش رضى الله عنه ومات وغطوه وخرجوا لتجهيز الكفن والمدفن وغير ذلك وبعد انتهائهم إذا به يرفع الغطاء ويجلس ويقول يا أخواته عجلوا غسلى وتكفينى فإن رسول الله ﷺ قد حضر للصلاة علىّ أى جاء ليسلمنى الشهادة ويصلى علىّ بنفسه فذهبوا وقالوا هذا الكلام للسيدة عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **سيتكلم رجل من أمتى بعد الموت** » وهذا يعرفنا أن رسول الله يستقبل المصطفين الأخيار بذاته ويسلمهم الشهادة ويصلى عليهم لأن ربنا قال له ﴿ **وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ [الآية (١٠٣) التوبة] وهل هذا لمن فى زمانه فقط ؟ وماذنبنا نحن ؟ لماذا لا يصلى علينا مع هذه الآية ؟ إنه يصلى على الكل وعلى المبرّزين الصالحين والذين شهد لهم وأصلح الله أعمالهم وأبرز لهم من خزانة القدرة شهادة مكتوب عليها بمداد القدرة﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** ﴾ [الآية (٣٢) فاطر] والله قال له﴿**وبشر المؤمنين** ﴾[الآية (٢٢٣) البقرة] هذه هى الوظيفة تبشرهم أنت بنفسك بالجنه وبفضل الله عز وجل فيارب لك الحمد ولك الشكر على أن جعلتنا من أمه الحبيب المصطفى وعلى أن خصصتنا بالصفا والوفا واسألك اللهم بجاهه ﷺ عندك أن لا تدع لنا أجمعين ذنباً إلا غفرته ولا هماً إلا فرجته ولا كرباً إلا كشفته

(١) رواه البخارى ومسلم وأحمد والبيهقى والنسائى عن كعب بنماللك .

ولا مرضاً إلا شفيته ولا ديناً إلا سددته ولا حسوداً إلا كبتّه ولا عدواً إلا أخزيته ولا مهموماً إلا فرجته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضا ولنا غنى إلا وقضيتها ويسرتها بفضلك وجودك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم



النهج النوراني في متابعة رسول الله ﷺ

- استحضار صورة الحبيب المعنوية في القلب
- تعلق الصحابة الكرام بذاته الشريفة
- منهج الصحابة الكرام في متابعة رسول الله

حب النبى محمد العدنان أصل الوصول لحضرة الديان

طالما أن حب رسول الله ﷺ الحقيقى كما يجب وكما ينبغى موجوداً فى قلوبنا فلن نضل فى حياتنا ولن نخزى غداً إن شاء الله يوم حشرنا وأعداء الإسلام قاتلهم الله عز وجل عرفوا هذه الحقيقة منذ بعثته صلوات ربى وسلامه عليه فكان كل همهم أن يقطعوا صلة المؤمنين بنبيهم ولذلك لم ولن يوجد شخص فى الوجود تعرض لهجمات ولا افتراءات كما تعرض له سيد الوجود ﷺ فقد اجتهدوا ودسّوا هذه الأفكار لأناس تظاهروا بالإسلام وجعلوهم يرددونها كى يكون الذى يهدم الإسلام أناس اسمهم مسلمين فساعة يقولون أنه مثل ساعى البريد أحضر الرسالة وخلاص وانتهت مهمته فكيف يكون شاهداً علينا ؟ وإذا كانت انتهت مهمته كيف يكون خاتم المرسلين ؟ إن هذا دليل على أن دولته قائمة وممدودة وزمن بعثته غير محدود إلى انتهاء الوجود لكن لكى ينسى المؤمنون نبيهم ﷺ وساعات يقولون وللأسف نسمع هذا الكلام من المسلمين إنه بشر مثله مثلنا فالأمور التى جاء بها من عند الله على العين والرأس لكن الأمور البشرية مثلنا مثله . يقولونها باللفظ غير المهذب رأسنا برأسه ويتعللون بهذه الآية ﴿**إنما أنا بشر مثلكم**﴾[الآية (١١٠) الكهف] مع أننا أوضحنا حقيقة البشرية لحضرته فى ثنايا هذا الكتاب فقلنا مثلكم يعنى يعد لكم جميعاً وهل بشريته كانت مثل بشريتنا ؟ من الذى قال ذلك ؟ فحتى فى البشرية الظاهرة فأوصافه ﷺ الباهرة من الذى يدانيها فى البشرية ؟ لا يوجد .

أحيـاناً يقولون أطيعـوه فى الصلاة والزكاة والصـوم والحج وأمور الدين لكن أمور الدنيـا فقد قـال لكم فيـها «**أنتم أعلم بأمـور دنياكم**» وهو الذى قال ذلك . إنهم لم يفـهموا الحـديث على وجهـته السـديدة والرشيـدة وقد فصلنـا بيان هذا الحديث فى فصول هذا الكتاب .

استحضار صورة الحبيب المعنوية فى القلب

فـرسول الله ﷺ يـنبغى على كـل مسلم أن تكـون صورته المعنويـة الروحانيـة النورانيـة فى أفق القلب لـكل مؤمـن ظاهرة وجليـة أنت تعلق فى بيـتك صـورة الأعزاء عليك أبوك ، أخوك ، أنت والبيت الداخلى (القلب) مُغلق فيه صورة مَنْ ؟ صورة رسـول الله ﷺ فعندما أضعـها فى القلب يتعلق القلب بهـذه الأوصاف الكمالية المعـنوية وأصبح هذا مثاله وطبيـعة الإنسان لابد له من مثـال أمامه يمشى مثله فالمسلمون الآن فـقدوا المثال فأصبحوا يتشـبهون بأهل الغفلة من أهل أوروبا وأمريكـا كما يصنع شـبابنا وأولادنا لأن المثـال الحق ضاع من القلـوب والصدور فـمنهـم الذى يمثل لاعب الكرة والذى يمثـل الممـثلين والذى يمثل المـغنين هذا هو الحاصل أمـامنا لماذا ؟ لأن النماذج الكريمة لم تعـد موجـودة فى الصدور ولا يروا إلا الذى أمام أعـينهم الحسّية لأن العين الداخـلية غير مـفتوحة ولو فُـتحت لرأت أبهى جمال وخـير كمال وأسطع مثال خلقـه الله عز وجل للأولين والآخرين بلا ظل أو ظلال وأنت نفـسك فى الوقت الذى أنت فيـه فاكر رسـول الله وهو على بالك تجـد أنك تبحث عن عـمل من أعـمال البـر وتصحـح نيتك عند كل عـمل سوف تعـمله تبحث عن الخيـر من أجل أن تفعله وإذا غابت الصـورة تبحث عن الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات من حلال أو من حرام لا يهم لأن الصورة

غائبة فميزان أحوالنا وميزان أعمالنا هو رسول الله ﷺ ولذلك دائماً المؤمن يجعله منه على بال إلى أن يصل الأمر بالمؤمن من شدة استحضاره إلى الحضور فيراه ﷺ حتى فى الأشياء العادية لشدة شغله به فأنت عندما تكون تحب شخصاً تجده وأنت ماش فى الطريق على بالك ولو رأيت رجلاً قريباً منه تقول هذا فلان ، رأيت رجلاً آخر قريباً منه تقول هذا فلان وهو ليس هو ولكن فى ذهنك النموذج الذى تحبه فهذه الحالة التى يمشى فيها السالك الروحانى الذى يريد أن يصل إلى المقام الربانى .

تعلق الصحابة الكرام بذاته الشريفة

فسيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وهو طفل صغير تعلق بسيدنا رسول الله ﷺ وسلم وقد تعلق به من كلام أبيه وكلام أمه وكلام اخوته والنبى عرّفنا ذلك المنهج فقال لنا : **«أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب القرآن وحبى وحب آل بيتى»** (١) خذ بالك من الحديث لم يقل علموا ولكن قال أدبوا أى أن هذه الأمور تحتاج إلى التأديب عندما يرونى فى هذه الأحوال وينبهروا بى ويعجبوا بى فسيكونون معى على المنهج إذاً الأساس كى أجعلهم يسيرون معى أن أوجد أولاً رابطة حب بينى وبينهم وابنى عندما يحبنى تجده من نفسه يريد أن يكون صورة منى من غير كلام منى لكن إذا كان لا يعجبه تصرفاتى ولا يعجبه سلوكى ولا يعجبه أحوالى ولا يعجبه أعمالى فحتى لو قلت له اعمل كذا وكذا لا يعمل وإذا عمل كان ذلك تظاهراً من أجل أن يرضينى لكنه فى داخله غير مطمئن لهذا

(١) رواه الديلمي في الفردوس والشيرازي في فوائده وابن النجار عن علي رضى الله عنه .

العمل أما أصحاب رسول الله فكيف حبّبوا أولادهم فى رسول الله ؟ بأن جعلوا حياتهم كلها معلقة برسول الله فإذا تكلم الرجل مع زوجته فإنه يتكلم عن رسول الله وإذا زاروا بعضاً ففى جلساتهم العائلية يكون الكلام أيضاً عن رسول الله وإذا تكلموا على عمل يتكلمون عنه من منظور الإيمان وكيفية تطبيقه من رسول الله فسيدنا عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما تعلق به بعدما سمع عنه والنبى كان متزوجاً من خالته السيدة ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها فقال لها يا خالتى أنا أريد أن تأذنى لى أبيت عندك ليلة من أجل أن أرى النبى ﷺ وهو يتعبد لربه فى الليل كيف يتعبد ؟ وتعلق بهذا الأمر وكان سنه سبع سنوات وكان بيت خالته لا يوجد فيه غير غرفة واحدة فكل واحدة من زوجات النبى كان لها حجرة واحدة فقط فرقد فى ركن فيها وتظاهر بالنوم ليرى ماذا يفعل رسول الله حتى يعمل مثله فقام رسول الله وتوضأ وعندما رآه يتوضأ نظر إليه وبعدما توضأ ذهب لنفس المكان الذى توضأ منه رسول الله وتوضأ مثله وعندما وقف يصلى وقف بجواره ولكن كان عن شماله لأنه لا يعرف فأخذه رسول الله عن يمينه وهو فى الصلاة وصلى بصلاة رسول الله ﷺإلى أن تعلق بذاته النورانية فى كل أموره فحدثت له الشفافية ولا يوجد طريق آخر للشفافية غير هذا الطريق فليست بالنظر فى الكتب ولا بالسهر والتهجد والحركات والسكنات ولا بالأفعال ولا بالأعمال وإنما بالتشبه بسيدنا رسول الله ﷺ : **﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾** [الآية (٣١) آل عمران] والمقصود بالمتابعة هنا أن تكون شاملة كاملة وليست المتابعة فى الصلاة فقط كأن نتابعة فى الصلاة ونترك المتابعة فى المعاملات فهذه ليست متابعة صادقة وكذلك لو نتابعه فى الظاهر والباطن الله أعلم به لكن المتابعة الحقيقية أن نتابعه فى السوق كما نتابعه فى الصلاة فلابد أن تكون المتابعة كاملة فى كل حركاته وسكناته وغدواته وروحاته بكل جوارحنا فالبصر يتبع بصره

والأذن تتابع أذنه وكذلك اليد وكذلك الرجل تكون على قدمه فيكون المرء صوره على قدره من حبيب الله ومصطفاه فى وقوفه بين يدى مولاه عز وجل فسيدنا عبد الله بن عباس وصل لحالة من الشفافية جعلته دخل يوماً على رسول الله وأصحابه حوله وهو طفل صغير وهم رجال كبار فرأى سيدنا جبريل وهو يتكلم معه فذهب إلى والده وقال له رأيت رجلاً شديد بياض الثياب شديد بياض الوجه يتحدث مع ابن عمى فأخذه أباه وذهب لرسول الله وقال له عبد الله يقول أنه رآك تتحدث مع رجل لا يعلمه فسأله ﷺ ماذا رأيت ؟ فوصف له ما رأى فقال هذا جبريل ومادمت رأيته فلن تموت حتى تفقد بصرك ما الذى جعله يصل لهذه الشفافية ؟ استحضاره لصورة حضرة النبى على الدوام حتى أنه دخل بعدما انتقل النبى ﷺ إلى الرفيق الأعلى على خالته ميمونة وكان عندها مرآه قديمة فقال لها ما هذه ؟ قالت له هذه المرآة التى كان رسول الله ينظر فيها فنظر فيها وقال ياخالتى هذا رسول الله فى المرآة قالت أين ؟ قال لها فى المرآة فرأى رسول الله أمامه فى المرآة لماذا ؟ من شدة استحضاره لجمال أنواره ﷺ لأنه ﷺ كما قال فيه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

فروحى لم تغب والروح نـــور تواجه من أُحبّ بنور نـــورى

فروحه لم تغب من الوجود وربنا عز وجل لفت نظرنا لهذه الغاية النبيلة ووجهنا إليها وقال لنا : ﴿**واعلموا أن فيكم رسول الله**﴾[الآية (٧) الحجرات] ساكن داخلكم فى القلب لكنكم أنزلتم عليه ستائر الحظ والهوى وجاءت الدنيا بترابها وغبارها فسترته ولم تعودوا ترونه ولذلك فلا تعرفون الطريق المستقيم ووقعتم فى الحيرة فى المنهج الذى تمشون عليه هل تقلدون أمريكا أم ألمانيا أم اليابان ؟ لاندرى لأننا سترنا صاحب الصورة الكمالية الذى جعله الله عز وجل

باب سعادتنا فى الدنيا وباب فلاحنا وفوزنا يوم الدين ولن تنتبه أمة الإسلام إلا إذا كان المصطفى فى قلوب أهلها على الدوام وكلما يقع الإنسان فى ضائقة يستحضر حضرته عندما كانت تمر به الفتن والزلازل والضوائق فيكون كما قال النبى ﷺ قال : «**طوبى للمخلصين بربهم تمر بهم الفتن كقطع الليل الظلماء تنجلى عنهم كل فتنة عمياء يعيشون فى عافية ويموتون فى عافية ويبعثون فى عافية**» لماذا ؟ لأن استحضار رسول الله يجعل الإنسان على طول ماشى وراءه والذى يمشى وراءه على الفور يأخذ نصيبه من ميراث حبيب الله ومصطفاه ﷺ إذاً جهاد النفس فى إزالة اللبس ثم استحضار الأوصاف المحمدية والكمالات الأحمدية على الدوام وليس معنى استحضاره أننى فى البداية استحضر ذاته الشريفة فهذا مقام صعب علينا لكننا على الأقل نستحضر أعماله ونتذكر أقواله فنستحضر كيف كان يمشى وكيف كان يتناول الطعام ولو مشيت على هذا الهدى النبوى فلن احتاج إلى دعوة أحد بلسانى إلى الله لأنى سأصير صورة محبوبة كل من يراها يحب صاحبها بأمر الله عز وجل وكان الكافرون أنفسهم يتعجبون من ذلك وقد قال سيدنا على عن رسول الله ﷺ : «**من رآه بديهة هابه وأحبه**» فالذى لا يحبه مَنْ فى نفسه غرض أو مرض لكن الذى يراه على البديهة يحبه على الفور صلوات الله وسلامه عليه وعندما توسّط عروة بن مسعود الثقفى فى الصلح بينه وبين قريش فى صلح الحديبية ورأى إخوانه وكيف يتقاتلون على محبته قال لهم : يا معشر قريش لقد زُرْت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاش فى ملكه وما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد . فهل يعقل أن تمشى على منواله ولا يحبك أهلك وولدك ؟ مستحيل إذاً فما الفصام الذى جاء بيننا وبين أولادنا ؟ نحن سالكون على خط وهم سالكون على خط آخر لأننا لسنا على الصورة الجادة . نحن نمشى على الهوى ونقول أننا نأخذ الدواء وهذا لا ينفع

فالمريض الذى يمشى على هواه ولم ينفذ تعليمات الطبيب هل يُشفى ؟ لا كذلك الأمر فلا تأمر أولادك ولا تنهاهم إلا بقدر وبرفق وبلين فسيدنا رسول الله كان يداعب أولاده وكان يجعل نفسه للحسن والحسين جملاً ويركبون عليه ويقول أحد أصحابه للحسن والحسين عندما رأهما يمتطيان ظهره ﷺ نعم الجمل جملكما فقال ﷺ : **«ونعم الراكبين هما»** والأمر يطول إذا أردنا أن نشرح هذه الحقائق فى تربية رسول الله لأولاده لكن كل المقصد أن تتعلق القلوب بحضرته فعندما تكون على صورة حبيب الله ومصطفاه كل الذى يراك يتعلق بك ويود أن يقْتدى بك ويهتدى بهداك لكن إذا كنت تاركاً لرسول الله وقلبك من الداخل معلق بالدنيا وهمك كله فى الحصول على شهوات وحظوظ وأهواء الدنيا فحتى لو تعلقت بالآخرة فمرادك من هذا أن يصير لك دنيا كأن تصير شيخاً لك مريدين وكرامات يذيعونها فى الشرق والغرب وهذا حب الظهور وهذا كله أصبح دنيا .

منهج الصحابة الكرام فى متابعة رسول الله

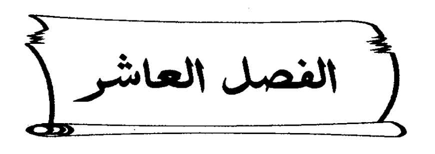
هذا هو المنهج الذى مشى عليه أصحاب رسول الله ﷺ أنهم فى ذاتهم أدّبوا ذواتهم أولاً بالصورة المحمدية فإذا همّ أحدهم أن يغضب تقول له نفسه سيدنا رسول الله كان لا يغضب لنفسه قط لا يغضب إلا إذا انْتُهكت حرمات الله عز وجل هذا هو المقياس الذى تقيس به غضبك وعندما يجزع عند نزول مصيبه تقول له سيدنا رسول الله ﷺ كان يقول : **«إنما الصبر عند الصدمة الأولي»**[1] لماذا تترك الصبر وتذهب للجزع ؟ فيظل ماشياً على هذا المنوال وعلى هذا المنهاج وكلما يريد أن يشرد هنا أو يمشى ها هنا ترده السنة وإتباع السنه من يا اخواننا فينا قلبه

---

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أنس .

متعلق بحبيب الله ومصطفاه ومستحضر صورته ويريد أن يمشى على منهجه وخطاه ؟ الذى هو كذلك يستبشر ويُبشر نفسه ، بأنه من عباد الله الذين اختارهم الله عز وجل لولايته وسيكون عاجلاً أو آجلاً من أهل معية حبيب الله ومصطفاه أما الذى يريد أن يمشى على هواه ويأتى بمبررات وتبريرات لأعماله من سيرة رسول الله فهذا والعياذ بالله كان منهج المنافقين وهم كانوا غير صادقين ولذلك كانوا يحاولون الاعتذار ويحاولون الاجتهاد فى الكلام لأنهم لا يستطيعون المشى على الجادة حول رسول الله ﷺ وبعد ذلك يأتون بالتبرير لكن المؤمنين الصادقين قال لهم الله ﴿ **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾ [الآية (٣٦) المرسلات] فنفسه لا تأذن له أن يعتذر وقلبه لا يسامحه لو اعتذر لأنه عرف أنه أخطأ فهذا ميزان أهل القلوب وهذه السنارة التى تخطف القلوب ولا تتركها إلى أن تواجه الحبيب المحبوب بعد استحضار الجمالات المحمدية والأوصاف الكمالية وهذا أمر ليس فيه خلاف بين السابقين واللاحقين وكل الذى يحاول أن يبعدك عن هذه الصورة بأى صورة تعلم أنه خبّ ولئيم أو شيطان رجيم لأنه يبعدك عن الرءوف الرحيم ﷺ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



حقيقة الإمام المبين

- الوارث الفرد الجامع
- وسعه العطاء المحمدى

حقيقة الإمام المبين

سؤال من أحد المحبين ؟

ما المراد بالإمام المبين فى قول الله تعالى :**﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾** [الآية (١٢) يس] ؟

هل الإمام المبين هو الوارث ؟

أجاب الشيخ :

﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾ لم يقل الله عز وجل فى كتاب لكن فى إمام والإمام المبين هو سيدنا رسول الله ﷺ فهو المُفصِّل لبيان الكتاب وهو الكتاب الحى فالأول كتاب مسطور وهذا كتاب منظور لأنه كان قرآناً يمشى بين الناس فكل شىء أحصاه الله فى ذات حبيب الله ومصطفاه . كل شىء فى الوجود من قبل القبل إلى ما بعد البعد قبل زمانه وبعد زمانه إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها مبثوث فيه فيكون هو الإمام المبين أما الوارث ففيه ما يتعلق بزمانه من كتاب رسول الله ﷺ لكن ليس له شأن بالذى قبله أو الذى بعده إذاً حقيقه الكتاب المبين هو سيدنا رسول الله لأن فيه كل ما يتعلق بالأولين والآخرين ومن قبل القبل وبعد البعد إلى نهاية النهايات لكن الوارث يأخذ منه الصفحات التى تتعلق بزمانه فقط قال سيدنا رسول الله ﷺ : **«إن الله يكره لكم أن تبيّنوا كل البيان أتريدون أن يكذب الله ورسوله»**(١) حتى كلام الله وضحه الله ولكنه ترك كلاماً بين السطور

(١) رواه البخارى والديلمى في الفردوس والخطيب في الجامع عن على رضى الله عنه بصيفه «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله» .

يقـرأ بعين النور وكل واحـد يقـرأ على حـسب ما عنده مـن نور لكن لو بين كل البـيان ما اخـتلفنا فى آية من الآيات القـرآنية وأيضـاً كل كلام سـواء للعـقول أو للأفـهام أو للقلوب أو للأرواح لابد أن يكون له فى العـالم المستـور غيـر المنظور تأويل وتفاسير يأخذها المحبون على قـدر حبهم وعلى قدر ما عون قلوبهم وعلى قدر ورودهم على إمـامهم وعلى شـيخهم وهذه حكمـة الله عز وجل . مـا الأمر الذى تحكيـه ولا يحتـاج بعده إلى تفـصيل ؟ أين هذا الأمـر ؟ لا يوجد حـتى أننا أحـيـاناً يتكلم الرجل مع زوجـتـه كـلام عـادى أو مع أولاده يقـول أنا أريد كـذا فيذهـب ويعمل بعكس ما قيل وإذا سُئل يقول أنا فهمت من كـلامك كذا وأنت تقصد شىء وهو يقصـد شىء آخر حكمة الله عز وجل من أجل أن يبين أن الكل ممد من سـيد الكل وأصل الكل ﷺ فـهو أم الكتـاب المنظور**﴿وعنده أم الكتاب﴾** [الآية (٣٩) الرعد] أو **﴿وإنه﴾**ﷺ عندنا فى مـقـام العندية **﴿فى أم الكتاب لدنيا لعلى حكيم﴾**[الآية (٤) الزخرف] مـقامه عـالى ومقامه حـكيم ، يأتى الغلاة فى الشيعة يقول سيدنا على هنا **«لعلى حكيم»** يعنى مقصوداً بها سيدنا على فى الآية ويستندوا بهـذه الأية بأن النبوة كانت لسيـدنا على فأخطأ سيدنا جـبريل ونزل بها على سيدنا محمد انظر إلى الشطط فى الاجتهاد يصل إلى درجة الكفر . فالرجل الحكيم هو الـذى يصل للمـراد الذى يريده رب العـبـاد فـى كـلام الله عـز وجل ولذلك كانوا يقـولون ليس الشأن أن تفهم القرآن ولكن الشـأن أن تعلم مراد الله فى القـرآن أى ماذا يريد الله ؟ لكن أنت مـاذا تريد لا ينفع وهذه نقطة مـهمـة فى السيـر والسلوك إلى الله عز وجل وكـذلك ليس المهم أن تعرف مـاذا تريد ولكن المهم أن تعـرف مـاذا يريد منك الله ؟ بـذلك تكون وصلت وإذا أردت أن تفـهم نفسك يكون الموضوع خطر ومزلقـة أقدام . المهم تعرف ماذا يريد الله وهذه نقطة جوهرية يحـرص عليها كمل المريديـن فسيدنا رسـول الله هو أم الكتاب والرسل

والأنبيـاء والأولياء الوارثـين والصالحين الكـاملين صفـحـات مـسطورة من هذا الكتـاب أى مصورة كل رجل يصـور له من هذا الدسـتور الذى يناسبـه **﴿والطور وكتاب مسطور فى رق منشور﴾**[الآيـات (١، ٢، ٣) الطور] وهو رسول الله ﷺ وبعدها **﴿والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور﴾** [الآيات (٤، ٥، ٦) الطور] هذه حقائق أخرى فى رسول الله ﷺ فـهو الكتاب الذى سطّر الله فيه كل شىء فى حقيقته النورانية وكل واحـد من الأنبياء السابقين والورثة اللاحقين أخذ أو تنزل له من قرآن الله **﴿ ونتزل من القرآن** ـمن هذا الكتاب فى كل زمان **ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾**[الآية (٨٢) الاسراء] فى هذا الزمن فينزل على قدر أهل الزمن لكن هذه نسخـة ليس لها تكرار ولا يستطيع أحد أن ينسخ أم الكـتاب كلها أو يصور الكتـاب كله له لكن كل رجل يأخـذ المناسب لزمانه وعـصره وأوانه من كتـاب رسول الله ﷺ هذا بالنسـبة للورثة رضى الله عنهم وأرضـاهم ولذلك قال الله تعـالى::**﴿ثم أورثنا الكتاب﴾** من **﴿الذين اصطفينا من عـبادنا﴾** [الآية (٣٢) فاطر] كلهم ورثوه كل رجل أخذ جزءاً لأنها وراثة ولـم يأخذها كلها أحد لأن كل واحد له نصيب .

الـوارث الفـرد الجامـع

فليس هناك وارث كلى إلا رسـول الله ﷺ هذا هو الوارث الفرد الجـامع لكن هناك واحد فى كل زمن هو الذى يوزع على إخوته لأنه كبيرهم يأخذ نصيبهم فى زمنه ويوزعه عليهم لكن لا يرث من قبل القبل ومن بعد البعد بل يرث نصيبه هو وإخوته فى زمنه فقط مثال ذلك رجل تزوج أربعـة وكل امرأة أنجب منها سبعة أو ثمانية فيقولون فلان بن فلانه يأخـذ نصيبه ونصيب أخوته من تركة أبوهم ويوزعه عليهم لكن لا يأخذ التركة كلها لأن هناك غيـره له نصيب فى التركه فتركة رسول الله الروحانية والنورانيـة للسابقين والمعاصرين واللاحقين كل واحد يأخـذ نصيبه هو وإخوته الذين معه فى زمانه وعصـره وأوانه ويوزعه عليهم لأنه هو أميرهم أو هو الفرد الجامع الذى يجمعهم يجـمع حقائقهم ويجمع ذواتهم ويجمع عطاؤهم ويعطيه لهم لكن ليس له شأن بعطاء السابقين ولا عطاء اللاحقين لأنها ليست من حـقـه وإلا يكون صـورة مكررة من سـيد المـرسلين وهذا لا يجـوز أبداً هل هناك صورة مكررة لرسول الله ﷺ ؟ كلا وهذه النقطة التى يغلط فيها كثير من الصوفية لأنه لا يوجد صورة كاملة من رسول الله ﷺ بدءاً ولا ختماً وإنما كل رجل صُورة على قدر الزمن الموجود فـيه ويأخذ نصيـبه المقرر لهذا الزمن ويوزعه بمعـرفته لأن صورة رسـول الله لا تُكرر هل أحـد يستطيع أن يكررها ؟ مـسـتحيل لا من قـبل القبل ولا من بعد البعد هذه صورة فريدة ﴿ **ألم يجدك يتيماً** ﴾ [الأية (٦) الضحى] يعنى فريداً ليس لك شبيه ولا مثيل وهم يتشبـهون ببعضك كل واحد يتشبه بجزء منك لكن لا يستطيعون التشبه بالكل مثال آخر رجل باشا من البشوات عنده ألف فدان وعنده عشر عمارات وأولاده عشرة هل واحد منهم يكون مثل أبيه ؟ لا لأنه لن يملك ألف فدان بل يـأخذ مائة فقـط من الألف ويأخذ عمـارة واحدة لكن من

الذى يأتى مرة أخرى ومعه ألف فدان وعشر عمارات ؟ لا يوجد لأنهم كلهم يرثون هذه التركة كذلك تركة رسول الله لا نرثها نحن فقط ولكن أنبياء الله السابقين ورسل الله أجمعيّن وكل العلماء العاملين والصديقين والشهداء والصالحين من بدء البدء إلى نهاية النهايات لهم ميراث فى رسول الله والذى يأتى ويقول أنا ورثت كل شيء من رسول الله نقول له أخطأت النظر أو الفهم لماذا ؟ يعنى على الأقل هل يوحى إليك ؟ لا ، هل يأتى لك قرآن جديد ؟ لا ، هل أنت إمام الأولين والآخرين ؟ لا إذاً فأين تشاركه فليس له شبيه ولا مثيل فى كل هذه الأمور من الذى يشابهه فى بشريته ؟ لا يوجد كلنا يقف علينا الآن الذباب من الذى لا يقف عليه الذباب ؟ رسول الله لأنه كان لا يقف عليه الذباب ومن الذى ليس له ظل ؟ سيدنا يوسف ورث جزء بسيط وقال له أنت ورثت النصف والذى ورث النصف تحير فيه الجميع **«لقد أعطى يوسف شطر الحسن»**(1) نصف الحسن الظاهر لرسول الله هذا ميراثه وليس كله والنصف الظاهر فقط لكن الباطن موجود موزع على الباقين كل واحد يأخذ نصيبه كل فرد من الأولين والآخرين له نصيب فى حسن رسول الله الظاهر أيضاً كل واحد له ملمح خاص وشكل خاص انفرد به ميراثاً من رسول الله ﷺ وكذلك سيدنا سليمان قال : **﴿رب اغفرلى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى﴾** [الآية (٣٥) ص] والملكوت ؟ قال الملكوت ليس لى ولم أقدر عليه لأنه لرسول الله فطلب شيئاً فى الملك فقط فأخذ نصيبه فى عالم الملك أما الذى أخذ نصيبه فى عالم الملكوت سيدنا إبراهيم **﴿وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾**[الآية (٧٥) الأنعام] والذى أخذ المكالمة **﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾**

(١) رواه ابن أبى شيبه وأحمد وأبى يعلى والحاكم والبزار عن أنس .

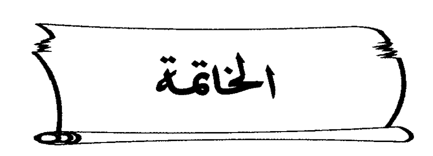
[الآية (١٦٤) النساء] والذى أخذ الروح سيدنا عيسى كل واحد أخذ له نصيب كل هذا من إنسان عين الوجود ﷺ لكن من الذى يستطيع أن يحمل أعباء الإنسان الأكمل ﷺ وسلم فى السابقين أو فى اللاحقين ؟ هل أحد يستطيع تحمل ذلك ؟ لا .

وسعة العطاء المحمدى

فلا تسمع ممن يقول لك الوارث الكامل يعنى هو صورة رسول الله لا بل هو صورة من صور رسول الله فيه جزء من وراثة رسول الله لكن من الذى يحوى هذه المعانى كلها ؟ لا يوجد لأن سيدنا رسول الله ﷺ لا يعلم مداه إلا مولاه عز وجل عندما يقرأ **﴿وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً﴾** [الآية (١١٣) النساء] عليك وليس عليكم هل نأخذ هذه كلها أم جزء منها ؟ هذا يأخذ نصيبه من فضل الله وهذا يأخذ نصيبه من فضل الله لكن من الذى أخذ العطاءات كلها رسول الله ؟ أو هل هناك أحد يأخذ فضل الله كله الذى أعطاه ربنا لرسول الله ؟ أين هو وهذا لم يحدث مع الذين كانوا حوله لأنه وزع التركة وهو موجود وأعطى لكل واحد نصيبه هل أخذ أحد نصيب كامل ؟ لا **﴿ولقد آتيناك﴾** وحدك **﴿ سبعاً من المثانى والقرآن العظيم﴾** [الآية (٨٧) الحجر] هذا عطاء خاص بك **﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾** [الآئة (١) الكوثر] مَنْ الرجل الآخر الذى يأخذ الكوثر هذه تكون شطحات يشطحها أهل الطريق ويقولون فلان الفلانى وارث لرسول الله وهو صورته . وهو صورة رسول الله ما هذا الجهل ؟ وما هذا العمى ؟ هل هذا النبى الكريم له مثيل أو شبيه فى الأولين أو الآخرين ؟ قد يكون فيه مسحة منه أو فيه أثر منه **﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول﴾** [الآية (٩٦) طه] على قدره . هذا أخذ جزء من الحكمة وليس الحكمة كلها لكن الحكمة الملائمة لزمانه

وهذا أخذ جزء من كنز النور الملائم لزمانه وهذا أخذ جزء من الشفافية على قدره لكن من الذى معه الشفافيـة المحمدية كلها ؟ أين هو ؟ فكل يأخذ على قدره لكن ليس هناك أحد أبداً يبلغ قدر سيدنا رسول الله وهذه أخطاء فى العبارات لا يصح أن نرددها لأننا كبـار وغلطة الكبار كبـيرة إذاً لابد أن نعرف هذه المعانى جـيداً أن صورة رسـول الله لم ولن تتكرر فى الوجود إذاً فمـاذا يرث الورثة ؟ يرثون جزءاً على قدرهم مما أعطاه الله للحبيب المحبوب ﷺ فهو الكتاب ربنا قال :**﴿ثم أورثنا الكتاب﴾** مَنْ ؟ **﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾**[الآية (٣٢) فاطر] فكلهم ورثوا هذا الكتاب فكل واحد أخذ جـزءاً فعندما يقولوا**﴿وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾** كل هذه الأمور فكرها شيـعى فى الأصل فقالوا الإمام المبين الإمام الشـيعى القائم كل حاجة معـه وطبعاً هذا فكر مضلل لا ينفع معنا جمـاعة المؤمنين فناظر المدرسة معـه كل شىء يتعلق بمـدرسته فـقط والمدرسة المجـاورة له لا يعرف عنهـا شيـئاً . المدارس كلها فى الإدارة . الإدارات كلهـا فى المديرية المديريات كلها فى الوزارة . هل هناك أى مـدرسـة أو إدارة عندها كل الموجـود في الوزارة ؟ لا كـذلك الأمـر فكل واحد حتي لو كـان شيخاً كبيـراً يكون ناظر مدرسة معه احـصائيات وتموين ومـقررات وحـضور وانصـراف وغيـاب مدرسـتـه فقط وليس له شـأن بالمدارس الأخري لكن الجـامع لكل هذه المدارس والجامـعات السابقـات واللاحقات سيد الأولين والآخـرين ﷺ هل يجـوز أن يكون هناك وزارتين للتـربيـة والتـعليم ؟ لا كذلك لا يجـوز أن يكون هناك صورة ثانية لرسول الله لكن الكـل أخذ جزءاً من رسول الـله علي قدره وإذا كـان الأنبيـاء كل واحد منهم أخـذ جزءاً فـأين يذهب الأصفياء ؟ أيضاً على قدرهم .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الخاتمة

حب رسول الله ﷺ

حب رسول الله ﷺ

حب رسول الله يا أخوانى هو المرهم الذي يداوي جراحنا جميعاً وهو البلسم الذي يحفظنا من أهوال الموقف ونار الجحيم وهو الدواء الذى يُظْهر على وجوهنا نضرة النعيم ويجعلنا أهل لكل تكريم من الكريم عز وجل كل الجراح التي تؤلمنا فالذي يشتكي من مرض والذي يشتكي من هم والذي يشتكي من غم والذي يشتكي من مشاكل في البيت أو في العمل أو مع الجيران أو أي شيء يحصل لنا في الدنيا ما المرهم الذي يداوينا ويريحنا ؟

هو حب رسول الله ﷺ هل سمعنا عن رجل يحب رسول الله حباً صادقاً وتخلي عنه الله طرفة عين ؟ لا لكن مَنْ الذي يتركه الله ويتخلي عنه ؟ الذي عنده حب الدنيا والمناصب والمكاسب أعظم والذي عنده الأموال في عينيه تدهشه وتجعله لا يلتفت عنها إلى حبيب الله ومصطفاه ﷺ لكن الذي عنده الحب في قلبه ووزنه علي المقاييس القرآنية وعلي الأوصاف والموازين المحمدية فوجده مضبوطاً فنحن قلبنا كميزان له كفتان فإذا كان الذي يرجح في القلب كفة حب الله ورسوله فيا هناءة الإنسان في دنياه ويا رقيّه وفضله في أخراه وإذا كان شيء آخر في الميزان راجح على كفة حب النبى العدنان أنا أحب النبى صحيح لكن حب الجنيه أكثر أو أحب النبى ﷺ صحيح لكن حب الدنيا وزخرفها ومظاهرها أكثر فهذا الذي يأتي إليّ بالمشاكل**﴿قل إن كان آباؤكم** - بدأ بالأب أولاً لأنه أغلى حاجة عنده - **وأبناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا﴾** [الآية (٢٤) التوبة] يعنى يأتى إليكم الهم والغم والغلاء

والبلاء والمرض والمشاكل هذا كلام الله وليس فيه شك ياإخوانى إذاً الذى يريد أن ينتهى من المشاكل عليه بإتباع شريعة الله ويقول فيهم الله﴿**لهم ما يشاءون عند ربهم**﴾[الآية (٢٢) الشورى] مَنْ هؤلاء يا ربنا ؟ الذين ألسنتهم وقلوبهم لا تغفل عن ذكر الله لأن ربنا قال ذلك «أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه»[١] وإذا ذكر الله من الذي يجلس معه هل الملائكة ؟ لا قال أنا جليس الذاكرين فلا يحوجهم حتى للملائكة والجليس الذى يجلس مع الله ما الذي يحتاجه يا أخوانى ؟ يغنيه الله بفضله عما سواه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) رواه أحمد فى مسنده عن أبى هريرة .

الفهـــرس

م	الموضـــــوع	الصفحـة
١	**مقدمة**	٣
٢	**الفصل الأول**	
	كمال خصائصة الظاهرة والباطنة	٦
	كمال خصائصة الظاهره وكراماته الباهرة	٧
	فضله على سائر الأنبياء	١٧
	أوليته فى الآخره ﷺ	٢٣
	كمال فضله الثابت بكتاب الله	٣١
	كمال عبادته لربه عز وجل	٤٣
	كمال خشيته من الله	٤٧
٣	**الفصل الثانى**	
	نورانيه بشريته ﷺ	٤٩
	الأنبياء سادة البشر	٥٠
	صفات الأنبياء	٥١
	يرى من خلفه كما يرى من أمامه	٥٢
	يرى ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع	٥٢
	ابطه الشريف ﷺ	٥٢
	حفظه من التثاؤب	٥٣
	عرقه الشريف ﷺ	٥٣
	طوله ﷺ	٥٤
	ظله ﷺ	٥٤
	دمه ﷺ	٥٥
	نومه ﷺ	٥٥
	جماعه ﷺ	٥٥
	حفظه ﷺ من الاحتلام	٥٥
	الاستشفاء ببوله ﷺ	٥٦
	ريق الحبيب شفاء وترياق	٥٧

م	الموضــــوع	الصفحـة
	نورا نيته ﷺ	٦١
٤	**الفصل الثالث**	
	حفظ الله لحبيبه ومصطفاه	٦٤
	حفظ الله لنور حبيبه ومصطفاه	٦٦
	حفظ الله لحضرته فى صباه	٦٧
	حفظ الله تعالى له فى رسالته ونبوته	٦٨
٥	**الفصل الرابع**	
	الحق المبين فيما ورد عن أخبار النبى الأمين	٧٤
	سر استغفار النبى المختار	٧٥
	غناه بربه عز وجل	٧٨
	تحقيق خبر وفاه النبى ﷺ	٨٠
	خبر سحر النبى ورأى العلماء فيه	٨٢
	عصمته ﷺ من الشيطان	٨٧
	عصمة الله تعالى له من النقائص والشبهات	٩٣
	حقيقة قصة زيد بن حارثه	٩٨
	ووجدك ضالاً فهدى	١٠١
	نسبة الذنوب إلى مقامه الشريف	١٠٣
	ووضعنا عنك وزرك	١٠٦
	عفا الله عنك	
	عبس وتولى	١٠٧
	لقد خشيت على نفسى	١٠٨
	موقفه من أسرى بدر	١٠٩
	حديث أنتم أعلم بأمور دنياكم	١١٤
	تأويل المراد بلعنه ﷺ	١٢٠
	ميزان المؤمن مع أنبياء الله	١٢٣
	خاتمة في نزاهة النبوة	١٢٥
٦	**الفصل الخامس**	
	التبرك بالنبى ﷺ	١٢٧

م	الموضـــــوع	الصفحـة
	معنى التبرك	١٢٨
	التبرك بشعره وفضل وضوءه وبصاقه وعرقه	١٢٩
	التبرك بمس جده	١٣٥
	التبرك بدم النبى ﷺ	١٣٨
	أقوال العلماء فى هذا الموضوع	١٤٣
	التبرك بتقبيل يد من مس رسول الله	١٤٤
	التبرك بجبته ﷺ	١٤٦
	التبرك بما مسته يده ﷺ	١٤٦
	التبرك بقدح النبى ومسجد صلى فيه	١٤٦
	التبرك بموضع قدم النبى ﷺ	١٤٧
	التبرك بدار مباركة	١٤٧
	التبرك بقبره الشريف	١٤٨
	التبرك بآثار الصالحين والأنبياء السابقين	١٤٩
	التبرك بمسجد العشار	١٥٠
	نحن فى بركة رسول الله ﷺ	١٥١
٧	**الفصل السادس**	
	حياته البرزخية ﷺ	١٥٤
	معنى الحياة البرزخية	١٦٠
	خصائص الأنبياء البرزخية	١٦١
	صلاة الأنبياء فى قبورهم وعبادات أخرى	١٦٤
	خصوصية حياة نبينا محمد ﷺ	
	النبى ﷺ يجيب من ناداه	١٧٢
	أرسال السلام بالبريد إلى النبى ﷺ	١٧٢
	حديث لاتشد الرجال	١٧٤
	الأمام مالك والزياره	١٧٩
	كلام أئمة السلف فى مشروعية زيارة رسول الله وشد الرحال إلي قبره	١٨١
٨	**الفصل السابع**	
	فضل الله علينا برسول الله ﷺ	١٨٣

م	الموضـــــوع	الصفحـة
	أول خلق الله	١٨٧
	رسول المرسلين	١٨٨
	تجديد بيعة الأنبياء فى بيت المقدس	١٩١
	علو منزلة الأمة المحمدية	١٩٢
	منزلة العلماء العاملين	١٩٣
	فضل الله على الأمة المحمدية فى الآخرة	١٩٤
٩	**الفصل الثامن**	
	بصيرة النبوة	١٩٧
	تكليف الرسالة والنبوة	١٩٩
	عموم رسالته	٢٠٠
	النبى الشاهد	٢٠٢
	فراسة المؤمنين	٢٠٤
	أنوار النبوة الكاشفة	٢٠٧
	سر أطلاع النبى علي أحوال أمته	٢٠٩
	حكمه استغفار النبى لنفسه وللمؤمنين	٢١١
١٠	**الفصل التاسع**	
	النهج النورانى فى متابعة رسول الله ﷺ	٢١٥
	استحضار صورة الحبيب المعنوية فى القلب	٢١٦
	تعلق الصحابة الكرام بذاته الشريفه	٢١٧
	منهج الصحابة الكرام فى متابعة رسول الله	٢٢١
١١	**الفصل العاشر**	
	حقيقة الامام المبين	٢٢٤
	الوارث الفرد الجامع	٢٢٧
	وسعة العطاء المحمدى	٢٢٩
١٢	**الخاتمة**	
	حب رسول الله ﷺ	٢٣٢

المؤلف فى سطور

فوزى محمد أبو زيد

تاريخ ومحل الميلاد : ١٨ / ١٠ / ١٩٤٨ م الجميزة مركز السنطة محافظة الغربية .

المؤهل : ليسانس كلية دار العلوم ١٩٧٠ م .

العمل : مدير إدارة ـ بمديرية طنطا التعليمية .

محل الإقامة : الجميزة ـ غربية .

النشاط :

يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلي الله بجمهورية مصر العربية والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية .

يتجول في جميع أنحاء الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإسلامى .

دعوته :

يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامى وإحياء روح الأخوة الإسلامية والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس .

يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم .

يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام .

تطلب مطبوعات الدار

من الأماكن التالية

١ ـ دار الإيمان والحياة : ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادي ـ ت : ٥٢٥٢١٤٠ القاهرة .

٢ ـ الزقازيق : حي السلام ش عمرو بن العاص ـ مسجد جمعية الدعوة إلي الله .

٣ ـ ديرب نجم : جمعية الدعوة إلى الله ـ خلف مدرسة الثانوية للبنات .

٤ ـ الجميزة ـ غربية : دار الصفا ـ ت : ٥٣٤٠٥١٩ / ٠٤٠ طنطا .

٥ ـ بنها : جمعية الدعوة إلى الله ـ المنشية ـ ٧ شارع شريف باشا متفرع من شارع وهبة .

٦ ـ محافظة المنيا ـ مغاغة : جمعية آل العزائم « مسجد آل العزائم » .

٧ ـ محافظة قنا ـ العديسات قبلى ـ نجع علوان : جمعية الدعوة إلي الله .

٨ ـ محافظة الإسماعيلية ـ سرابيوم ـ عزبة القراقرة ـ جمعية الدعوة إلي الله .

٩ ـ الدراسة : دار جوامع الكلم .

١٠ ـ مكتبات القاهرة .

١١ ـ دار الشعب : شارع القصر العينى .

١٢ ـ مكتبة تاج بداير سيدى أحمد البدوى بطنطا .

دار الإيمان والحياة تقدم
كتب للمؤلف

أ) من أعلام الصوفية المعاصرين :

١ ـ الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى .
٢ ـ الشيخ محمد على سلامة « سيرة وسريرة » .

٣ ـ زاد الحاج والمعتمر .
٤ ـ نفحات من نور القرآن (الجزء الأول والثانى) .
٥ ـ مائدة المسلم بين الدين والعلم (ترجم إلي الإنجليزية والأندونيسية) .
٦ ـ طريق الصديقين إلي رضوان رب العالمين (ترجم إلى الأندونيسية) .
٧ ـ حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق .
٨ ـ مفاتح الفرج (ترجم إلي الأندونيسية) .
٩ ـ تربية القرآن لجيل الإيمان (ترجم إلي الإنجليزية الأندونيسية) .

ج) رسائل الصفاء :

١٠ ـ الصوفية والحياة المعاصرة .
١١ ـ الصفاء والأصفياء .
١٢ ـ أبواب القرب ومنازل التقريب .
١٣ ـ إشراقات الإسراء .
١٤ ـ أذكار الأبرار .
١٥ ـ الخطب الإلهامية جـ ١ (المولد النبوى) .
١٦ ـ الخطب الإلهامية جـ ٢ (الإسراء والمعراج) .
١٧ ـ الخطب الإلهامية جـ ٣ (شهر شعبان وليلة الغفران) .
١٨ ـ الخطب الإلهامية جـ ٤ (شهر رمضان وعيد الفطر) .
١٩ ـ الخطب الإلهامية جـ ٥ (خطب الحج وعيد الأضحى) .
٢٠ ـ الخطب الإلهامية جـ ٦ (الهجرة ويوم عاشوراء) .
٢١ ـ الرحمة المهداة .
٢٢ ـ الكمالات المحمدية .

تحت الطبع للمؤلف :

١ ـ أهل العناية في منازل الولاية .
٢ ـ نفحات من نور القرآن (الجزء الثالث) .
٣ ـ الخطب الإلهامية جـ ٧ (الموت) .
٤ ـ فتاوى جامعة للشباب.
٥ ـ إصلاح الأفراد والمجتمعات فى الإسلام .
٦ ـ طريق المحبوبين .

دار الإيمان والحياة

١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادى ت : ٥٢٥٢١٤٠ القاهرة

إستدراك

أردنا بتوفيق من الله تعالى أن يخرج هذا الكتاب في أبهي صورة تليق بكمالات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن سقط سهواً أثناء الطباعة ما يلي :

الصفحة	السطر	السهـــو
٣	١٣	﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾
١٢	٧	«إن ابني هذا سيد
١٢	٨	وإن كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه» قال عليه الصلاة والسلام : «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى» .
٢٦	٦	«أكثر الناس عليه وروداً فقراء المهاجرين» .
١٢٥	١٥	« ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه » .
١٤٠	١٤	« خبر بركة خادم أم حبيبه » :
١٨٨	١٤	(يعنى العدد الكبير)
١٨٨	١٦	قال صلى الله عليه وسلم فيقول الله تعالى لهم : ألم يبلّغكم رسولى ؟ فيقولون لا لم يبلغنا بشئ ويجحدوا فيقول ألم تبلغهم رسالتى ؟ فيقول يارب قد بلغتهم رسالاتك فيقول عز وجل ومن يشهد لك ؟ فيقول محمد ﷺ
١٩٢	١٦	« من يشهد لكم ؟ » فيقولون « أمة محمد » قال ﷺ.
١٩٢	١٧	« فيؤتى بالعدول » .
٢٠٣	١	استغفرت الله عز وجل لكم » .